الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٢ - صفر ١٤٢٥هـ - أبريل ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 332 - APR. 2004

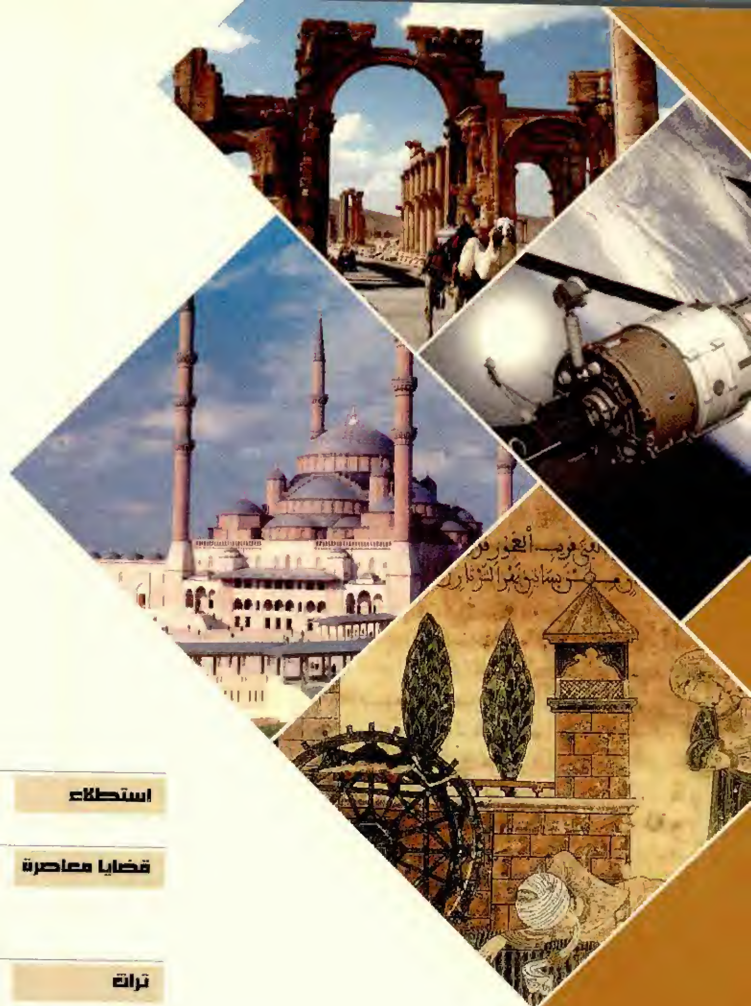


- رحلة العلوم من الشرق إلى الغرب
- العالمية والخصوصية الحضارية
- المويبة: حيث وضعت حرب البسوس أوزارها

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية . العدد ٣٣٢ . صفر ١٤٢٥ هـ . أبريل ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 332 - APR. 2004



الأولى: لاحظت أن رسائل الماجستير والدكتوراه غالبًا ما تناقش ويحصل صاحبها على الدرجة العلمية، ثم ترص فوق الأرفف دون أن يستفيد منها الباحثون عن المعرفة في كل المجالات. ثم إن طبع هذه الرسائل قد يكلف صاحبها جهدًا ماليًا باهظًا.

أقترح أن تقوم مجلتكم بعرض هذه الرسائل تحت عنوان «رسائل جامعية» أو أي اسم آخر ترونه مناسبًا.

الثانية: أقترح أن يكون هناك ببليوجرافيا للموضوعات والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات؛ وبذلك تعين المجلة قراءها على الحصول على ما يريدونه من المعارف والمعلومات، وقد يكون ذلك ضمن الملف الثقافي، فالأمر متروك لكم.

الثالثة: أقترح أن يكون هناك هدية سنوية تهديها «الفيصل» لقارئها العربي، وأن يكون هناك فهرس عام للمقالات المنشورة في المجلة كل عام، وهناك أمر أخير أن يكون هناك باب يختص بنشر القصائد والقصص للمواهب العربية الشابة، وبذلك تدعم المجلة مسيرة التواصل مع قرائها بصفة عامة والشعراء والأدباء الشباب بصفة خاصة. هذا كل ما لدي.

ولكم جزيل الشكر والامتنان.

ملحوظة: لدي صديق مهتم بالجديد في المجالات العلمية، ولذلك يريد معرفة وقت صدور الفيصل العلمية، وهل تصدر في مصر أم لا؟

هاني مشرف علي مشرف

نيل السلطان - أطفيح - الجيزة

هاتف: ٠٠٢٠٢٨٤١٤٣٩٣

التحرير:

نشكر لك اقتراحاتك القيمة التي ستؤخذ في الحسبان إن شاء الله.

وفيما يتعلق بالرسائل الجامعية، هناك قاعدة معلومات حديثة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية تشتمل على هذه الرسائل، كما أن الببليوجرافية الخاصة بالموضوعات المنشورة في الدوريات والمجلات تتوافر في مكتبة المركز، وستعمل المجلة على مواصلة نشر الببليوجرافية الخاصة بموضوعاتها في القريب إن شاء الله.

أما الفيصل العلمية فتصدر كل ثلاثة أشهر، وقد صدر عددها الثالث في شهر المحرم.

ردود سريعة

الأخ أحمد عادل إدلب - سورية:

لكل مجلة سياستها التحريرية، والاعتذار عن نشر موضوع ما أو قصيدة أو قصة فيه احترام للكاتب، علمًا بأن المادة غير المناسبة للنشر في «الفيصل» قد تصلح للنشر في غيرها، فمرحبًا بك، وبكتاباتك.. آملين أن تظل دومًا صديقًا لمجلتك.

الأخ عادل المصري - القاهرة - مصر:

ما ينشر في المجلة يعبر في المقام الأول عن رأي كتّابها الذين ينطلقون من خلفيات ثقافية مختلفة، وذلك في إطار من الموضوعية. واحترام الرأي الآخر، مما يرسخ قيم الحوار.

الأخت زينب إبراهيم عثمان - بورتسودان - السودان:

لا شك أن سواكن مدينة عريقة تستحق الإبراز من خلال استطلاع مصور يتناول تاريخها وجغرافيتها وآثارها مع تسليط الضوء على واقع حالها.

نأمل أن يكون هذا الاستطلاع في القريب، ونرحب - كما قلنا أكثر من مرة - بمشاركات الإخوة في إعداد الاستطلاعات على أن تتسم المادة بالعمق، مع توافر صور فوتوغرافية عالية الجودة.

الأخ محمد فوزي صالح - دمشق - سورية:

يعتمد نشر الموضوع في المجلة على عمق المضمون دون النظر إلى اسم كاتبه، ولعلك تلاحظ وجود كتّاب جدد في كل عدد من أعداد المجلة، مما يعني أنها ليست حكرًا على أحد، آملين أن تجد مشاركاتك طريقها إلى النشر وفق الأسس المتبعة.

قفصة: الحضور الط



...ـاغي للتـاريخ

محمود الحرشاني

سيدي بوزيد ــ تونس

ها هي ذي قفصة تزهو معالمها
بما حوته من الإبداع في الخبر
جنات عدن فيا نعم المقام بها
تلهي النزيل عن الأوطان والخطر
غناء غلباء قد راقت وقد لطفت
وذلك النخل والزيتون والشجر
فيها الفواكه أنواعًا منوعة
تحلو لدى الأكل إذ تحلو لدى النظر
رمّانها فوق ما ينبي المديح له
ليمونها قد زها بالحسن من كبر
فيها العيون كماء المزن ناضجة
عمت فعم سبيل الخير والأثر
وتلك نعمة ربي في غزارتها
قد أروت القوم في زرع وفي ثمر
هذي المحاسن دون المادحين لها
في نخبة من ذويها خيرة الخير

بهذه الأبيات تغنى الشاعر والرحالة المصري الأزهري صديق أحمد منذ ما يزيد على ألف سنة بمحاسن مدينة قفصة وجمالها وهي لا تزال محتفظة بأسرارها فاتحة ذراعيها لكل زائر مسندة ظهرها إلى قمة جبل عرباط الشاهقة وهي اليوم مثلما كانت بالأمس عروس الوسط العربي ودرة شط الجريد.

مدينة حافلة بانتصارات وأحداث لا تنسى

مدينة قفصة واحدة من أقدم المدن التونسية، وهي تنتصب في الجنوب الغربي للبلاد التونسية، تحيط بها واحة غناء وبساتين وارفة الظلال تعاقبت عليها عدة حضارات، وكانت دائمًا مركزًا للعلم والتجارة. وما زال إلى اليوم ينتصب بها الكثير من الآثار العمرانية والمعمارية الدالة على عمق حضارتها، مثل البرج الروماني، والأحواض الرومانية، ودار لونقو، وغيرها من الآثار والمعالم التي تؤكد أن هذه المدينة الشامخة كانت على الدوام مصدرًا للحضارة. وتعد الحضارة القفصية من أقدم الحضارات التي عرفتها البلاد التونسية. ويذكر الباحث الأستاذ أبو القاسم محمد كرّو، أحد أبناء قفصة، أن هذه المدينة كانت منذ سحيق العصور مركزًا مهمًا من مراكز الحضارة، وأن سكانها كانوا دائمًا ميالين إلى السلام، محبين للعدل، منقطعين إلى العلم والزراعة والصناعة، وهذه الخصائص هي التي أتاحت لمدينة قفصة وتوابعها أن تكون في مختلف العصور التاريخية، مركزًا كبيرًا من مراكز الثقافة والإشعاع الفكري والأدبي والديني (١).

ويجمع المؤرخون وعلماء الآثار على أن مدينة قفصة هي من أقدم المدن التونسية وأعرقها على الإطلاق، والحضارات التي تعاقبت عليها عبر العصور والأحقاب خلقت بصمات واضحة، وعلامات بارزة تحكي بصدق وأمانة ما وصلت إليه هذه المدينة الضاربة جذورها في عمق التاريخ من عز ورقي وازدهار (٢).

إذن نحن في مدينة لها تاريخ عريق، وحضارتها من أقدم الحضارات في القارة الإفريقية. إذ تعود هذه الحضارة إلى ما يقارب من ثمانية آلاف سنة، وبعض آثار هذه الحضارة المعروفة عند مؤرخي الحاضرات

باسم الحضارة الكبصية أو «القفصية» مازالت موجودة إلى الآن (٣) وبعض آثار هذه الحضارة محفوظ في عدة متاحف تونسية، مثل متحف باردو ومتحف صفاقس. ومما لا شك فيه أن مدينة قفصة شأنها شأن الكثير من المدن التونسية القديمة الأخرى، قد قاومت بكل بسالة وشجاعة الاستعمار الروماني، وصمدت في وجه هذا الاستعمار، وساندت القائد البربري يوغرطة فكانت «قلعته الحصينة التي تحمي سلاحه وذخائره، ورفضت الاستسلام للرومان بعد أن تعبوا في حصارها، ولكنهم تمكنوا منها آخر الأمر، وكان ذلك عام ١٠٧ قبل الميلاد (٤). وليست هذه هي النكبة الأولى من تاريخها فقد بليت هذه المدينة على امتداد تاريخها بنكبات كثيرة، ولكنها كانت دائمًا تنهض من جديد، لتستأنف حياتها ويدبّ فيها العمران، وتستعيد دورها بوصفها مركزًا حضاريًا واقتصاديًا وتجاريًا وزراعيًا مرموقًا.

ويجمع المؤرخون، وفي طليعتهم ابن خلدون، على أن مدينة قفصة وضواحيها وأعمالها الممتدة إلى قسنطينة غربًا والجريد جنوبًا، والقيروان شمالاً، وقابس شرقًا قد بلغت قمة الازدهار والتقدم والرخاء في عهد ملوكها من بني الرّند الذين استقلوا بها، وبما حولها طوال قرن كامل في سنة ٤٤٥هـ عقب انهيار الحكم الصنهاجي إلى سنة ٥٥٥هـ عندما خرج عبدالمؤمن بن علي، ووحّد إفريقية وكامل بلاد المغرب تحت راية الموحدين. ونجد أن بني الرند يرتبط بهم تاريخ المدينة فترة أخرى تمتد إلى نهاية القرن السادس. وهم عائلة بربرية نزحت إلى قفصة في القرن الخامس الهجري، وقد أعلنها أول أمير منهم في عهد المعتز بن باديس، مدينة مستقلة كتونس وبنزرت وباجة وزغوان وقابس. وهذا الأمير هو عبدالله محمد بن الرند الذي يذكر ابن خلدون ما تم في عهده من رخاء وصلاح، وقد بايعته توزر وقفصة والحامة ونفزاوة وجميع أعمال قسنطينة، فاستفحل أمره، وعظم سلطانه، ووفد عليه الشعراء والقصّاد، وكان معظّمًا



اللباس التقليدي

لأهل الدين إلى أن مات سنة ٤٦٥هـ فخلفه ابنه المعتز أبو عمر وانقاد إليه الناس، فضبط الأمور، وجبى الأموال، واصطنع الرجال، وتغلب على قمودة (٥)، وجبل هوارة، وسائر بلاد قسنطينة وما إليها.

وفي عهد الموحدين انهارت هذه المدينة وانقطع ما كان قائمًا فيها من عمران وازدهار قرابة ثمانية قرون. ولقد بليت مدينة قفصة في عهد الموحدين بخسائر كبيرة، ولحقها دمار كبير أتلفوا أشجار غابتها الكثيفة

حيث كانوا يتلفون كل يوم آلاف الأشجار وقاموا بتخريب سور المدينة، وقد تتالت على هذه المدينة مثلما يثبته المؤرخون في عهد الموحدين أربع حملات ظالمة ومدمرة توالت على المدينة من سنة ٥٧٥هـ إلى سنة ٦٠١هـ وقد أتت هذه الحملات المدمرة ـ كما يقول الأستاذ أبو القاسم كرو ـ على الأخضر واليابس، وحوّلت عظمة هذه المدينة إلى ذكريات.

وقد وصف البكري مدينة قفصة بأنها مدينة أزلية قديمة، مبنية كلها على أساطين وطبقات رخام، وقد بني سورها بالحجر الجليل. ويذكر أن باني هذا السور هو «شانتانيان» وهو «تحريف» لجوستابنان، وقد زبر عليه اسمه، وهو مقروء فيه إلى اليوم (٦) ويوجد بمدينة قفصة حوضان رومانيان ينبعان من عينين خرّارتين يسقيان بساتينها وفروعاتها ومازال هذان الحوضان موجودين إلى اليوم.

ومن الدلائل الحضارية البالغة على عمق الحضارة القفصية عملة قفصية إبان العهد الروماني.


بيوت قديمة

أعلام المدينة

وقد أنجبت مدينة قفصة على امتداد تاريخها الطويل عددًا من الأعلام والشعراء والكتاب، وكانت دائمًا مركزًا ثقافيًا وحضاريًا. وقد اشتهر من علمائها القدامى أحمد التيفاشي القفصي، ومن شعرائها ابن عمران القفصي، وهو شاعر كفيف، وعبدالله بن محمد البغدادي، والإمام عبدالله بن محمد بن راشد القفصي الذي عاش بين القرنين السابع والثامن للهجرة، وقد أحصى الأستاذ أبو القاسم كرو الذي أرّخ لهذه المدينة وأعلامها وعلمائها نحو واحد وثلاثين علمًا من أعلامها تفوقوا في عدة ميادين، مثل: الشعر والأدب والطب والتاريخ والجغرافيا والبلاغة،

يجمع المؤرخون وعلماء الآثار على أن مدينة قفصة هي من أقدم المدن التونسية وأعرقها على الإطلاق، والحضارات التي تعاقبت عليها عبر العصور والأحقاب خلقت بصمات واضحة، وعلامات بارزة

وتولى عدد منهم مناصب الإفتاء والتدريس والقضاء. حتى في العصر الحالي برز من أبنائها عدد من الأعلام والكتّاب والشعراء والأدباء والمؤرخين (٧). ومن أبرز أبنائها الذين تشتهر بهم، وتفخر بعطائهم ليس فقط مدينة قفصة بل تونس بأكملها العلامة الكبير أبو القاسم محمد كرّو الذي يعدّ من كبار كتّاب تونس وأعلامها ومؤرخيها، وبلغت كتبه زهاء ٧٥ كتابًا في أغراض شتى من العلم والمعرفة، وأسس بها منذ عام ١٩٤٥م أقدم جمعية ثقافية. وهو عضو في عدد من المجامع اللغوية العربية والهيئات الثقافية العربية. كما اشتهر من أبنائها الحسين بوزيان الذي كان أستاذاً بجامع الزيتونة بفرعه بقفصة، والنقابي أحمد التليلي، ومن رجالات المسرح

بليت مدينة قفصة في عهد الموحدين بخسائر كبيرة، حيث كانوا يتلفون كل يوم آلاف الأشجار وقاموا بتخريب سور المدينة

البارزين فيها عبدالقادر مقداد، ومن شعرائها عامر بوترعة ومحمد عمار شعانبة، وأحمد المختار الهادي، ومن قصاصيها وروائييها محمد المختار جنات، وعبدالعزيز فاخت، ومن أعلامها أيضًا الفيلسوف عبدالحميد الزاهي. وقد أسس بهذه المدينة اليوم عدد من المنشآت الثقافية والحضارية الكبرى التي



في الطريق إلى قفصة

تساهم في ازدهارها، مثل: إحداث إذاعة جهوية تساهم في تنشيط الحياة الثقافية والإعلامية، ومعاهد عليا وكليات، وشبكة متطورة من المعاهد الثانوية يؤمها طلبة العلم والمعرفة، وتوجد فيها فرقة مسرحية من أقدم الفرق المسرحية التونسية وأعرقها، وقدمت عددًا من الأعمال الناجحة. يعود تاريخ تأسيسها إلى ما يزيد على ثلاثين سنة وفيها اليوم مركز للفنون الدرامية والمسرحية.

آثار معمارية قائمة إلى الآن

مازال عدد من الآثار المعمارية قائمًا إلى الآن بمدينة قفصة شاهدًا على عظمتها ومقاومتها لكل مظاهر العنف والتطاول الذي تعرضت له، ومن هذه المعالم، البرج العتيق الذي بني بحجارة ثمينة، كما وصفه البكري، وتقام فيه حاليًا عروض المهرجان الثقافي الصيفي، والأحواض الرومانية العتيقة، كما لا تزال قائمة فيها المدينة العتيقة بأزقتها الضيقة، ولا تزال بساتين قفصة الخضراء قائمة وهي من أجمل ما يمكن أن تراه العين، تزود هذه المدينة بكل ما تحتاج إليه من الخضراوات والغلال والثمار.

وتشتهر مدينة قفصة بعدد من الصناعات التقليدية، مثل: صناعة المرقوم القفصي الذي وصلت شهرته إلى أمريكا، والبرنس الصوفي. ومن الأكلات الشهيرة في مدينة قفصة أكلة الكسكسي بالمسلان (المسلان هو لحم الخروف) والبركوكش والحساء القفصي الشهير الذي يقدم خاصة بمناسبة شهر رمضان المبارك.

استحضرت كل هذا وأنا داخل مدينة قفصة بعد غيبة طويلة فقد فتحت عيني وأنا طفل صغير على أزقتها وحاراتها حيث درست بها، كما عرفت في نواديها الثقافية مع عدد من أبنائها، مثل أحمد عامر والصافي سعيد، وأديبها عبدالعزيز فاخت (*)، وغيرهم ما كان قائمًا فيها من نشاط ثقافي، وكنا نتشوق إلى سماع محاضرات علامتها عبدالحميد الزاهي الذي كان يرتجل محاضراته والأمسيات الشعرية التي كان يجيدها شاعرها الفحل المرحوم عامر بوترعة مازالت بساتين النخيل الكثيفة تملأ هذه المدينة، وتمدها بالحياة،


الحوض الروماني

لا يمكن لزائر مدينة قفصة إلا أن يرى عددًا من المعالم الأثرية والحضارية التي مازالت قائمة إلى اليوم، شاهدة على تعاقب الحضارات على هذه المدينة الصامدة على الدوام



الجامع الكبير

ومازال وادي بياش يجري، ولكن الدولة استطاعت أن تحد من جبروته حتى لا يشكل خطرًا على السكان.

أقدم الحضارات

قفصة.. أم مدائن الجنوب التونسي، وبوابة الصحراء الحقيقية، كما وصفها أحد المؤرخين المعاصرين، تنتصب شامخة، عاصمة للجنوب الغربي، تعاقبت عليها حضارات كثيرة، خلّفت وراءها آثارًا يرجع بعضها إلى مئة وخمسين ألف سنة، أي: إلى العصور الحجرية القديمة، وتسمى هذه الحقبة بالحضارة الأتورية، وتبرز الحفريات أن ٧٠٪ من حملة التراث التونسي العائد إلى ما قبل التاريخ تحتضنه منطقة قفصة. وقد عثر على مواقع منها: بجمعة القطار، ولالة، وسيدي منصور التاريخية، والدوالي، بالإضافة إلى هذه القيمة المرجعية يأتي ثراء قفصة الحضاري في العصور القديمة أيضًا، من موقعها الجغرافي الرابط بين سهول الشمال وهضابها، وصحراء الجنوب في وسط طريق القوافل التجارية، وما ينتجه ذلك من إمكانيات التأثير والتأثر.

عمق حضاري

ومن دلائل هذا العمق الحضاري لمدينة قفصة، ما تزخر به من آثار ضاربة في القدم، تقف شاهدًا على عراقة هذه المدينة. ولقد عثر خلال القيام بأشغال تهذيب الأحواض الرومانية التي تحتضنها مدينة قفصة والمنصهرة في النسيج العمراني للمدينة، وفي أثناء تنظيف العيون على أحجار من الصوان، وبقايا حيوانية، وتبين عند قيام خبراء من المعهد الوطني للتراث بفحص أعماق الحوض الكبير، وجود آثار تعود إلى ما قبل التاريخ تتمثل في أدوات وبقايا حيوانات مفترسة ترجع إلى الحقبة الموستيرية أي إلى أكثر من ١٥٠ ألف سنة.

وتشير دلائل أخرى إلى وجود بشري بقفصة في ذلك التاريخ مع أطلال سكنية تقع بالقرب من منابع المياه، وهو ما من شأنه أن يقود إلى معطيات جديدة تتعلق بحقبة مهمة من التطور الثقافي للإنسان بمنطقة المغرب العربي والبحر الأبيض المتوسط.

عراقة الحضارة القفصية

من شواهد العمق الحضاري لمدينة قفصة والحضارة القفصية عمومًا التي تعد من أقدم الحضارات التي عرفتها منطقة الشمال الإفريقي، صكّ نقود خاصة بمدينة قفصة، إذ يعود تاريخ النقود التي ضربت بمدينة قفصة إلى العهد الحفصي (٦٥٧هـ ـ ١٢٤٩م) وعددها ستة دنانير ذهب إلى جانب عدد من الدراهم الفضية المربعة الشكل. وكذلك عدد



من النقود التي ضربت إبان حكم الأتراك (١٥٩٩م)، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن قفصة صكت نقودًا باسمها في عهد بني الرند على أثر تقلّص النفوذ الصنهاجي في إفريقية.

حركة الإصلاح تعيد إلى قفصة أمجادها

ومنذ انبلاج فجر العهد الجديد في تونس، في ٧ نوفمبر ١٩٨٧م، على يد الرئيس زين العابدين بن علي، حظيت هذه المدينة بعناية كبيرة تنطلق من تقدير الرئيس بن علي للدور التاريخي والحضاري والثقافي الذي قامت به هذه المدينة على مر العصور، وقد أمر الرئيس بن علي بعدد من الإجراءات من أجل تدعيم مسيرة التنمية بها، التي تترعرع في مناخ كبير من الثقة والتجاوب الدائم مع توجيهات صانع العهد الجديد، وبفضل هذه العناية، شهدت مدينة قفصة إنجاز عدد من المرافق الحيوية، مثل القطب الجامعي، والإذاعة الجهوية، وتواصل إنجاز مشروع إصلاح الواحات، كما امتدت يد الإصلاح إلى المعالم الحضارية والأثرية لترميمها وصيانتها حتى تبقى شاهدة على حضارة المدينة قديمًا وحديثًا، إلى جانب ما شهدته المعالم الدينية في هذه المدينة من عناية متزايدة إذ أمر الرئيس بن علي بلفتات متواصلة للعناية بالمعاجم الدينية بهذه المدينة. ترميمًا وتوسيعًا.. وفي الجانب الثقافي، أنجز بهذه المدينة مركز الفنون الركحية والدرامية الذي يعد من دلائل النهضة الثقافية والمسرحية إذ تعود جذور الحركة المسرحية في قفصة إلى سنوات الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي عندما أسس بها عدد من الجمعيات الثقافية والمسرحية، ومنها جمعية ابن منظور القفصي التي أسست عام ١٩٤٥م على يد العلامة أبي القاسم محمد كرّو، ومعه نخبة من رجال الثقافة والشباب المتحمس، مثل: الحسين بوزيان الذي كان أستاذًا لامعًا بالفرع الزيتوني بتلك المدينة.

من أعلام قفصة المعاصرين

أنجبت قفصة على امتداد تاريخها القديم والحديث نخبة طيبة من الأعلام من الكتّاب والأدباء والشعراء، ومن أعلامها المعاصرين نذكر بالخصوص البحاثة الكبير أبا القاسم محمد كرّو أمدّ الله في عمره الذي أغنى المكتبة التونسية والعربية بما يزيد على ٧٠ كتابًا، والأديب عبد العزيز فاخت، والأديب محمد المختار جنات، والشاعر محمد عمّار شعانبة، والروائي إبراهيم الدرغوثي والشاعر الكبير عامر بوترعة رحمه الله، ورجل المسرح عبدالقادر مقداد الحائز على جائزة الدولة للمسرح، وأكرمه رئيس الدولة بوسام الاستحقاق الثقافي.



المرقوم القفصي

كما نذكر من أعلامها الأخوين محمود والمهدي ابنا الناصر: الأول طبيب ووصل إلى أعلى المراتب في علمه وتفوقه واختصاصه، والثاني محام وأديب وصحفي لامع، وكذلك النقابي الشهير أحمد التليلي.

واحات قفصة

تعد واحات قفصة من أهم الواحات في البلاد التونسية، وهي تنتج أنواعًا متعددة من التمور التي كانت في السابق تشكل مصدر عيش لأبناء المدينة، إلى جانب ما تشتهر به من أشجار أخرى، ولقد حظيت الواحات بمشروعات وبرامج إصلاح متواصلة خصوصًا بما يتصل بحسن تزويدها بمياه الري.

ويذكر عدد من المؤرخين أن عددًا من القوافل كانت تأتي إلى مدينة قفصة لتتزود من تمورها، ثم تعود بها في رحلات صحراوية، ويحمل تمر قفصة عبر هذه القوافل إلى أقاصي إفريقية حتى السنغال والنيجر.

مقاومة قفصة للاحتلال الفرنسي

قاومت مدينة قفصة بكل بسالة وشموخ الاحتلال الفرنسي، وانخرطت إلى جانب كل المدن التونسية الأخرى في مقاومة الاستعمار، وشهدت هذه المدينة عدة

مازال عدد من الآثار المعمارية قائمًا إلى الآن بمدينة قفصة شاهدًا على عظمتها ومقاومتها لكل مظاهر العنف والتطاول الذي تعرضت له

تعد واحات قفصة من أهم الواحات في البلاد التونسية، وهي تنتج أنواعًا متعددة من التمور التي كانت في السابق تشكل مصدر عيش لأبناء المدينة

وقائع سجّل بعضها المؤرخ التونسي أبو القاسم محمد كرّو، وخصوصًا حادثة إقدام الاستعمار الفرنسي على إعدام عدد من أبناء هذه المدينة الباسلة في يوم واحد أمام أعين الناس جميعًا، وما كان لذلك من وقع في نفوسهم.

ولقد انبرى عدد من شباب هذه المدينة إلى التحريض على مقاومة الاستعمار بكل شجاعة وبسالة، مثل الكيلاني المطوي، والحسين بوزيان، وأبو القاسم كرّو، ومحمد المهدي بن الناصر وغيرهم.

وشهدت جبال قفصة عددًا من المعارك الوطنية التي دارت رحاها بين التونسيين وجيوش الاستعمار، ومن أشهر هذه المعارك معركة جبل سيدي عش عام ١٩٥٤م، ووقعة قصر قفصة عام ١٩٥٢م، ومعارك جبل عرباط عام ١٩٥٤م.

أشهر المدن القفصية

عندما نذكر مدينة قفصة، يتبادر إلى الذهن على الفور اسم مدينة المتلوي، عاصمة الفسفاط في تونس، والمتلوي إحدى المدن التونسية العريقة، وهي تابعة إداريًا إلى ولاية قفصة، وقد اشتهرت بكونها عاصمة الفسفاط التي اكتشف بها منذ عام ١٩٠٣م، وهو ما أسهم في دعم مواردها الاقتصادية، إذ يوفر الفسفاط الشغل القار لأبناء الجمعة، وإطاراتها وكوادرها من مهندسين وفنيين. كما تعد مدينة القطار ذات الموقع الجبلي التي تمتاز بإنتاج الفستق والتين، وهي من أهم مدن قفصة. وكذلك تشتهر من مدنها الأخرى مدن أم العرائس والقصر، والتند مدينة المغاور الجبلية.

من معالم قفصة الحضارية

لا يمكن لزائر مدينة قفصة إلا أن يرى عددًا من المعالم الأثرية والحضارية التي مازالت قائمة إلى اليوم، شاهدة على تعاقب الحضارات على هذه المدينة الصامدة على الدوام، ومن أشهر هذه المعالم: البرج الأثري في قفصة الذي يحتضن صيفًا فعاليات المهرجان الثقافي، ووادي الباي بنخلته الشهيرة حيث يقفز الأطفال من أعلاها إلى وسط الماء في مشهد بديع لا يوجد إلا في مدينة قفصة، والطرميك ودار لونقو.

وتشرف جمعية صيانة مدينة قفصة على صيانة عدد من هذه المعالم الأثرية وتتعهدها بالرعاية والاهتمام.

المراجع

١. كتاب دراسات عن تاريخ قفصة وأعلامها، تأليف الأستاذ (أبو القاسم محمد كرّو)، نشر جمعية صيانة مدينة قفصة، ص٤٥.
٢. المرجع السابق، ص٥١.
٣. المرجع السابق، ص١٧.
٤. المرجع السابق.
٥. المرجع السابق.
٦. المرجع السابق، ص٣٩.
٧. مدينة قفصة قديمها وحديثها، تأليف محمد علي بلمولة.
٨- حصاد العمر، أبو القاسم محمد كرّو.
٩. مجموعة من النشرات وخصوصًا حولية إنجازات العهد الجديد الصادرة عن ولاية قفصة بمناسبة الاحتفالات بعيد السابع من نوفمبر.
١٠. مدينة قفصة عبر التاريخ، محمد الحرشاني، فصل نشر بجريدة الزمان، أكتوبر ٢٠٠٣م.
١١. مجلة مرآة الوسط، العدد ١١١، أكتوبر ٢٠٠٠م.
١٢. نشرية أصداء المناجم والأسمدة، الصادرة عن دائرة الإعلام شركة فسفاط قفصة.

العالمية والخصوصيـ



ـــة الحضارية

بركات محمد مراد

القاهرة ــ مصر

ظهرت العولمة Globalization وكأنها تُسقط على تاريخ المجتمعات الإنسانية شروطًا جديدة لتغيير مساره التقليدي، بحيث يتمركز حول جملة من القيم والرؤى المحدودة. إنها ترفع شعار توحيد القيم والتصورات والرؤى والغايات والأهداف بديلاً عن التمزق والتشتت والفرقة وتقاطع الأنساق الثقافية.

ولكن العولمة في دعواها هذه إنما تختزل العالم في مفهوم، وتتخطى حقيقته بوصفه تشكيلاً متنوعًا من القوى والإرادات والانتماءات والثقافات والتطلعات؛ لأن توحيدًا لا يقر بالتنوع سيؤدي إلى توتر يفجر نزعات التعصب المغلقة، وعودة إلى إحياء الخصوصيات الضيقة التي تتغذى من مرجعيات عرقية ودينية مغلقة، وذلك يقود إلى الارتماء في سجن الهويات الثابتة والمغلقة، فالتاريخ البشري لعوب في تحولاته، فكل رغبة في التعميم والشمول قد تفضي إلى التضييق المبالغ فيه، وكل دعوة إلى ضغط المجتمعات في إطار واحد، قد تنشأ رغبات احتجاجية مضادة ترفض الامتثال لعملية الدمج التي تنزع عن المجتمعات خصوصيتها الثقافية من لغة ودين وبنية اجتماعية ونفسية وأخلاقية، ويقود مسار التنازل إلى تعارض بين القيم ذاتها، إذ من الصعب الاحتكام إلى مبدأ التفاضل والتراتب حينما يكون الأمر متعلقًا بالبطانة الشعورية والثقافة للمجتمعات؛ لأنها نسبية، وتتحدد أهميتها من نوع العلاقة التي يقيمها الإنسان الذي ينتمي إليها (١).

إن العولمة تتجاوز هذه الخصوصيات، وتستبدل بها قيمًا تدعى أنها عالمية. إن القول بعالمية القيم أمر فيه مجانبة الحقيقة، لأن قيم العولمة إنما هي القيم الغربية التي تبلورت ضمن المحضن الغربي خلال القرون الثلاثة الأخيرة، إنها ذات القيم التي نشرتها المركزية الغربية وطبعتها بطابعها، وكذا كانت تلك القيم قد تشكلت في بيئتها الغربية في ظل شروط تاريخية معينة، فنزعة التمركز الغربي عملت على تعميمها لتصبح كونية.

اتجاهات متباينة

وكانت التجربة الاستعمارية قد أسهمت في إشاعة تلك القيم على مستوى العالم، لكن العولمة تجاوزت الأسلوب التقليدي فصاغت جملة من القوانين والضوابط الملزمة التي بها يصبح الأخذ بتلك القيم إجباريًا، ووظفت التقدم الكبير الذي بلغته الاتصالات من أجل إشاعة هذه القيم على أنها مرحلة أولى قبل فرضها قانونيًا على العالم. كلنا مستعد للإقرار بأن للعولمة تأثيرًا في الهوية الثقافية، ولكن من الطبيعي أن كلاً منا لا يرى هذا التأثير الذي يصدر عن ذلك الجانب من العولمة الذي يلمسه بيده، ومن ثم كان من الطبيعي أن يختلف المحللون لظاهرة العولمة، حول تحديد ذلك الأثر في الهوية الثقافية: ما هو بالضبط؟

هناك ـ مثلاً ـ من لا يرى في العولمة إلا اتجاهًا متزايدًا نحو تقسيم العمل وانتشار التكنولوجيا الحديثة من مراكزها في العالم المتقدم اقتصاديًا إلى أقصى

أطراف الأرض، ثم زيادة الإنتاج أضعافًا مضاعفة، وهو في سبيل ذلك مستعد لأن يغفر للعولمة أي تأثير سلبي يمكن أن ينتج منها في الهوية الثقافية، بل مستعد للقول بأن هذا التأثير السلبي في الهوية تافه أو بسيط، بل قد يذهب إلى حد القول بأن الهوية الثقافية سوف تفيد من العولمة بدلاً من أن تضار.

هناك أيضًا المفتونون بالحضارة الغربية بوجه عام، ليس فقط بكفاءتها المنقطعة النظير في الإنتاج المادي، بل في نقل المعلومات الغربية وتخزينها وتوفيرها لمن يريد الانتفاع بها، وبما حققه الغرب في مضمار التنظيم السياسي والاجتماعي والإنتاج الثقافي، أولئك المفتونون بالديمقراطية الغربية، وبالعلاقات الاجتماعية الغربية، وبغزارة الإنتاج الثقافي في الغرب ونوعه، ويتمنون لشعوبهم سرعة اللحاق بكل هذه الإنجازات، ويجدون في العولمة السبيل إلى ذلك.

ومن هؤلاء من لا تثير لديهم مسألة الهوية الثقافية إلا السخرية والاستهزاء، وهناك أيضًا الكارهون للعولمة، ولكن هناك مئة سبب محتمل لهذه الكراهية. هناك من يكرهونها لأنها تتضمن مزيدًا من الاستغلال الاقتصادي: يتجلى هذا فيما تفعله الاستثمارات الأجنبية الخاصة عندما تترك العالم في البلاد الرأسمالية نهبًا للبطالة، وتذهب إلى استغلال العمل الرخيص في البلاد الأقل نموًا! كما يتجلى في شركات الأدوية العملاقة التي تضغط من أجل أن تفتح لها كل بلاد العالم أبوابها لتحقق مزيدًا من الربح على حساب مستهلكي هذه الأدوية ومنتجيها داخل البلاد الأقل نموًا؟

ومن هنا يعلق الباحث جلال أمين (٢): نعم الهوية الثقافية لابد أن تعاني من جراء ذلك، ولكن المعاناة هنا ليست إلا نتيجة الاستغلال الرأسمالي، إذ تحمل كل هذه الاستثمارات الأجنبية وهذه السلع المستوردة في طياتها ثقافة مغايرة تسحق ثقافات الأمم المستوردة لها، لا







الفقراء وفخ العولمة

لغرض إلا لتحقيق مزيد من الأرباح، وحماية الهوية الثقافية واجبة، في نظر هؤلاء، وسيلة للتصدي لهذا الاستغلال، إذ إن إثارة الحمية الوطنية والحماسة للثقافة الوطنية قد تعطل هذا الاتجاه لدى الرأسمالية العالمية من الانتشار.

أنواع من الاغتصاب

في زمن سابق كان استنزاف الإمكانات البشرية من بلدان الجنوب يتم بالاغتصاب (اغتصاب مواطنين أفارقة من أوطانهم ومن بين ذويهم وشحنهم إلى بلدان أخرى بعيدة حيث يباعون كعبيد وتغتصب آدميتهم منهم) وأما في الزمن الحالي، فإن استنزاف الإمكانات البشرية من بلدان الجنوب يتم - أساسًا - بالحفز الانتقائي، وفي كلتا الحالتين، سواء بالاغتصاب أم بالحفز الانتقائي، فإن جزءًا من الشمال يستنزف لفائدته إمكانيات بشرية من الجنوب، في الزمن السابق كانت هذه الممارسة تمثل نزفًا للسواعد والعضلات، وأما في الزمن الحالي (عصر الرأسمال الذهني) فإنها تعدّ نزفًا للعقول والإمكانات المعرفية.

إن إصرار القوى المهيمنة في الشمال على أن تسخر لمصالحها الإمكانات البشرية في الآخر وهو الجنوب.

جعلها تقوم بتجميل عملية التسخير، إذ هي لا ترى فيها نزفًا للأدمغة وإنما تراها حفظًا لهذه الأدمغة من التعرض للأذى أو التدهور أو الفقدان إذا ما بقيت في الجنوب، وذلك لكون بلدان الجنوب وشعوبه غير قادرة على تطوير هذه الأدمغة والانتفاع بها (٣).

وهكذا، المهيمنون في الشمال يراوغون على الدوام، من أجل تعظيم مكاسبهم، بصرف النظر عما يحدث من أقلمة لإمكانات الجنوب. وفي جميع الأحوال يكونون هم - حسب المنطق الاستعماري - أصحاب الفضل. وإذا كانت عمليات الاغتصاب التي يمارسها الشمال ضد الجنوب، وعلى مدى قرون تتبدل وتتنوع بين اغتصاب للمواد الخام (المعادن - المطاط - البترول) واغتصاب للسواعد والعضلات (استعباد السود) واغتصاب للعقول (نزف الأدمغة)، فإن السؤال الكبير المطروح هو كيف السبيل إلى وقف كل هذه الأنواع من الاغتصاب والاستنزاف للجنوب الذي يتم على مدار العقود والقرون لمصالح دول الشمال؟



للاحتجاج أشكال يبدعها المسحوقون

فخ العولمة

وفي العصر الحاضر يقوم العالم المتقدم - باسم العولمة - بتقديم المسكنات إلى عالم الجنوب المتخلف في صورة وسائل تسلية وإعلام، من أجل إلهائه وتخدير أجهزته المناعية، عما يحاك له في الخفاء. ومن حسن الحظ أن الصحفي الألماني النابه هانس بيتر مارتن كان أحد ثلاثة صحفيين فقط من كل أرجاء العالم سمح لهم بحضور لقاء غير عادي عقد في سان فرانسيسكو في سبتمبر/أيلول عام ١٩٩٥م، ومع خمسمئة من القادة على المستوى العالمي في مجالات المال والسياسة والاقتصاد.

كان صاحب الدعوة إلى هذا اللقاء هو ميخائيل جورباتشوف من خلال معهده الذي كان قد تم تأسيسه في الولايات المتحدة بواسطة تبرعات بعض الأثرياء الأمريكيين. وكان مكان اللقاء فندق (الفيرمونت) الشهير، وحضره شخصيات مثل جورج بوش وما رجريت تاتشر ورئيس مؤسسة C N N ورؤساء بعض الشركات العملاقة المتعدية الجنسية.

لقد شكل هذا اللقاء بالنسبة إلى الصحفي بيتر مارتين أحد المعابر الرئيسة المهمة التي ساعدته هو وصديقه هارالدشومان على تكوين نظرة مختلفة إلى مسارات العولمة وتتابعاتها. وأدت بالصديقين الألمانيين إلى إصدار كتابهما الشهير«فخ العولمة» عام١٩٩٧م (٤). ومن خلال «فخ العولمة» نقل إلينا هانس بيتر مصطلحًا جديدًا وهو «تيتي تينمنت» عنوانًا لأطروحة مهمة ناقشها «كبراء العالم» المجتمعون في «الفيرمونت».

كان صاحب الأطروحة وناحت المصطلح هو السيد زيجينو بريجينسكي البولندي الأصل الذي كان مستشارًا



البنائي للفكر البريجينسكي وكذلك للقاء «الفيرمونت» يجسد حقيقة مهمة، هي أن شعوب العالم ومصايره ليست عند هؤلاء القادة أكثر من كرة صغيرة يسعون إلى اللهو بها، وحتى يستمر هذا اللهو لأطول زمن ممكن، عليهم أن يعملوا على أن تستمر الكرة مجرد كرة، وألاّ يحدث لها أو فيها أي تعديل أو انفجار.

حلمة العولمة

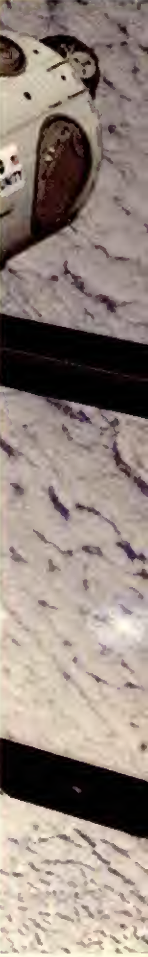
ومن هنا كانت سياسة (الحلمة)، التي تعدّ بمنزلة آلية إستراتيجية في إطار مناخ للعولمة الذي تهيمن عليه اتفاقيات التجارة الدولية (من خلال منظمة التجارة العالمية)، وتتلاشى الحدود وتتكسر الوطنيات، وتضمحل الصناعات المحلية، وتتعاظم أحجام الأموال القذرة وقدراتها(الناتجة من المضاربات)، وتضعف نقابات العمال والمهنيين واتحاداتهم، وتتقلص إمكانات الحكومات (في الدول النامية) بينما يتضخم نفوذ الشركات المتعدية الجنسية، وتتعاظم أنشطة الدعاية والإعلان والترويج الاستهلاكي. بينما يتزايد انكفاء جزء كبير من النخبة من المثقفين والمفكرين والعلماء على الذات المحدودة جدًا، من أجل الحفاظ على إمكانية مجاراة التطورات المالية والاستهلاكية.

وفي الحقيقة فالحلمة موجودة حتى قبل أطروحة بريجينسكي، وصناعات التسلية (الأمريكية بالذات) وقد حققت تطورات وانعكاسات اقتصادية واجتماعية مذهلة على المستوى العالمي، ذلك بالإضافة إلى القدرة الأمريكية الضخمة في مجالات الدعاية والإعلان والترويج الاستهلاكي باستخدام أحدث التكنولوجيات وأرقاها وأغلاها.

وهذا ما دعا «هانس ـ مارتين» في «فخ العولمة» (٦) إلى القول: إنه لم يعد ثمة شك في أنه لو طُلب من سكان المعمورة التصويت لأي لأسلوب في الحياة هم

للأمن القومي في إدارة الرئيس الأمريكي كارتر. وحسبما شرح بريجينسكي للمجتمعين فإن كلمة تيتي تينمنت مصطلح منحوت Entertainnment (تسلية) وTits (حلمة) وهي الكلمة التي يستخدمها الأمريكيون للثدي «دلالاً» لقد بين بريجينسكي أنه يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى «الحليب الذي يفيض عن ثدي المُرضع، فبخليط من التسلية المخدرة والتغذية الكافية يمكن تهدئة خواطر سكان المعمورة المحبطين».

وهكذا كانت الأطروحة تختص ـ موضوعيًا ـ بما يمكن أن نطلق عليه «حلمة العولمة» من حيث هي «ميكانيزم» لتسكين خواطر المحبطين (في كل أنحاء العالم) من جراء الرياح العولمية التي يصطنعها هؤلاء القادة «العولميون» وغيرهم. من هنا يؤكد الدكتور جلال أمين(٥). أن التركيب



يفضلون، لكان بوسعهم ذلك. فهناك ما يزيد على خمسمئة قمر صناعي تدور حول الأرض، مرسلة إشارات لاسلكية إلى الحداثة التي صارت تنعم بها بعض الشعوب، فبواسطة الصور الموجودة على شاشات مليار من أجهزة التلفاز، تتشابه الأحلام والأماني، على ضفاف الأمور ويانغ تسه Jang tse والأمازون والغانج والنيل. لقد اقتلعت الأطباق المستقبلة لما ترسله الأقمار الصناعية، وكذلك مولدات الكهرباء العاملة بالقوة الشمسية في المناطق النائية غير المربوطة حتى الآن بالشبكة الكهربائية، كما هو الحال في النيجر في غرب إفريقية ملايين من البشر «من حياتهم القروية رامية بهم في خضم أبعاد فلكية» كما قال برتراند شنايدر Bretrand Schneider الأمين العام لنادي روما (٧).

وبهذا فإن المعركة الدفاعية التي يشنها الحاكمون في الصين ضد رسائل الفاكس والبريد الإلكتروني E-mail، ومحطات البث التلفازي لم يعد القصد منها الوقاية من نسق اجتماعي مختلف، بل هي تهدف إلى المحافظة على ما يتمتعون به من سلطان. حتى في كوريا الشمالية وبعض البلدان الإسلامية، حيث تستكره الصور التي تبثها محطات التلفاز التجارية العالمية، حلّت الصور الفوتوغرافية والأقاصيص ذات الصور الدقيقة، مكان المحطات التلفازية هذه وأخذت تنتشر على مستوى عريض.

ويؤكد هانس ـ بيتر مارتين أنه لو قدر للستة مليارات إنسان الذين هم تقريبًا سكان المعمورة أن ينتخبوا الحياة التي يريدونها، لانتخب الغالبية العظمى منهم حياة الطبقة الوسطى السائدة في واحد من أحياء سان فرانسيسكو. لقد بدأت وسائل الاتصال والإعلام تصوغ وعي الشعوب صوغًا يرمي إلى تقبل نسق القيم الغربية، وفي خطوة لاحقة سيصار إلى تشريع المعايير اللازمة لتطبيق ذلك. وهو ما سيفضي إلى استبعاد كثير من التشكيلات الثقافية والقيمية الأصلية. والمفارقة أن العالم التقليدي لن يأخذ من عالم الحداثة إلا كل ما هو سطحي وبهرج وزائل غير متأثر بقيم علمية وحضارية ثابتة. كما أن ما تفعله التقانة (التكنولوجيا) الحديثة بهوية الإنسان داخل الدولة الواحدة ـ تفعل مثله بثقافات الأمم في العالم جميعه، فكما خلبت التقانة (التكنولوجيا) الحديثة، لب الفرد حتى استسلم لها، خلبت لب الأمم فضحت الواحدة بعد الأخرى بجزء بعد آخر من استقلالها الثقافي. وكما استخدمت طبقة التقانة (التكنولوجيا) الحديثة لقهر الطبقات الأخرى داخل الأمة الواحدة، استخدمت الأمم المتقدمة التقانة لقهر سائر الأمم (٨).

تناقض

ومن هنا يرى الدكتور عبد الله إبراهيم (٩) أن العولمة تشطر العالم إلى شطرين، وتعمق بينهما التناقض. عالم تمثله المجتمعات التقليدية، وتقوم العولمة بوضع التقنيات

هل ينجح العالم الثالث في المعركة الدفاعية؟





احتكار وسائل الإعلام والاتصال أحد عناصر قانون العالمية المعاصرة

الحديثة والاتصالات تحت تصرفه، فيقوم من خلالها بإعادة إنتاج الأفكار التقليدية الموروثة دون أن يتمكن من الانخراط في تحديث نفسه على مستوى إنتاج المعرفة العلمية العقلية التي يشترطها كل تحديث مهما كانت سياقاته الثقافية، وعالم آخر أنجز رهان الحداثة وهضمها، وتمثله المجتمعات الحديثة، وفيها تقوم العولمة بتحديث المعرفة وتجديدها بشكل مطّرد.

وثمة فرق كبير بين إعادة إنتاج معرفة تقليدية بوسائل حديثة، وإنتاج معرفة جديدة بوسائل حديثة. فذلك سيفضي إلى أن المجتمعات التقليدية ستنطوي على نفسها، وتشغل ببعث الأفكار الموروثة الخاصة بها التي حجزتها ضمن نسق اجتماعي - ثقافي شبه مغلق، إنها ستكون بعيدة عن إنتاج المعرفة المطلوبة من أجل التحديث.

وفي الوقت نفسه ستستأنف المجتمعات الحديثة تطوير المعرفة من آخر نقطة وصلت إليها. وحسب التحليل المعرفي - ووفقًا للرؤية السابقة - سترتمي المجتمعات التقليدية في أسر تصور ما للماضي وتجعله هدفًا لها، في حين سيكون المستقبل هو هدف المجتمعات الحديثة، حتى تلك الوسائل التقنية التي

ستضعها العولمة تحت تصرف المجتمع ستستخدم هذه المجتمعات التقليدية، لبعث الفكر التقليدي ونشره كما بدأت تظهر إلى العيان بوادر ذلك.

وبهذا ستكون العولمة بمواصفاتها الحالية من الأسباب الجوهرية لاتساع الهوة الثقافية والعلمية، بل والحضارية بين عالم الجنوب المتخلف وعالم الشمال المتقدم، وفي الحقيقة تعدّ الثورة الصناعية الثالثة من المصادر الرئيسة للتغيير والتحول الذي شهده ويشهده العالم في الوقت الراهن، وتستند هذه الثورة إلى إنتاج العقل البشري المتدفق واللانهائي من الأفكار والمعلومات والمعرفة المكثفة، وتمثل أبرز مظاهرها في التقدم التكنولوجي الهائل وخصوصًا في مجالات الاتصال والمعلومات والفضاء والحاسب الآلي بأجياله المختلفة والإلكترونيات الدقيقة والهندسة الوراثية.

وهكذا فإن هذه الثورة تمثل حجر الزاوية فيما يعرف بـ«مجتمع المعلومات» الذي يجسد عددًا من مظاهر «العولمة». ولا شك أن الثورة الصناعية الثالثة وما يرتبط بها من تحولات إنما تمثل عنصرًا مهمًا لإعادة تعريف عناصر القوة والتأثير، فضلا عن إعادة تعريف بعض المفاهيم الرئيسة مثل: السيادة والأمن والحدود الدولية ... إلخ، ولأن هذه الدول الصناعية المتقدمة والشركات العالمية العابرة لحدود الدول هي التي تتحكم بدرجات مختلفة وبأشكال مختلفة في مسارات هذه الثورات واتجاهاتها، فالمؤكد أنها أسهمت، وتسهم في تعميق الهوة بين الشمال والجنوب، وزيادة تهميش معظم دول الجنوب، وبخاصة في ظل ضعف قدرات وإمكانات هذه الدول على استيعاب هذه الثورة أو الاستفادة منها أو التكيف مع مخرجاتها (١٠).

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن الثورة الصناعية والاجتماعية قد أدت وتؤدي إلى إعادة تشكيل خريطة العلاقات والتوازنات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ليس على صعيد العلاقات بين الدول فحسب، ولكن على صعيد الدولة ذاتها أيضًا (١١).

صيغ قديمة متجددة

وقد يكون صحيحًا إلى حد بعيد أن دعاة العولمة، بمفهوم الهيمنة والسيطرة على العالم، وليس بمفهوم بناء المشترك الإنساني، الذي يحتفظ بالتنوع ويقوم عليه، ويراه أساس النمو الحضاري. والتقدم وإثارة الاقتداء والفاعلية، وتجميع الطاقات، للإقلاع الحضاري، حاولوا التمهيد، وتأهيل الشعوب وترويضها للقبول بالعولمة، التي تعني التسلط والاستعمار، بصيغ قديمة متجددة.

كل ذلك لإدخال الأمم والشعوب في مرحلة «الوهن الحضاري» وذلك بإقامة الاستبداد السياسي ومساندتها، لأنها تدمر الثقافة، والتربية والتعليم، والاقتصاد، وتغرس صفات الذل واليأس في النفوس، وتجعل المجتمعات هشة، وسريعة العطب والانكسار والاستسلام، وحتى الميل للانتحار الجماعي، أملاً في الخلاص.

هل يتعين أن نذكر سلسلة الانتحارات الجماعية وبطائفة «بوابة السماء» كما رأيناها متسمة بأسمائها وبغير أسمائها، إذ تدين بعبادة «سفن الفضاء» أو نذكر كيف ازداد المجتمع الأمريكي يومها اهتزازًا وهلعًا بعدما تابع تفاصيل الأشرطة التي تركها المنتحرون، وتبين الجميع أن الذي أعانهم على الإمعان في تصوراتهم وزادهم إصرارًا على ضرورة الانفلات من قبضة الأرض والخروج إلى الفضاء الرحب الفسيح عمق خبرتهم بالكمبيوتر وطول عشرتهم للشبكات المندمجة والعنكبوتية التي توجهها الإنترنت، أم قد يكفي أن نورد الإحصاءات التي ضبطت نسبة الحمل بين الفتيات المراهقات في بعض المجتمعات الحاملة للواء الأممية الجديدة. وهل ستنسى ذاكرة الإنسان المعاصر فظاعة مجازر الأطفال من



من يقنع من؟

بنين وبنات ضمن تجارة الجنس بالأحداث بعد اختطافهم وذلك في شبكة من الأخطبوط السلمي المتدرج إلى أعلى أهرام المجتمع الأوربي، وخاصة في بلجيكا وفرنسا.

وقد جاءت الصورة مروعة: إنها تشكلت بآليات التجارة والاستثمار: فيها الكفلاء وفيها الوسطاء، وفيها علية القوم، ومن يغطي ويستر ويستدر العائدات بحيث كدنا نشارف تدويلاً تجاريًا، وعولمة جنسية، وأممية في ممارسة الشذوذ الجنسي(١٢).

إن الحالة الراهنة والأنماط المستقبلية بالنسبة إلى الحقوق والعدالة الاجتماعية وظهور كثير من القيم الاجتماعية الجديدة تعتمد بشكل أساسي - كما يذكر أستاذ القانون ياشي كاي (١٣) - على التفاعل بين العولمة والتدويل. إن تأثير العولمة، ليس بين الطبقات أو الدول، فبعض الدول أكثر قدرة على استغلال الفرص التي توفرها العولمة، بينما تعجز دول أخرى عن مواجهة سطوتها. بعض الفئات أو الطبقات تستفيد من العولمة بينما يعاني بعضها الآخر منها.

حوار وجدل

بصفة عامة تستفيد من العولمة المؤسسات والطبقات الأكثر قدرة على تنظيم نفسها، عبر القوميات في تنظيمات دولية، بينما يبقى الآخرون تحت رحمة العمليات العالمية. لقد أثرت العولمة في كل من إطار الخطاب وممارسة حقوق الإنسان بشكل جذري، وقليل من القضايا المثارة جديدة، ولكن سياق التحليل قد طرأ عليه الكثير من التعديل، على سبيل المثال فقد وفرت العولمة زاوية جديدة لواحدة من أكثر القضايا جدلية وهو هل الحقوق عالمية أم خصوصية؟ وقد أثارت الجدل والحوار حول من هم المستفيدون الحقيقيون من نظام الحقوق، ومن يتحمل مسؤوليتها؟

وقد أكدت أيضًا الحوار الخاص بالعلاقة بين الحقوق الاقتصادية والاجتماعية وبين الحقوق السياسية والمدنية، وأيهما له الأولوية على الآخر؟ كما أنها من ناحية ثالثة أثارت الأسئلة حول أساليب تطبيق هذه الحقوق ومسؤولية المجتمع الدولي في حمايتها وطبيعة سيادة الدولة.


مارجريت تاتشر


جورباتشوف

وقد أثارت العولمة - بشكل متناقض - وعيًا عالميًا وأنعشت في الوقت نفسه نزعة إلى التعصب القومي، إن انتشار الآليات الدولية لحقوق الإنسان، من سهولة الاتصالات وازدياد المعرفة ببقية أنحاء العالم .. إلخ قد ساعد على تنمية المنظور الكوني إلى مجموعة من القضايا المحلية والدولية. ولقد نشأ عدد من الشبكات عبر القومية لمتابعة الكثير من القضايا والاهتمامات الخاصة بالجماعات المهنية والجماعات النسائية بالانتماء إلى كيانات عبر قومية تمتد فيما بعد خارج حدود الدولة الأم.

عشوائية واغتراب

وهذا الوعي يترسخ مع زيادة انتقال الناس عبر الحدود القومية (بالاختيار الحر أو نتيجة كونهم ضحايا

القهر) تكتسب الشعوب أيضًا معرفة بمختلف الثقافات، ويعيشون في جماعات متعددة الثقافات (١٤). ولكننا نرى أن تدويل القيم والمؤسسات يعزز نوعًا من العشوائية والاغتراب والخوف لدى الكثير من الأفراد والجماعات. إن زحف حدود السوق يهدد مجتمعات كانت قد حافظت وقتًا طويلاً على ثقافتها وأساليب معيشتها على مدى أجيال طويلة (مثل السكان الأصليين تحتوي مساكنهم على الكثير من الثروات الطبيعية) ويكون رد الفعل غالبًا تلك المؤسسات العالمية - التي غالبًا ما تهيمن عليها الدول الغربية الكبرى - وفي بعض الأحيان تتمسك هذه الشعوب بثقافتها الأصلية، وأحيانًا، بل غالبًا بشكل سلبي في اتجاه كراهية الأجانب، مما يؤدي إلى إنماء متعمد للولاءات والانتماءات الضيقة.

إن النظام العالمي الجديد يقوم على مسلمة أساسية هي إيجاد ما يشبه الحكومة العالمية ولو من خلال بناء المجتمع المدني العالمي أولاً. ولعل مؤتمرات الأمم المتحدة التي بدأت بمؤتمر الأرض ثم السكان ثم المرأة ثم المسكن، ثم الدعوة إلى إنشاء المجتمع المدني العالمي التي أصدرتها لجنة شؤون المجتمع العالمي (١٥) تؤكد ذلك وتؤسس له، ومن أهم العقبات أمام سريان النظام العالمي الجديد واستقراره حدوث خروج على قيمه ومعاييره التي من أهمها إزالة الخصوصيات وتذويبها وتحويل العالم إلى نسق واحد تحدده قيادة النظام العالمي الجديد. ولعل الموقف من الصين في موضوع حقوق الإنسان، ثم الحظر على كوريا الشمالية وكوبا وليبيا والسودان والعراق وإيران لا يخرج عن رفض النظام العالمي الجديد لأي مخالفة لمعاييره وقيمه العالمية، ومن خلال إطار تحكم خمسة من الاحتكارات تعتبر قانون العالمية المعاصرة وهي(١٦):

- الاحتكار التكنولوجي.
- احتكار التحكم في أسواق التمويل المالي العالمي.
- احتكار وسائل الإعلام والاتصال.
- احتكار الموارد الطبيعية لكوكب الأرض.
- احتكار أسلحة الدمار الشامل.

وهذه الاحتكارات تجعل من استمرارية العالمية أكثر احتمالاً من الانتقال إلى عصر الخصوصيات، ويجب أن نعي أن الخصوصية الحضارية، هي مرتبة وسطى في بناء حضارة من الحضارات إلى علاقة حضارتهم بغيرها من الحضارات، وسطى بين «المغايرة الكاملة» و«التماثل والتطابق التامين»، فالخصوصية تعني «التمايز» الحضاري و«التمايز» وسط بين (الوحدة) و(الفصل التام) وهذا يعني وجود مشترك إنساني عام بين مختلف الحضارات، لا تتمايز حقائقه وقوانينه ومعارفه باختلاف الحضارات وتعددها، ووجود خصوصيات تتمايز فيها وبها كل حضارة من غيرها من الحضارات ... كمثل الإنسان، ويشارك كل بني جنسه، في الإنسانية والخلق وفي كثير من المعارف وحقائق الأعضاء ووظائفها، ولكنه يتميز بالنفس والروح والمشاعر المميزة لذاته، وبالبصمة التي لا يشاركه فيها سواه من بني الإنسان (١٧).

ولذلك يؤكد الدكتور محمد عمارة أن «الحداثة الغربية» هي داعية «القطيعة المعرفية» مع الموروث، لأنها تتغيا إحلال «عصرها الغربي» محل «موروثنا الإسلامي» فإن المنهج الوسطيّ في علاقة «العصر» بـ «الماضي» وعلاقة المعاصرين بـ «الأسلاف». ومن هنا يميز التجديد بين «المقدس الإلهي» والاجتهاد الفكري والتجارب الإنسانية. فيلتزم الأول - مع فقهه - ويحتضن الثاني - مع النقد والاختيار منه، والبناء عليه، والتجديد فيه. فالتجديد تطور، ولكنه يتم داخل النسق الفكري وانطلاقًا من ثوابته، والتزامًا المقدس الذي تخلق من حوله ذلك النسق الفكري، وبهذا يفترق عن كل من «الحداثة» و«التقليد» ففيه «اتباع» في «الثوابت» وتجديد في المتغيرات.

إن لحظة التوق إلى الأمة العالمية، أو الحضارة

الإنسانية الجديدة توحي أكثر بالمعاني السامية للفكر الإسلامي في تعامله مع النصوص المرجعية، وتؤكد ثوابت الإسلام وضرورة التمسك بها، على الرغم من الحاجة الشديدة في العصر الحديث إلى إعمال الاجتهاد وبذل الجهد الإنساني في تحصيله وتفعيله. وأهم مبادئ الإسلام وثوابته، أفكار محورية مثل فكرة الاستخلاف في الأرض، وفكرة الأمانة التي حملها الإنسان، وفكرة أن المبشرين بالإسلام بمعناه التوحيدي هم خير أمة في العالم؛ لأنهم يعرفون المعروف ويأمرون به ويعرفون المنكر وينهون عنه، وهي كلها مقولات ووظائف لها الأخلاقية والتعالي والمصداقية مع ما يتطلع إليه اليوم الفكر الساعي عبر العولمة إلى تحديد إطار مرجعي عالمي جديد. ففكرة الاستخلاف تنطوي على احترام الإنسان للطبيعة فضلاً عن احترامه الإنسان ذاته والمجتمع والله، وهو ما يمكن التعبير عنه في الوقت الراهن بالانتقال من العقد الاجتماعي (جان جاك روسو) إلى العقد الطبيعي (فيشرسير) كما أن مفهوم الأمة التي وصف بها إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم يساهم في استقطاب جميع الأديان التي تنادي بوحدانية الله في جميع الديانات السماوية. ويعزز هذا المفهوم أيضًا إشكالية الخوض في حوار ديانات وحضارات وانطلاقًا من مبدأ التسامح الذي توفره اللحظة العولمية. وهذا ما كان غائبًا إلا في لحظات قليلة، قبل اليوم، علاوة على أن فكرة الأمانة ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ الأحزاب: ٧٢. منوطة بالإنسان، وتنطوي على الحرص على الآخرين ومسؤولية الأقوياء على الضعفاء، سواء في المجتمع الواحد أو في المجتمع الدولة.

إن وظيفة الإنسان المؤمن الصالح لكل العالم، الذي تأخر مجيئه، تجد مجالاً رحبًا ومواتيًا في عصر العولمة



التسلية المخدرة لتهدئة خواطر المحبطين

التي تحضر لما يعرف بـ «مجتمع الذات» أي المجتمع الذي يجد فيه الإنسان الذي يخاطب استمرار طاقاته الروحية والمادية لمصلحة المؤسسات الاجتماعية، وهكذا فالإنسان الذي يخاطب جوانبه وأبعاده كافة لا يصير مجرد رقم أو فرد، وإنما تربطه مع بقية المواطنين جملة من العلاقات الإنسانية تحدده، ويتحدد بها مع الآخرين. وما يعزز هذا التوجه هو انتقال الحديث عن «حقوق الإنسان» عندما تعني الرجل وأبعاده المادية إلى حقوق الإنسان التي يُراد بها ليس فقط الرجل، وإنما المرأة أيضًا علاوة على

الاهتمام بالحقوق الداخلية أو الروحية (١٨).

فوعي الإنسان بكل أبعاده وذاتية المجتمع الذي يعيش فيه مع اللحظة العالمية والتفكير في مصلحة العالم (١٩) يساعد على ازدهار الشخصية ورفعها إلى مجالات أرحب لتصوغ فقرات كاملة من البيان العالمي للحضارة الإنسانية الجديدة، تخاطب الجميع لأنها من الجميع.

وعامة فقد تعددت اتجاهات التفاعل مع العولمة بين المسلمين وهي تراوح بين اختيار إيجابيات العولمة حتى الدعوة لقيادة المسلمين في هذه المرحلة. وفي كل الأحوال أصبحت ردود الفعل جميعها أكثر واقعية وتكيفية، وخمدت النزعة الصراعية نسبيًا، وهناك اتجاه بارز هو أن المسلمين قادرون على أن يوجهوا بوصلة سير العالم مستقبلاً، إن صدقت النيات واجتمعت العزائم، يقول الدكتور المسيري (٢٠): «وعلى المستوى الثقافي نجد أن الهيمنة الغربية الثقافية بدأت في التراجع، والنموذج الغربي لم يعد جذابًا لا بشخصه الرأسمالي، ولا بشخصه الاشتراكي، بمعنى أن الاختراق الداخلي لهذه الحضارة، قد حدث، فالنظام الاشتراكي قد انهار والنظام الرأسمالي أصبح في أزمة». وهذا المدخل يعني أن المساحة قد أصبحت خالية أو مهيأة لأن يحل البديل الإسلامي محل النظم السابقة.

ولكن لا ننسى أن الطريق شاق وطويل أمام المسلمين لإقناع العالم ولا سيما الغرب بأهمية الخصوصيات الثقافية الإسلامية التي لا تتعارض ألبتة مع المواثيق والقوانين الدولية (٢١) ولكنها يمكن أن تكملها وتثريها بما فيها من مفاهيم وروحانيات، إنما الغرب في أشد الحاجة إليها، وعلينا أن نحدد معالم تلك الخصوصيات الثقافية الإسلامية التي تعدّ القاسم المشترك لشعوب الأمة الإسلامية التي أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون «خير أمة أخرجت للناس».

المراجع والهوامش

١. د. عبدالله إبراهيم: الحداثة والعولمة والمجتمع التقليدي، مجلة البحرين الثقافية ص ١٢، ١٣ العدد ٣٤، ربيع عام ٢٠٠٣م.
٢- د. جلال أمين: العولمة، ص ٤٥، ٤٦، كتاب اقرأ دار المعارف، العدد ٦٦٣، ط٢، عام ١٩٩٨م.
٣- د. محمد رؤوف حامد: القفز فوق العولمة، ص ٢٣، اقرأ العدد ٦٨٣، عام ٢٠٠٣م
٤- هانس، بيتر مارتين وهارالد شومان: فخ العولمة، ترجمة د. عدنان عباس علي عالم المعرفة، العدد ٢٣٨، الكويت، أكتوبر عام ١٩٩٨م.
٥- د. جلال أمين: العولمة، ص ١٤، ١٥.
٦- هانس، بيتر مارتين: فخ العولمة، س٤٣.
٧- حديث جرى معه في باريس بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٩٢م.
٨- د. جلال أمين: العولمة، ص ٥٩.
٩- د. عبدالله إبراهيم: الحداثة والعولمة، ص ١٣، ١٤، مجلة البحرين الثقافية العدد ٣٤ ربيع ٢٠٠٣م.
١٠- لمزيد من التفصيل انظر د. أسامة الغزالي حرب: تهميش العالم الثالث واحتمالات تهميش الوطن العربي. ود. محمد السيد السعيد: الوطن العربي والمتغيرات العالمية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة عام ١٩٩١م.
١١- د. حسين توفيق إبراهيم: العلاقة بين أطروحتي «نظام عالمي جديد» و«عولمة» مجلة منبر الحوار ص ٧٥، ٧٦ بيروت شتاء عام ١٩٩٩م.
١٢- د. عبدالسلام المسدي: العرب والكونية الثقافية، ص٤٤٥، مؤتمر مستقبل الثقافة العربية، المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٧م.
١٣- ياشي كاي: العولمة، حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، ص ٢٣، مجلة رواق عربي، العدد٩، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٤- السابق، ص ٣٣.
15- Claude Ake, Democracy and Development in AFrica (Washing) 1996 p.125.
١٦- د. نصر محمد عارف، التنمية من منظور متجدد، ص ٩٥، ود. عبدالله عبدالدائم: في سبيل ثقافة عربية ذاتية. دار الآداب. بيروت، عا م١٩٨٣م.
١٧- د. محمد عمارة، في الإبداع الحضاري، مجلة الهلال، ديسمبر عام ٢٠٠٢م.
١٨- انظر: د. محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت عام ١٩٩٤م، وانظر محمد أركون: الأصول الإسلامية لحقوق الإنسان، في كتاب الفكر الإسلامي نقدًا واجتهادًا ترجمة وتعليق هاشم صالح. الجزائر عام ١٩٩٣م.
١٩- نور الدين ثنيو، العولمة من منظور مختلف، مجلة الكلمة، العدد ٢٦، بيروت، صيف ٢٠٠٢م
٢٠- د. عبدالوهاب المسيري، ندوة الإسلام والعولمة، ص ٨٤، ٨٥.
٢١- د. فوزية العشماوي: الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية، مجلة رؤى، العدد١٦، باريس ٢٠٠٢م.

حاضر العلاقات السعودية البول



...ندية ومستقبلها

كشيشتوف بلومينسكي*

الرياض – السعودية

احتفى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالذكرى السبعينية لزيارة الأمير فيصل بن عبدالعزيز لبولندا، التي تحولت إلى فعالية كبيرة في هذا المركز، وأيضًا في جامعة وارسو، شارك فيها الباحثون البارزون من البلدين.

إن إقامة الفعاليات المذكورة تسمح لي الآن بالتركيز في الموضوعات الحالية الخاصة بالعلاقات السعودية البولندية؛ لأن الجوانب التاريخية لها أصبحت معروفة للمهتمين بالموضوع، وكذلك للمجتمع السعودي إلى حد ما.

علاقات عميقة

أود أن أشير فقط إلى عمق الأسس التاريخية البولندية السعودية التي تعود إلى بداية القرن التاسع عشر الذي شهد عددًا من البعثات البولندية، وزيارات الرحالين البولنديين، وأشهرهم الكونت فاتسلاف جيفوسكي الذي وصل إلى نجد، وترك للأجيال القادمة المخطوطة حول الرحلة مع الرسومات الرائعة، ونوتات الأغاني البدوية، وقوائم بأسماء القبائل والعشائر الشمّرية والنجدية، وتمت طباعة المخطوطة مؤخرًا في فرنسا بعد أن أصبح موضوع الرحلة معروفًا عالميًا عقب المقالات التي نشرت في مجلة عالم أرامكو السعودية ومجلة الفيصل.

والمرحلة الثانية من العلاقات التي يجب أن أذكرها تعود إلى فترة بناء الدولة السعودية الفتية، وفترة إعادة بناء الجمهورية البولندية الثانية عقب الحرب العالمية الأولى، وبعد ١٢٥ سنة من تقسيمها واحتلالها. ومنذ أواخر عشرينيات القرن العشرين شهدت العلاقات كثافة الاتصالات، وبدأ التعاون المنوّع الذي شمل التبادل التجاري، وتزويد المملكة بكميات من الأسلحة والمنتجات الصناعية والزراعية، والخيول من الأصل العربي.

والجدير بالذكر أن أول اتصال ثنائي رسمي تم خلال عام ١٩٢٩م عندما قام مندوب الملك عبدالعزيز بزيارة وارسو، وهذا ما شجع السلطات البولندية بالاعتراف بالدولة السعودية كدولة تاسعة في العالم في خريف عام ١٩٢٩م. ويمكن لزوار قلعة المصمك التاريخية أن يستدلوا على ذلك عند الاطلاع على الوثائق الموجودة هناك.

وعندما نقوم اليوم بالاطلاع على سير المحادثات والمقابلات بين الملك عبدالعزيز والمبعوثين البولنديين من الحكومة والمفتشية العامة عام ١٩٣٠م نرى مع بعض الاستغراب عمق الثقة والاحترام المتبادل، والتحمس لإيجاد فرص التعاون لتتقوى العلاقات بين البلدين على قلة المعرفة المتبادلة، والبعد الجغرافي، وعدم تجربة التعاون المسبق. ويا للأسف الشديد انقطع هذا التعاون المثمر مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، ومجيء حكومة شيوعية بعدها لتحل في وارسو وتحكم بولندا. وأصبحت حقائق هذا التعاون منسية تقريبًا تمامًا حتى



الأمير فيصل لدى زيارته رئيس جمهورية بولندا

لرجال العلم والسياسة في كلا البلدين، كما تم تمزيق أغلبية الوثائق وفقدانها خصوصًا في بولندا التي مرت بست سنوات من الاحتلال النازي المدمر تم خلاله إبادة الكثير من المثقفين، وتدمير كثير من التحف والوثائق الوطنية أو سرقتها. ويبدو أن بعض الصور الفوتوغرافية النادرة المتعلقة بزيارة الأمير فيصل بن عبدالعزيز لبولندا قد عثر عليها في الأرشيف البولندي في العام الماضي البروفيسور أنجي كابيشيفسكي من جامعة كراكوف، وسعادة السفير السعودي أسامة السنوسي؛ وهذا يدل على أنه ليس كل شيء مفقودًا. وأن استمرار البحوث قد يؤدي إلى اكتشافات جديدة خصوصًا في الأرشيفات السعودية، كما كان الأمر مع بعض الوثائق التي اكتشفها الدكتور فهد السماري، أو في الأرشيفات الأجنبية بما فيها الروسية التي استخرج منها الدكتور عوض البادي تقرير السفير السوفييتي حول زيارة الوفد البولندي لمدينة جدة في عام ١٩٣٢م.

عودة بعد انقطاع

واستمرت فترة انقطاع العلاقات والجمود . على

انضمام بولندا إلى الاتحاد الأوربي من المحتمل أن يسمح لوارسو بتعديل أولويات حالية ـ أوربية وأطلسية ـ إذ سيكون أكثر التركيز في التعاون مع أهم الشركاء في مختلف أنحاء العالم بما فيها السعودية



الأمير فيصل يزور مجلس الوزراء البولندي

الرغم من وجود التجارة الملموسة عن طريق الوسطاء العرب والأجانب حتى نهاية الثمانينيات عندما تمت في بولندا التحولات السياسية الجذرية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم.

ومن الممكن أن تستغرب من الحدث السياسي المنفرد المسجل في هذه الفترة، وهو زيارة بعثة حسن النية البولندية برئاسة السفير البولندي في أنقرة لمدينة جدة في عام ١٩٥٦م الذي أجرى المحادثات مع بعض القادة السعوديين التي نعرف القليل عن مضمونها، وزيارة وفد رابطة العالم الإسلامي في عام ١٩٨٦م برئاسة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الذي قام بتأليف الكتاب عن هذه الرحلة بعنوان «مع المسلمين البولنديين - رحلة وحديث عن الإسلام» وطُبع هذا الكتاب في الرياض في عام ١٩٩٢م، وهو الوحيد الذي نشر بخصوص بولندا في السعودية حتى الآن.

والمرحلة الثالثة لبناء العلاقات البولندية السعودية بدأت عام ١٩٨٩م، وارتبطت بمشاركة البلدين في حرب تحرير الكويت، وانتشار بعض الوحدات البولندية المساندة في الأراضي السعودية بناء على الاتفاقيات الثنائية الخاصة بهذه العملية.

ولا أستطيع حتى الآن أن أجيب عن السؤال الذي يخطر على البال دائمًا لماذا لم توافق الحكومة السعودية في ذلك الوقت على المبادرات المتكررة من الحكومة البولندية بخصوص إقامة العلاقات الدبلوماسية أو إعادتها؟ وينتظر هذا الموضوع مع غيره من الموضوعات البحث والتحليل من قبل الباحثين ورجال السياسة. ويظهر أن هناك أكثر من سبب ناتج من طبيعة السياسة السعودية، ورغبة القادة السعوديين في إثبات دائمية التحولات في بولندا وفي أوربا الشرقية جميعًا، وتفكك الاتحاد السوفييتي نهائيًا. ويبدو أن تجربة التعاون القائم بين البلدين بين الحربين العالميتين لم تكن معروفة لصانعي السياسة السعودية ولكنها كانت موجودة في ذاكرة الرجال المسنين. هذا وأذكر أول لقاء لي في بولندا مع الشيخ محمد سعيد بن جبير رئيس مجلس الشورى السعودي - رحمه الله - خلال زيارته الرسمية لبولندا في عام ١٩٩٩م حيث قال لي: إنه يتذكر من أيام طفولته

في اعتقادي يجب أن تبقى المملكة العربية السعودية شريكًا مهمًا لبولندا في العالم العربي والإسلامي، ودولة تستفيد من المكانة الخاصة في سياسة بولندا الخارجية



استقبال الأمير فيصل في محطة القطار

طعم الحلاوة البولندية الموجودة في المحلات السعودية في الثلاثينيات من القرن العشرين، وفي مقدمتها الحلاوة التي تسمى (البقرة البولندية).

حدث له مغزاه

وأخيرًا بتاريخ ٣ مايو/ أيار١٩٩٥م قررت الد ولتان إقامة العلاقات الدبلوماسية وهذا التاريخ يصادف العيد البولندي القومي مما يعطي لهذا الحدث الصفة الرمزية بالإضافة إلى الأهمية الخاصة لشهر مايو في العلاقات البولندية السعودية وهو الشهر الذي تمت فيه زيارة أول وفد بولندي لجدة، وزيارة الأمير فيصل لبولندا، وإقامة ندوتي الرياض ووارسو حول العلاقات الثنائية. وبذلك بدأت مرحلة بناء البنية التحتية للعلاقات تسير في طريقها الصحيح حتى الآن التي اقتربت من تحقيق أهدافها الرئيسة في الإطار العملي.

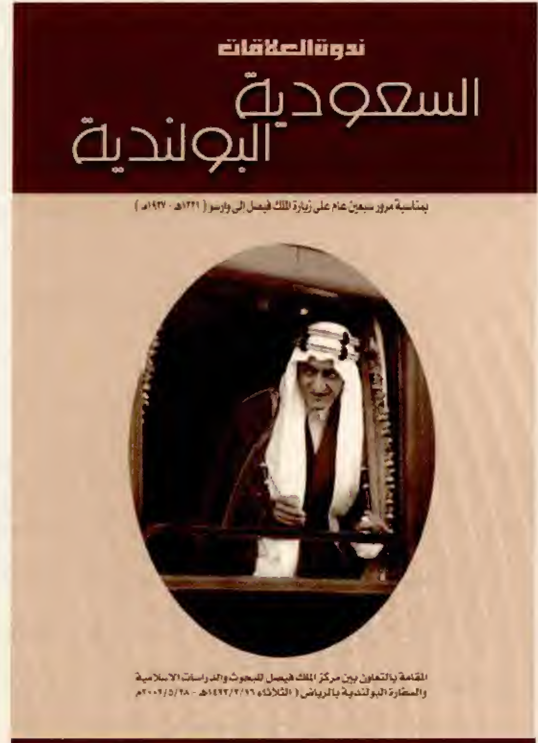
ورحبت الحكومة البولندية بإقامة العلاقات، فقد قام وزير الخارجية البولندي البروفيسور بارتوشيفسكي بزيارة عاجلة للرياض أصبحت رمزًا لرغبة البلدين في إيجاد آفاق أوسع للتعاون. ولكن تحريك العلاقات كان أمرًا صعبًا وبطيئًا بسبب انشغال بولندا بالأمور الداخلية والأوربية والأطلسية، وعدم المبادرات السعودية، وعدم وجود البعثات الدبلوماسية؛ إذ تم تأسيس السفارة البولندية في الرياض في شهر يوليو/تموز عام ١٩٩٨م فقط؛ وذلك للأسباب المالية والتنظيمية، وبعد ٣ سنوات تم افتتاح السفارة السعودية في وارسو في أكتوبر/ تشرين الأول عام ٢٠٠١م.

وحين نَنظر إلى جدول الأنشطة الثنائية منذ عام ٢٠٠٠م نرى هناك تكثيفًا للفعاليات والزيارات المتبادلة لم يكن له مثيل، وتعاونًا متزايدًا بسرعة، ونلاحظ دخولاً تدريجيًا في مجالات التعاون الجديد في الأصعدة

السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية والعلمية والإعلامية والبرلمانية والعسكرية والاستخباراتية وغيرها.

كما تم إرساء القاعدة الهيكلية للتعاون المدعوم بالمشاركة الشعبية إذ تم تأسيس جمعية الصداقة البولندية السعودية في بولندا، وإنشاء غرفة التجارة البولندية العربية، وإقامة مجلس الأعمال المشترك، وفتح بعض مواقع الإنترنت يديرها طلبة كليات اللغة العربية والمستشرقون الذين ينقلون إلى المجتمع البولندي مزيدًا من المعلومات حول المملكة، والتعاون المثمر، والتطورات الجارية. وعلى الرغم من الظروف الصعبة في المنطقة العربية في النصف الأول من هذا العام والمرتبطة بالحرب على العراق تم تسجيل تحرك

غلاف كتاب ندوة العلاقات السعودية البولندية



استثنائي من الزيارات المتبادلة في النصف الثاني من هذا العام شملت من الجانب البولندي وزير الدفاع، ورئيس الاستخبارات العامة، والمبعوث الخاص لرئيس الجمهورية، ومن الجانب السعودي رئيس مجلس الشورى وبعض الأمراء المهمين، بالإضافة إلى تبادل الوفود الإعلامية والعلمية والثقافية.

وجاءت الزيارة الأخيرة للوفد الحكومي الاقتصادي البولندي برئاسة نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير البنية التحتية، والبعثة التجارية المكونة من عشرات المندوبين لأكبر الشركات البولندية تتويجًا لتطوير العلاقات في هذه الفترة التي شهدت أيضًا توقيع الاتفاقية العامة للتعاون في مجالات الاقتصاد والتجارة والاستثمار والتقنية والثقافة والسياحة والشباب والرياضة وهي الاتفاقية الأولى من هذا النوع التي تسمح أن تكون صيغتها سارية المفعول بعد دخول بولندا إلى الاتحاد الأوربي. ومن الممكن أن نقول: إن الزيارة المذكورة تُنهي المرحلة المعينة في تطوير العلاقات، وتفتح المرحلة الجديدة التي ستتطور فيها العلاقات على المستوى الأعلى من المستويات التي سجلناها حتى الآن.

أجل! . إلى أين وصلنا؟

إذ حاولت أن أجيب عن هذا السؤال فمن الممكن أن شير إلى الأمور الآتية:

. لا شك أنه تم إنشاء جو من الثقة والاحترام المتبادل بين قادة الدولتين على مختلف الأصعدة، بالإضافة إلى إيجاد فرص اللقاء وحدوث الاهتمام المساند لتطوير العلاقات عند مختلف الفئات الاجتماعية، ومن بينهم الباحثون والإعلاميون والمفكرون.

. تبلورت المصالح المشتركة بين رجال الأعمال في كلا البلدين على الرغم من قلة التبادل التجاري والاستثمارات، وهذا ما أصبح عاملاً مهمًا في تنمية التعاون واستقراره.

ـ تم إنشاء القاعدة القانونية الأساسية للتعاون مع توقيع الاتفاقية الإطارية وبدء العمل على توقيع اتفاقيات أخرى خاصة بالنقل الجوي والشؤون الأمنية وحماية الاستثمار ومنع الازدواج الضريبي وغيرها.

ـ ستصبح سفارتا الدولتين في وارسو والرياض عاملاً مهمًا في إيجاد روابط فريدة في الهيكلة الحكومية والشعبية.

ـ يوجد هناك الفهم والإدراك المتزايدان في العاصمتين عن أهمية موقف الشريك في منطقتهما الجغرافية، وأهمية التعاون الثنائي في أوسع الأطر.

ـ تم إدخال عامل الشراكة، مع الأخذ في الحسبان مصلحة الجانب الآخر، وهو العامل الرئيس القيم جدًا في جميع أشكال التعاون.

إن الأمور المُشار إليها آنفًا مهمة جملة وتفصيلاً، ولكنها في رأيي أنا غير كافية للضمان تلقائيًا لاستقرار سير العلاقات على المدى الطويل وسلامتها. والأمر يحتاج إلى العمل المستمر لتعميق ما وصلنا إليه حتى الآن وبدأ العمل ببرنامج مستقبلي لتطوير العلاقات يشمل جميع المجالات، ويحمي التعاون من التقلبات الموسمية التي من الممكن أن تؤثر تأثيرًا سلبيًا، ومن بينها ظروف إقليمية ومحلية وسياسية وداخلية في كلا البلدين.

جاذبية

إن انضمام بولندا إلى الاتحاد الأوربي من المحتمل أن يسمح لوارسو بتعديل أولويات حالية ـ أوربية وأطلسية ـ إذ سيكون أكثر التركيز في التعاون مع أهم الشركاء في مختلف أنحاء العالم بما فيها السعودية، وستتقوى جاذبية بولندا للمستثمر السعودي. ونتمنى أن يكون الدور البولندي الإيجابي في استقرار الأوضاع في العراق عاملاً في سبيل تقوية التعاون مع الدول العربية، وفهم أحسن لظروف المنطقة من قبل المجتمع والإعلام البولنديين. ومن جهة أخرى الإصلاحات السعودية الاقتصادية والاجتماعية وبرامج التنمية الطموحة تحمل فرصًا إضافية للتعاون بشرط عدم تأثير التطورات الداخلية في علاقات البلاد الخارجية. وأنا أؤكد لكم أن بولندا تقدر سياسة المملكة في مجال استقرار سوق الطاقة العالمي، والسياسة المتزنة في الشرق الأوسط، وترى إمكانية أوسع للمشاركة في الحرب ضد الإرهاب، وغيرها من الظواهر السلبية السائدة في العلاقات الدولية.

وتتطلب المرحلة القادمة جهودًا إضافية ومكثفة من كل الأوساط الرسمية والشعبية المرتبطة بالتعاون، ورفع مستوى الاتصالات الحكومية بحيث تشمل زيارات قادة الدولتين، بالإضافة إلى إرساء تجربة التعاون في المجالات الراهنة

انقطع التعاون المثمر بين المملكة العربية السعودية وبولندا مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، ومجيء حكومة شيوعية بعدها تحل في وارسو وتحكم بولندا

تم إرساء القاعدة الهيكلية للتعاون المدعوم بالمشاركة الشعبية إذ تم تأسيس جمعية الصداقة البولندية السعودية في بولندا، وإنشاء غرفة التجارة البولندية العربية، وإقامة مجلس الأعمال المشترك



الأمير فيصل يغادر القصر الجمهوري

كافة. وتتطلب هذه المرحلة أيضًا إزالة عدم التوازن في الاتصالات المتبادلة الرسمية بفضل تنفيذ زيارات كبار المسؤولين السعوديين لبولندا، واستمرارية النشاط المتميز للسفارتين اللتين ساهمتا في بناء البنية التحتية للعلاقات. كما أشار إلى هذا صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في حديثه مع نائب رئيس مجلس الوزراء البولندي في أثناء زيارته للسعودية، وكما أشار إليه الرئيس البولندي أكثر من مرة. ومن أهم الفعاليات في برنامج تبادل الزيارات هي زيارة محتملة لرئيس جمهورية بولندا التي نتمنى أن يقوم بها في ربيع عام ٢٠٠٤م عشية انضمام وارسو إلى الاتحاد الأوربي.

وفي اعتقادي يجب أن تبقى المملكة العربية السعودية شريكًا مهمًا لبولندا في العالم العربي والإسلامي، ودولة تستفيد من المكانة الخاصة في سياسة بولندا الخارجية.

وأنا على يقين أن المسؤولين السعوديون يرون أن مكانة وارسو في ترسيم السياسة الأوربية السعودية تزداد مع تنمية العلاقات، وتقوية المكانة الأوربية لبلادي، وهي عضو في الحلف الأطلسي، والبلد ذو الأربعين مليون نسمة الذي سيدخل بعد ستة أشهر في الاتحاد الأوربي سيؤدي فيه دورًا إيجابيًا مهمًا متماشيًا مع وزنه السياسي والاقتصادي والديموغرافي، إذ ستستفيد هذه المنظمةمن تجربة بولندا الجيدة في التعاون مع الدول العربية، والخبرة في إجراء الحوار الحضاري، ومعرفة الامتيازات التي من الممكن أن تستفيد منها مختلف الشعوب بسبب تطوير علاقات الصداقة والتعاون المبنية على أسس الاحترام المتبادل، والمنافع المشتركة. واحترام القيم الحضارية والمدنية والإنسانية والدينية.

وأنا شخصيًا أفتخر بأن أتيحت لي الفرصة للمشاركة في تحريك العلاقات السعودية البولندية بصفتي أول سفير لبولندا، كما أنني أفتخر بالتعاون بهذا الصدد مع الأصدقاء السعوديين الكثيرين، ومنهم الموجودون معنا في هذه القاعة الذين اكتسبتهم خلال أربع سنوات من مهمتي سأكملها بعد ستة أسابيع من الآن.

وفي الختام، شكرًا بل ألف شكر على هذا التعاون وهذه الصداقة اللذين سوف أحتفظ بهما في المستقبل عند ممارستي مهام جديدة في ديوان وزارة الخارجية البولندية بوارسو.

ومرة أخرى أعبر عن امتناني لضيافة هذه المحاضرة من قبل هذا المركز الذي يحتفظ في متحفه بأعلى وسام بولندي (بولونيا ريستيتوتا) قد منح للأمير فيصل بن عبدالعزيز من الرئيس البولندي قبل ٧١ عامًا.

❖ نص المحاضرة التي ألقاها سعادة السفير البولندي السابق لدى المملكة العربية السعودية كشيشتوف بلومينسكي في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض يوم الإثنين ٢٠ أكتوبر /تشرين الأول ٢٠٠٣م الموافق ٢٤ شعبان ١٤٢٤هـ بعنوان «حاضر العلاقات السعودية البولندية ومستقبلها».

لمحة إلى تاريخ علوم المسلمين

ورحلتها من الشرق إلـ


الترتيب الاول حتى اذا صار في مقابلة الشمس يمحق نوره ويعود الى الموضع وهذه صورته

فصل في خسوف القمر

سببه توسط الارض بينه وبين الشمس فاذا
كان القمر في احدى نقطتي الراس والذنب
او قريبا منه عند الاستقبال توسط الارض
بينه وبين الشمس فيقع في ظل الارض فاعدته دايرة
صفحة الارض لان الخطوط الشعاعية التي
تخرج من الشمس الى جرم الارض لا يكون متوازية
فاذا اتصلت بمحيط الارض وتفرقت في الجهة الاخرى
تلاقت عند نقطة فيحصل ظل الارض على شكل
المخروط فاذا لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج
عند الاستقبال وقع كله في جرم المخروط
فيخسف كله ويكون له مكث وان كان
له عرض فيخسف بعضه وربما يماس جرم القمر مخروط الظل فلا يقع فيه شيء وذلك اذا كان عرض القمر مساويا لنصف مجموع
القطرين اعني قطر القمر وقطر الظل واذا كان اقل من نصف القطر يخسف بعضه وهذه صورته

...ى الغرب

نصرالدين محمد صالح فرفور

الرياض ـ السعودية

إن الكلام على علوم المسلمين وعلمائهم هو عمل موسوعي يحتاج إلى مجلدات. وقد كُتب فيه الكثير قديمًا وحديثًا. وإن لم يُجمع تحت عنوان واحد حتى الآن. كَتب فيه العرب والمسلمون والمستشرقون والمستعربون. ولم يوفَّ هذا الموضوع حقه بعد. ولا جزءًا يسيرًا من حقه. فحقُّ هؤلاء العلماء وما أبدعوه من علوم في مختلف المجالات على مر القرون الطويلة هو أمر لا يُدرك مهما فعلنا وقلنا. وإنَّ لهم دَيناً في رقاب البشرية لا تستطيع تسديده حتى قيام الساعة. لقد أفنى هؤلاء العلماء أنفسهم في سبيل إسعاد البشرية. بحثوا في كل شيء يمكن أن يخطر على بال. وألفوا فيه أسفاراً وكتباً جليلة القدر وعظيمة الفائدة.

ولم يَضِنُّوا بعلومهم على قريب أو بعيد، مسلم أو غيره، كان همهم العلم والتعليم والعطاء، وكان ديدَنُهمَ سعادة الإنسان في دنياه وأخراه، ولم يكن العلم عندهم في سبيل الدنيا أو المال أو الشهرة، وهم يعرفون أن كل هذا يمكن أن يأتي بفضل العلم، فأخلصوا ولم يجعلوا الدنيا غاية بذاتها، فمنهم من رحب بها، ومنهم من ابتعد عنها، وهم كثير، هؤلاء ابتغوا مرضاة الله سبحانه وتعالى في خدمة عباده متمثلين بمعنى قول نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم أنَّ من كَتَم علماً لجِمَ بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة.

عُرف علماء المسلمين بالشمولية والموسوعية في علومهم فضلاً عن الموضوعية والتخصص. فكثيراً ما نرى أو نسمع عن كتب مهمة في موضوعاتها المختلفة، وقد تكون فريدة في نتائجها، وهي من تأليف عالم واحد كالكِندي أو ابن سينا أو ابن رُشْد أو الفارابي أو الرازي أو غيرهم، فالواحد منهم كان فيلسوفاً وطبيباً وفقيهاً وشاعراً وفلكياً وموسيقياً ورياضياً «عالماً بالرياضيات» وهو في كل ذلك مُبرِّز، وقد نرى منهم من أَلَّف في أكثر من خمسين علماً وفرعاً وموضوعاً، وله في كل ذلك خمسمئة كتاب أو يزيد، وقد يكون منهم من توفي وهو دون الستين سنة من عمره كالإمام الغزالي الذي لو وُزعت مؤلفاته الجليلة على عشرين عالماً لكفتهم، وهو في كل كتبه الفكرية والفلسفية والشرعية وغيرها مُحَلِّقٌ لا يكاد يُطال.

لقد رأينا أن نكتفي في هذا المبحث المهم المتعلق بتاريخ الحضارة الإسلامية بأن نتناول هذه العلوم بشكل موجز جداً نتكلم فيه على تطورها وشموليتها والإبداع فيها، ثم نتطرق بإيجاز أيضاً إلى انتشارها في بلاد المسلمين، وبعد ذلك نسلط شيئاً من الضوء على رحلتها إلى الغرب الذي استطاع بجهود مضنية من علمائه وخلال عدة قرون أن يستوعبها ويَفيد منها، ولا يزال، كما سيتضح معنا في آخر هذا المبحث، إن شاء الله تعالى.

لمحة إلى علوم المسلمين: "التطور ـ الشمولية ـ الإبداع"

اصطلح كثير من العلماء المتأخرين على تقسيم علوم المسلمين من ناحية موضوعاتها إلى سبعة أقسام

رئيسة، وهي:

الشرعية: وهي التي تتناول علوم الدين الإسلامي وشريعته، مثل: تفسير القرآن الكريم ـ الحديث الشريف ـ مصطلح الحديث ـ الفقه ـ أصول الفقه ـ المواريث ـ العقيدة.

العربية: وهي التي تبحث في اللغة العربية،مثل:اللغة ـ أصول اللغة ـ القراءات ـ المعاجم ـ النحو ـ الصرف ـ البلاغة ـ الأدب ـ الشعر.

الكونية: ويندرج تحتها الفلك ـ الهيئة ـ الزيج ـ الأسطرلاب ـ الميقات ـ النجوم ـ الأنواء «الأرصاد الجوية».

التطبيقية أو التجريبية: وهي، الطب ـ الأقرباذين «الصيدلة» ـ الكيمياء ـ الزراعة ـ الحيَل «الميكانيكا» ـ العمارة والبناء ـ التعدين ـ البيطرة ـ النبات ـ الحيوان ـ الحشرات.

البحتة: وهي، الهندسة الرياضية ـ الجبر ـ الحساب ـ الفيزياء.

الإنسانية: وهي التى تتناول علوم التاريخ ـ التراجم ـ الجغرافية ـ الفلسفة ـ المنطق ـ الاجتماع ـ السياسة ـ علوم البحار ـ طبقات الأرض وتضاريسها.

المعارف: مثل، الموسيقى ـ الأحجار والجواهر ـ الشطرنج ـ الرياضة البدنية ـ الطبيخ ـ الخط ـ وبعض الفنون الأخرى.

بدأت حركة العلم عند المسلمين مع نزول أول كلمة في قرآنهم الكريم بقوله تعالى: «اقرأ» العلق:١ . فكان لهذه الكلمة وقع كبير في نفس النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي نفوس أصحابه؛ إذ أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يتعلموا القراءة والكتابة ليستطيعوا أن يستوعبوا تماماً تلك التعليمات والعلوم التي جاء بها القرآن الكريم، وهذا الأمر لم يكن حصراً على الرسول وصحابته في حينه، بل هو مستمر لكل المسلمين حتى قيام الساعة.

ومع نزول الآيات القرآنية تباعاً بما تحتويه من قصص تاريخية ولفتات علمية وكونية وغيرها فضلاً عن التعليمات الشرعية والقضايا العقدية وأسس السلوك



ورث العرب تقنية صناعة الأسطرلاب عن اليونان

في الحياة ومحاسن الأخلاق، فقد تفتحت أذهان المسلمين إلى أمور لم يكونوا على دراية بكثير منها، فأخذوا يستفسرون عنها من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يجيبهم بما يتناسب معهم في زمانهم وظروفهم ومفاهيمهم، وذلك للآيات المتعلقة بالظواهر الكونية والمفاهيم العلمية، و يبين لهم ما يتعلق بالقضايا العقدية والشرعية.

من خلال تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بدأت الحركة العلمية عند المسلمين بالجمع والتدوين أولاً خوفاً من فوات ذلك بوفاة من تبقى من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وكان ذلك في أواسط القرن الأول الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن السابع الميلادي، ثم تلا ذلك البدء في تدوين سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لتكون منهاجاً للمسلمين وقدوة لهم في حياتهم، وتبع ذلك تدوين المغازي والفتوحات الإسلامية التي حصلت في عهد الخلفاء الراشدين وخلال العصر الأموي، فكان من ذلك «سيرة ابن اسحاق» المتوفى سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م، وهو يُعدُّ من أوائل المؤرخين المسلمين إن لم يكن أولهم على الإطلاق، ومن كتبه أيضاً «الخلفاء».



تزامن مع هذه العلوم حركة فقهية لأئمة كبار أمثال الأوزاعي وسُفيان الثوري ومجاهد وأبي حنيفة ومالك، ولكن لم ينتج منها مؤلفات مدونة، بل تولى بعض تلامذتهم ممن سمعوا منهم تدوين أقوالهم وجمعها في كتب فقهية، ولم يصل إلينا عنهم إلا ما كتبه تلامذة أبي حنيفة ومالك في تلك الآونة.

من جهة أخرى، كانت حركة تدوين المفردات العربية الصحيحة في الفترة ذاتها آخذة منهجاً لم يكن معروفاً من قبل عند الأمم، وكان رائد ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م، فقد وضع معجماً لغوياً على طريقة الحروف، وكان الأول في منهجه وأسلوبه في تاريخ البشرية، وهو أيضاً مخترع علم العروض والوزن

الشعري الذي أخذه من الموسيقا.

أما سيبويه المتوفى سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، فكان أول من قعَّد علم النحو وبسَّطه، فوضع كتاباً في ذلك سماه «كتاب سيبويه»، وهو أيضاً أول من وضع قواعد للغة في التاريخ البشري.

كان ذلك بداية لحركة التأليف في العلوم الشرعية والعربية التي تطورت في «النصف الثاني من القرن ٢هـ / أواخر القرن ٨م»، ثم توسعت بعد ذلك بشكل كبير، ولكن حتى نصل إلى عصر التأليف بمعناه الصحيح في بقية العلوم، يجدر أن نستعرض ما كان قبل ذلك من أعمال نقل لعلوم الأقدمين إلى اللغة العربية فيما سُمي بعصر الترجمة.

كان أول ما نُقل إلى العربية في الاسلام بعض كُتب الكيمياء والطب والنجوم اليونانية والسريانية، وكان ذلك على يد بعض حكماء يونانيين وسريان نزلوا بمصر، وقد فعلوا ذلك بتوجيه من خالد بن يزيد بن معاوية الأموي - حكيم آل مروان - في أواسط النصف الثاني من القرن الأول الهجري/ أواخر القرن٧م، وقد توفي خالد سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م.

وقد تخلل النصف الأول من القرن ٢هـ / أواسط القرن ٨م بعض الترجمات المتفرقة التي لم تصل إلينا، ولا تعد بحد ذاتها مراجع علمية صحيحة؛ لأنها لم يُعرف ناقلوها أكانوا علماء ثقات أم غير ذلك، ولكن في النصف الثاني من القرن ٢هـ / أواخر القرن ٨م وما بعد ذلك نشطت حركة الترجمة إلى العربية على يد علماء كبار متخصصين عملوا بشكل منهجي، وبتوجيه من الخلفاء أنفسهم ومن كان حولهم من الأمراء كآل البرمكي أمثال خالد ويحيى وجعفر في زمن هارون الرشيد، فقد كانوا يرسلون العلماء إلى بيزنطة والهند وغيرهما ليأتوا بالكتب القيمة من مكتبات ملوك تلك البلدان، ويبذلون في سبيل ذلك كل ما كان يُطلب منهم من الأموال والنفائس، وكانوا يدفعون إلى هؤلاء العلماء النقلة أموالاً طائلة مقابل أعمالهم العلمية، وكذلك فعل الخلفاء أولاد الرشيد، الأمين والمأمون والمعتصم وبعض من جاء بعدهم حتى أواخر القرن ٣هـ تقريباً / مطلع القرن ١٠م.

وكان الخلفاء لا يكتفون بالترجمة فقط، بل كانوا يطلبون من المترجمين وعلماء آخرين النظر في هذه الكتب أكان ما جاء فيها صحيحاً أم في بعضه خلل علمي فيُطلب إصلاحه.ومما تم نقله إلى العربية من كتب مهمة نسوق الأمثلة الآتية مع ذكر مترجميها، تحت عناوين علومها:

- الطب: «فصول أبُقْراط بتفسير جالينوس» نقله حُنين بن إسحاق المتوفى سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م. كما نقل أيضاً «حيلة البُرء - المقالات الخمس في التشريح لجالينوس». «الأمراض الحادة لأبقراط بتفسير جالينوس» نقله عيسى بن يحيى في زمن حنين. «النَّبْض الكبير - تشريح الرَّحِم لجالينوس» نقله حُبيش بن الحسن الأعْسَم في العصر ذاته. «الأورام لجالينوس» نقله إبراهيم بن الصَّلْت. كما نقل ابن ماسَوَيْه في زمن الرشيد، وأبو عثمان الدمشقي في زمن المأمون كثيراً من كتب الطب السريانية والرومية إلى العربية.

ومما نُقل من الطب الهندي «عشر مقالات في الطب بتفسير مَنْكَه الهندي» نُقل بأمر يحيى البرمكي نحو سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م. «أُسْتَانكَر» نقله ابن دُهَن كما نقل أيضاً كتاب «سِنْدُسْتاق». «تُوقَشْتَل» نقله إسحاق بن سليمان.

لم يكن لطلاب العلم القادمين من الغرب ومن أوربا تحديداً أن يبوحوا برحلاتهم العلمية هذه خوفاً من البطش بهم من قبل حكوماتهم التي كانت تعُدُّ ذلك خروجاً عن الدين



برع العرب في مجال استخلاص العقاقير الطبية

ومن الطب الفارسي نُقل كتاب «تيادورس في الطب».

- الأقرباذين والأدوية: «الأخلاط لأبقراط بتفسير جالينوس» نقله عيسى بن خالد، «الأدوية المفردة لجالينوس» و«السموم لديُسْقُوريدِس» نقلهما حنين وحبيش.

ومن الكتب الهندية في هذا العلم «أسماء عقاقير الهند بتفسير مَنْكَه» إسحاق بن سليمان. «سموم الحيات لتُوقَشْتَل الهندي».

العلوم الكونية

«الكرة المتحركة لأوطولوقس» نقله ثابت بن قُرَّة المتوفى سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م. وقد أصلح هذا الكتاب الكِندي. «تسطيح الكرة لبَبْس الرومي» نقله ثابت. «العمل بالكرة الفلكية لثاوَذيوس» نقله قِسْطا بن لُوقا المتوفى سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م. وقد أصلحه ثابت بن قرة ونقل أيضاً كتاب «المطالع لأَنْقَلاوُس»» وأصلحه الكندي. «المَجسْطي لبطليموس» اختصره الخُوارزمي، وسماه





اكتشف العرب قدرة النباتات على علاج كثير من الأمراض، واهتموا بعلاج الحيوانات ودراستها

السِّنْد هِنْد، أي الدهر الداهر، ويقول المستشرق الجغرافي ملتبرون maltebrun: إن هذا الكتاب هو أساس علم الفلك بعد الإسلام. وقد توفي الخوارزمي سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م. وكان قد نقل هذا الكتاب كاملاً في زمن المأمون الحجاجُ بن مطر. «الأربعة لبطليموس» نقله البَتَّاني المتوفى سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م.

الهندسة الرياضية والجبر والحساب

«أصول الهندسة لإقليدس» نقله حنين بن إسحاق، وأصلحه ثابت بن قرة، وشرحه علماء كثيرون. «الهندسة لأُوطوفُيُوس» نقله ثابت بن قرة. «الجبر لدِيُوفَنْطَس» فسره أبو الوفاء البُوزَجاني المتوفى سنة ٣٨٨هـ / ٩٩٨م.

وقد نقل إلى العربية ما بقي من كتب «أَرْشَميدِس» بعد أن أحرق الروم من كتبه حِمْلَ خمسة عشر جملاً، وما تبقى نقل بعضها إلى العربية،ومنها، «المثلثات» و«تسبيع الدائرة».

الحِيَل "الميكانيكا"

كان من أوائل المهتمين بهذا العلم عند المسلمين بنو موسى بن شاكر المنجِّم، ومنهم محمد المتوفى سنة ٢٥٩هـ /٨٧٣م، وقد أحضروا الكتب من بلاد الروم، وأحضروا المترجمين من البلاد الشاسعة، ونقلوا هذه الكتب إلى العربية.

الكيمياء

«الزئبق» و «الخواص» و«الزرانيخ» نقلها حنين بن إسحاق.

الفلاحة

«الفِلاحة اليونانية» نقلها قِسْطا بن لُوقا، و«الفِلاحة النبطية» نقلها ابن وَحْشيَّة المتوفى سنة ٢٩١هـ / ٩١٤م.

الجغرافيا

«المعمورة وصفة الأرض لبطليموس» نقله ثابت بن قرة.

الفلسفة والمنطق والحكمة

أخذتْ كتب اليونان في هذه الموضوعات حظاً وافراً من اهتمام علماء المسلمين ذوي الاختصاص، ومن أبرز هؤلاء العلماء:

الفارابي، المتوفى سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م الذي ترجم وشرح كثيراً من كتب أرسطو طاليس.

ابن بَاجَّه، المتوفى سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٩م، أيضاً ترجم وشرح كثيراً من كتب أرسطوطاليس. ويسمي الغرب ابن باجّه Avenpace.

ابن رُشْد، المتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، وقد ترجم أيضًا وشرح كثيرًا من كتب أرسطوطاليس. ويسميه الغرب Averroe's.

كان لدور العلم مرافق خاصة بها خدمة للمتعلمين كأماكن النوم والطعام والإشراف الطبي والمكتبات ومراكز البحث وأدواته والحدائق والمساجد، وغير ذلك، وكان لكل ذلك أوقاف خيرية تتكفل بالإنفاق والصرف عليه

خضع كثيرٌ من هذه الكتب بعد ترجمتها إلى دراسة ونظر وتمحيص على يد علماء المسلمين. وأصلحوا فيها الكثير من المعلومات والنظريات والآراء لتصبح مقبولة وصحيحة علمياً، وأفادوا من الكثير من أُسسها العلمية، فطوروها ووضعوها موضع التطبيق العملي شيئاً فشيئاً وجيلاً بعد جيل، كما أضافوا إليها الكثير مما كان ينقصها في ذلك الحين لتصب جميعها سريانية ورومية وفارسية وهندية وغير ذلك في بوتقة واحدة هي العربية الإسلامية التي أخذت أسلوباً جديداً في منهج البحث لم يكن معروفاً من قبل، ومن ذلك سَوق مجموعة من آراء العلماء والنظريات في الموضوع ذاته، ثم استخلاص الرأي الصحيح مع الترجيح بالأدلة العلمية سواء أوافق ذلك رأيًا سابقًا أم خالف كل ما سبقه.

انتشار العلوم في العالم الإسلامي

في الفترة التي كانت حركة الترجمة فيها بأوجها، كان علماء المسلمين في جميع الاختصاصات يبحثون ويؤلفون وكان تلامذتهم يدونون وينسخون هذه المؤلفات، ويحملونها معهم إلى أصقاع العالم الإسلامي الواسع الأرجاء في رحلاتهم وأسفارهم، وأينما حطوا رحالهم كان هناك علماء آخرون وطلاب علم يطلعون على هذه الكتب ويستنسخونها فيما بينهم، فمنهم من يشرحها، ومنهم من يختصرها، ومنهم من يضيف إليها، ومنهم من يصححها، ومنهم من تروق له فيأخذها كما هي، وهكذا كانت الحركة العلمية والعلماء كخلية النحل عملاً ودأبًا ومثابرةً ومُناظرةً. وكان الخلفاء والسلاطين وأمراء المسلمين يشجعون تلك الحركة النشيطة بأن كانوا يستقدمون العلماء الأجلاء من كل حدب وصوب، ويقدمون لهم كل ما يستطيعون من إمكانات في سبيل مزيد من البحث العلمي والإبداع، وأكثر ما كان يُفرح

العلماء تلك المكتبات العامرة ومراكز البحث العلمي، كالمراصد الفلكية والمستشفيات والمدارس التي كان يوليها أولو الأمر عناية خاصة، وكانت مثل هذه الهيئات العلمية منتشرة في حواضر العالم الإسلامي، كدمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة وهراة وتبريز وسمرقند والقيروان وغيرها.

نتج من هذه الحركة العلمية العظيمة مؤلفات جليلة القدر لا تكاد تحصى في جميع العلوم والمعارف والفنون انتشرت في العالم الإسلامي، وكتبت بلغات المسلمين من غير العرب، وإن كان أكثرها كُتب باللغة العربية التي كانت اللغة الأساسية عند المسلمين عامة وعلمائهم على وجه الخصوص. ونذكر أمثلة على ذلك تحت عناوين العلوم الرئيسة التي سبق ذكرها في البداية، ولكن سنسلط الضوء على العلوم التي اهتم بها الغرب، وأفاد منها الكثير لبناء نهضته العلمية فيما بعد، إذ إن علوم المسلمين الشرعية والعربية تكاد تكون معروفة، ولا حاجة إلى التمثيل لها هنا وسيأتي ذكر بعضها معنا لاحقاً عند الكلام على رحلة العلوم إلى الغرب الذي أفاد أيضاً من بعض هذه المؤلفات في تشريعاته ولغاته وآدابه.

العلوم الكونية

أبو يوسُف الكِندي، فيلسوف العرب والإسلام في عصره، توفي سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م. ومن كتبه «تحاويل السنين» و«رسالة في التنجيم» و«ذات الشُّعبتين» وهي آلة فلكية.

ثابت بن قُرَّة، «آلات الساعات» و«تركيب الأفلاك» و«طبائع الكواكب» كما ألف ابنهُ سِنان كتباً، منها «النجوم».

قِسْطا بن لُوقا، «العمل بالأسطرلاب».

أبو إسحاق الفَزَاري، أول من عمل اسطرلابًا في الإسلام، وله «العمل بالأسطرلاب المسطح».

أبو جعفر الخازن، توفي سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م، ومن كتبه «زيج الصفائح» شرح به كتاب إقليدس.

الفارابي، له «أحكام النجوم»، وقد توفي سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م.

يحيى المنجِّم، أشرف على بناء مرصدي بغداد ودمشق أيام الخليفة العباسي المأمون نحو سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م، ومن كتبه «الزيج المُمْتحن».

أبو الوفاء البُوزَجَاني، «الكامل في حركات الكواكب».

البَيروني، توفي سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وله «القانون المسعودي في الهيئة والنجوم والجغرافية» و«التفهيم لصناعة التنجيم».

ابن عِراق، توفي سنة ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م، وهو أستاذ البيروني، من مؤلفاته «المِجِسْطي الشاهي» في الفلك، و «صنعةُ الأسطرلاب بالطريق الصناعي».

الخُوارزمي، «عمل الأسطرلاب».

أبو مَعْشَر الفلكي، توفي سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٦م، ويسميه في العصور الوسطى Albomasar. ومن كتبه «هيئة الفلك» و«الزيج الكبير» و«الأمطار والرياح».

عبد الرحمن الدمشقي، صنع الساعات بالمسجد الأموي بدمشق، وله «رمز التقويم». توفي سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م

.ابن رُشْد الأندلسي، «حركة الفلك».

ابن أبي الُشكر، الحكيم المغربي، توفي سنة ٦٨٠هـ /

في القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي كانت بلاد المسلمين في أوج ازدهارها العلمي والثقافي والمعرفي، وكانت دور العلم فيها قد استقطبت طلاب العلم من أنحاء المعمورة يأتونها سعياً إلى طلب العلم والمعرفة فيها على أيدي علمائها الأفذاذ



دراسة تشريحية للخيل

١٢٨٠م، من كتبه «أربع مقالات في النجوم» و«أحكام تحاويل سني العالم» و«الحكم على قِرانات الكواكب الاثني عشر» و«إصلاح كتاب مينيلاوس في الأشكال الكروية».

نصير الدين الطُّوسي، توفي سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٤م. وله «تحرير ظاهرات الفلك» و«تحرير جُرمَيّ النَّيِّرَيْن» الشمس والقمر، و «التحصيل في النجوم».

القُطب الشيرازي، توفي سنة ٧١٠هـ / ١٣١١م. له «نهاية الإدراك في دراية الأفلاك» و«حوادث الجو».

ابن سينا، توفي سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م، ويسميه الغرب Avicenne. له «أسباب الرعد والبرق».

العلوم التطبيقية

ثابت بن قُـرَّة، له «الذخيرة في علم الطب» و«المسائل الطبية».

أبوبكر الرازي، توفي سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م، ويطلق عليه الغرب Razes . من أشهر كتبه في الطب «الحاوي» و«الحصى والكلى والمثانة» و«النقرس» و«القولنج» و«من لا يحضره طبيب». وفي مكتبة البندقية مجموعة من كتبه.

ابن أخي حِزام، توفي سنة ٢٥٠هـ /٨٦٤م، وله كتاب «الفروسية والبيطرة» نسخة قديمة منه في مكتبة شيستر بيتي بإيرلندا.



ابن مـاسَـوَيْه، توفي سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م. ويسـميـه الغـرب Mesue. من أشـهـر كـتـبـه في الطب «البُـرهان» و«معرفة طبقات العين».

ابن سـينا، من أشـهـر كـتـبـه في الطب والصـيـدلة «القانون في الطب» وله «النبات والحيوان».

عـيـسى بن يحـيى الجَـرْجَـاني، توفي سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م، وهو أستاذ ابن سينا، له «كتاب المئة في الصناعة الطبية» و «مقالة في الجدري» و «كتاب الوباء».

الزّهـراوي، توفي سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م، من أشـهـر كتبه «المقالة في عمل اليد» بالجراحة، و«تفسير الأسماء الجارية في كتب الطب»، و«أسماء العقاقير باليونانية والسريانية والفارسية والعجمية والعربية» في الصيدلة. تقول عنه دائرة المعارف البريطانية: هـو أشهر من ألف في الجـراحـة عند العـرب، وأول من اسـتـعـمل ربط الشريان لمنع النزيف.

ابن بَخْـتَـيْـشُـوع، توفي سنة ٥٤٣هـ / ١٠٦١م. له «التواصل إلى حفظ النسل» في الطب، و«طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها» في الصيدلة.

ابـن بُـطْـلان، تـوفـي سـنـة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، لـه «الأمراض العارضة» و«تقويم الصحة».

ابن جَزْلَة البغدادي، توفي سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م، من كـتـبـه «تقـويم الأبدان» و«تقـويم الصـحـة بالأسـبـاب الستة». ويسميه الغرب Ben Gesla.

ابن مُلْكا البـغـدادي، توفي سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م، له «اختصار التشريح من كلام جالينوس».

مـوسى بن مـيـمـون القـرطبي، توفي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م. له «حيلةُ البُرْء» و«كتاب في الربو» و«البواسير» في الطب.

القطب الشيرازي، وله كتاب «البَرَص» في الطب.

القَـــربليـــاني، توفي سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م. له «الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام».



داود الأَنطاكي، توفي سنة ١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م. له «تذكرة أولي الألباب» في الطب والحكمة.

ابن البيطار، توفي سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م. إمام النباتيين، من مؤلفاته «الأدوية المفردة» و «ميزان الطب».

الإدّريسي «الجامع لصفات أشتات النبات» وقد توفي سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م.

ابن وَحْشيَّة، «أسرار الطبيعيات في خواص النبات».

ابن البَطْريق، «كتاب الحشرات».

ابن رُشْد، «الحيوان».

الكِندي، «التَرفُّق في العطور» وله أيضاً «السيوف وأجناسها»، و«عمل السيوف» في علم التعدين، و«الأصباغ» في الكيمياء.

جابر بن حَيَّان، توفي سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م. من كتبه في الكيمياء «أسرار الكيمياء» و«أصول الكيمياء» و«الخمائر» و«السموم». وهو أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه «زيت الزاج»، واكتشف الصودا الكاوية، وأول من استخرج ماء الذهب، ومركبات أخرى، مثل: كربونات البوتاسيوم» و «كربونات الصوديوم، ودرس خصائص الزئبق ومركباته، وهو أول من وصف أعمال التقطير والتذويب والتحويل.

يقول فيه المستشرق برتلو M.Berthelot: لجابر في الكيمياء ما لأرسطوطاليس قبله في المنطق". وقال لوبون G.LeBoN: تتألف من كتب جابر موسوعة علمية تحتوي على خلاصة ما وصل إليه علماء الكيمياء عند العرب.

بنو موسى بن شاكر المنجم، وضعوا كتاباً يشتمل على كل غريبة اسمه «الحيل» في الميكانيكا، ومنه نسخة في مكتبة الفاتيكان.

خالد بن يزيد، توفي سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م، له «الحرارات» و«الصحيفة الكبرى» في الكيمياء.

محمد بن الجَزَري، في القرن ٥هـ /١١م، له كتاب شهير اسمه «معرفة الحيل» في الميكانيكا، وفيه رسم

تصحيحي لرجل آلي يعمل بحركات ميكانيكية.

مَرْضِي بن علي الطُّرسوسي، توفي سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م. له كتاب «تَبْصِرة أولي الألباب» في صناعة السلاح.

ابن خَفيف، توفي في القرن ٣هـ / ٩م. له كتاب «الدبابات والمنجنيقات».

يعقوب المنجانيقي، توفي سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م، ومن كتبه «عُمدة السالك في سياسة الممالك» في صناعة السلاح وفتح الثغور وبناءِ المعاقل وهندستها.

عمر الخيام، توفي سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م. من كتبه «الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسمٍ مُركَّبٍ منهما».

العلوم البحتة:

ثابت بن قُرَّة، من كتبه «تصحيح مسائل الجبر» و«كتاب الهندسة» و«مساحة المخروط» و«المباني الهندسية».

سنان بن ثابت بن قرة، أصلح كتاب أفلاطون «الأصول الهندسية» وزاد فيه كثيراً.

البَيروني، «استخراج الأوتار في الدائرة» هندسة، وله في المساحة «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن».

عمر الخيام، «مقالة في الجبر».

الخُوارزمي، «الجبر والمقابلة».

نصَير الطوسي، «تحرير أصول إقليدس» في الهندسة، و«المخروطات» و«الجبر والمقابلة» و«المتوسطات الهندسية» ومنه نسخه بفلورنسا.

البُوزَجاني، له «الهندسة» و «ما يحتاج إليه الصانع في الهندسة».

الكَرخي، توفي سنة ٤١٠هـ / ١٠٢٠م، وله «الجبر والمقابلة» و«الكافي في الحساب».



ابن الهيثم، توفي سنة ٤٢٠هـ / ١٠٣٨م. ويُطلَق عليه بطليموس العرب، ويسميه الغرب باسم الهازن Alhazen من كتبه «الشكوك على بطليموس» و«شرح قانون إقليدس» و«مساحة الكرة».

جمشيد بن مسعود الكاشي، توفي سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م. أول من استخدم الصفر في الحساب، من كتبه «مفتاح الحساب» و«استخراج نسبة القطر إلى المحيط».

قِسْطا بن لُوقا، له «المرايا المُحرِقَة» في الفيزياء، و«مقالات في رفع الأجسام الثقيلة» في الفيزياء.

الكِندي، له «الشُّعاعات» في الفيزياء.

الزهراوي، له «تفسير الأكيال و الموازين».

العلوم الإنسانية والمعارف العامة

ابن الإقليدسي، القرن ٤هـ / ١٠م. له كتاب «منصوبات الشطرنج».

العدلي، القرن ٤هـ / ١٠م. أول من ألف في الشطرنج، له «النَّرد وأسبابها واللعب بها».

ثابت بن قُرّة، «مسائل في الموسيقى».

الخُوارزمي، ألف أول موسوعة عرفها الإنسان، كما قال المستشرق فيدمان Widemann، وسمّاها «مفاتيح العلوم».

الوزير ابن مُقْلة، توفي سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م. أول من ألف في قواعد الخط العربي على حساب المقاييس الرياضية للحرف.

الفارابي، مخترع آلة القانون الموسيقية، ومن كتبه في الموسيقى «إحصاء الإيقاعات» و«المدخل إلى صناعة الموسيقى» و«الموسيقى الكبير». ومن كتبه في الفلسفة والحكمة «آراء أهل المدينة الفاضلة» و«أعراض ما بعد الطبيعة» و«السياسة المدنيَّة» و«جوامع السياسة».

ابن بَاجَّة، صنف كتبًا كثيرة في الموسيقى وله «كتاب النفس» و«اتصال العقل» في الحكمة.

الكِندي، من كتبه في الموسيقى «النغم». وله في علم الأحجار الثمينة «أنواع الأحجار». وفي الفلسفة «لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية» و«ماهية العقل والإبانة عنه» و«المقولات العشر» في المنطق، و«سياسة الرسالة الكبرى» في السياسة. و«المد والجزر» في علم البحار، و«رسم المعمورة» فيه خرائط وصور عن الأرض، في الجغرافية وله «ديانات الهند» في الأديان.

ابن سينا، له «أسرار الحكمة المشرقية» في الحكمة.

الكَرْخي، وله «إنْبَاطُ المياه الخفيَّة» في طبقات الأرض.

ابن النديم، توفي سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٧م. أول من وضع كتاباً في العلوم والعلماء وأسماء مؤلفاتهم وهو«الفهرست». منه نسخة بخط المؤرخ المَقْريزي في مكتبة شَيْستر بيتي بإيرلندا.

ابن خُرْدَاذْبَة، توفي سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م، له كتاب «الطبيخ» في فن الطعام. وله كتاب شهير في التاريخ والجغرافية.

ابن رُشْد، له في الفلسفة «المسائل» و«تلخيص كتاب النفس» و«فلسفة ابن رشد» مشتمل على بعض مصنفاته.

أبو مَعْشَر الفلكي، له «الطبائع» في الحكمة والنفس.

عمر الخيام، له «الرباعيات» في الفلسفة. أبو بكر الأَهْوازي، توفي سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م. له «النحل وأجناسه» و«الفلاحة والعمارة».

ابن طَرْخان، القرن ٤هـ / ١٠م. له «أنساب الحمام».

القطب الشيرازي، له «حكمة الإشراق» في الحكمة.

ابن الطُفَيْل، توفي سنة ٥١٨هـ /١١٨٥م، له «حَيُّ بن يَقْظان» في الفلسفة.

الرامَهُرْمُزي، له «أدب الموائد» و«أدب الناطق».

ابن فضل الله العُمَري، توفي سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م، من كتبه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» في الجغرافيا.

المَقْدِسي البَشَّاري، توفي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م، له كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، قال فيه المستشرق غِلد ميستر: Gild Meister: امتاز المقدسي من سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره.

محمد بن محمد الإدريسي، أول من وصف أوربا وإيطاليا، ووضع كتاباً بذلك إلى ملك صقلية روجر الثاني، واسم كتابه هذا «نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وهو صاحب الخرائط المشهورة.

ياقوت الحَمَوي، توفي سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م. وضع كتباً جغرافية مهمة ومنها «معجم البلدان».

ابن بَطُّوطة، توفي سنة ٧٧٩هـ /١٣٧٧م. تلقبه جمعية كمبردج في كتبها بأمير الرحّالين، من كتبه «تحفة النظار في غرائب الأمصار».

ابن خُلدون، توفي سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م، من كتبه في علم الاجتماع ما يُطلق عليه «المقدمة» وهو أول من وضع بذلك أُسس علم الاجتماع الحديث.

الحسن بن محمد الوزّان الغرناطي، ويطلق عليه «ليون الإفريقي» ومعروف عند الغرب باسم Leon Le Africain. توفي سنة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م. أُسِر من مدينة فاس وقُدم هديةً إلى بابا روما «ليون» العاشر الذي تَسمَّى باسمه. مؤرِّخٌ رحالةٌ جغرافي. تعلم الإيطالية واللاتينية، وكان يُحسن العربية والعبرية والإسبانية. ألف للبابا كثيراً من الكتب، ومنها «معجم طبي عربي لاتيني عبري» بعض أوراقه موجودة الآن في روما بخطه.

وضع أول كتاب جغرافي فني في التاريخ اسمه «الجغرافية العامة» بالإيطالية، وتُرجم إلى اللاتينية والفرنسية والألمانية والإنجليزية، وقد أثر في النهضة الأوربية بشكل كبير.

رحلة العلوم من الشرق إلى الغرب:

في القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي كانت بلاد المسلمين في أوج ازدهارها العلمي والثقافي والمعرفي، وكانت دور العلم فيها قد استقطبت طلاب العلم من أنحاء المعمورة يأتونها سعياً إلى طلب العلم والمعرفة فيها على أيدي علمائها الأفذاذ، وكان هذا الأمر مُتاحاً لكل قاصد.

كان لدور العلم هذه مرافق خاصة بها خدمة للمتعلمين كأماكن النوم والطعام والإشراف الطبي والمكتبات ومراكز البحث وأدواته والحدائق والمساجد، وغير ذلك، وكان لكل ذلك أوقاف خيرية تتكفل بالإنفاق والصرف عليه، بل كان في بعضها من يمنح الطلاب الغرباء مبالغ نقدية شهرية فضلاً عن المعيشة المجانية لعلها تساعدهم على بعض أمورهم، كما كان يُخصَّص لكل طالب تخرج من هذه الدور زاد وراحلة ونفقات سفر للعودة إلى بلاده ومعه بعض الكتب القيمة المُستنسخة عن الأصول الموجودة في المكتبة المركزية للمكان الذي تعلم به، وكثير من الطلاب كان ينسخ بيده ما يروق له من الكتب الموجودة في المكتبة. أو التي يصادفها مع أساتذته أو زملائه ولا يوجد لها مثيل في المكتبة. وبذلك يرجع طالب العلم إلى بلده حاملاً كثيرًا من العلوم في رأسه وفي يديه.

لم يكن لطلاب العلم القادمين من الغرب ومن أوربا تحديداً أن يبوحوا برحلاتهم العلمية هذه خوفاً من

في الفترة التي كانت حركة الترجمة فيها بأوجها، كان علماء المسلمين في جميع الاختصاصات يبحثون ويؤلفون، وكان تلامذتهم يدونون وينسخون هذه المؤلفات، ويحملونها معهم إلى أصقاع العالم الإسلامي الواسع


أبدع المسلمون آلات كثيرة لها تأثيرها في التقدم الحضاري

البطش بهم من قبل حكوماتهم التي كانت تُعِدُّ ذلك خروجاً عن الدين، وربما كان كثير من هؤلاء الذين تعلموا في حواضر العالم الإسلامي يسوغون أسفارهم بالسياحة أو التجارة أو غير ذلك، إلا أن بعض الحكام ورجال الكنيسة في تلك العصور كانوا يرحبون بما يحمله هؤلاء معهم في عودتهم من مخطوطات علمية تُهدى إليهم ليضعوها في مكتبات قصورهم وكنائسهم من باب المفاخرة أكثر من الاطلاع. وربما ترجموا بعضها إلى اللاتينية التي كانت اللغة الأم للتواصل بين الشعوب الأوربية في ذلك الحين.

كان هناك ثلاثة معابر رئيسة تصل الشرق بالغرب، وكانت هذه المعابر بمنزلة جسور ثقافية وتجارية بين المسلمين والغرب المسيحي. أما المعبر الأول فكان من جهة بيزنطة وعاصمتها القسطنطينية، وكان الوصول من أوربا إلى الشرق يمر خلالها لمن كانت وجهته العراق أو سورية.

وأما المعبر الثاني فكان من جهة روسيا القيصرية آنذاك لمن كانت وجهته بلاد ما وراء النهر وفارس. ومن كانت وجهته الأندلس - وهي معظم الأراضي الإسبانية والبرتغالية الآن - فمعبره الرئيس هو فرنسا.

وهناك معبر رابع إلى شمال إفريقية ومصر عبر البحر المتوسط وهو صقلية الإسلامية في جنوب إيطاليا خلال عهد الفاطميين. كانت بلاد الأندلس الإسلامية - غالباً - هي محط رحال طلاب العلم الأوربيين لازدهارها العلمي الكبير، وقربها لهم في الوقت ذاته، وأيضاً لوجود النتاج العلمي الإسلامي المشرقي فيها نتيجة الاحتكاك العلمي الكبير بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه عن طريق أسفار علمائه ورحلاتهم واحتكاكهم الدائم بعضهم ببعض، وتبادل الآراء والنظريات العلمية فيما بينهم من جهة، ورحلة المؤلفات العلمية البينية من جهة أخرى عن طريق استنساخها أو تبادلها أو إهدائها.

لقد شهدت الأندلس إقبالاً كبيراً من قبل طلاب العلم الأوربيين وخاصة في القرنين ٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢م وما بعدهما. يقول العالم الإيطالي نلينو في كتابه «علم الفلك»: إن المستشرق الإيطالي جيرارد داكريمونا Geravdo dacremonna، المتوفى سنة ١١٨٧م /

٥٨٣ هـ قد أقام زمناً في طليطلة بالأندلس، وترجم عن العربية إلى اللاتينية أكثر من سبعين كتاباً من كتب الهيئة وأحكام النجوم والهندسة والطب والطبيعة والكيمياء والفلسفة، طُبع أكثرها. ومن الطبيعي لمثل جيرارد الذي ترجم هذا العدد الكبير من المؤلفات الإسلامية أن يعود إلى بلاده ومعه مئات من الكتب الأخرى النفيسة التي ربما قد تكون فريدة في أبوابها. ومن القرائن على ذلك ما تقوله المصادر العلمية الأوربية ـ على سبيل المثال ـ من أن المستشرق الهولندي ياكب يوليوس Gacob Golius المتوفى سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م. قد جمع كثيراً من المخطوطات الإسلامية بعد أسفار كثيرة له، ويوجد أكثرها في مكتبة جامعة ليون وأيضاً إدوارد بوكوك Edward Pococke المستشرق البريطاني المتوفى سنة ١١٠٢هـ/ ١٦٩١م جمع في أسفاره نحو ٤٢٠ مخطوطة عربية، وهي في مكتبة بودلي Bodly في أوكسفورد، وكذلك المستشرق البريطاني أيضاً من كمبردج إدموندكاستيل Edmund casteel المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ/١٦٨٥م ، أما المستشرق البريطاني الشهير جون سِلْدِن John selden المتوفى سنة ١٠٦٤هـ/١٦٥٤م ، فيقول عنه برنارد لويس في كتابه «تاريخ اهتمام الإنكليز باللغة العربية»: إنه ترك وراءه مجموعة كبيرة جداً من المخطوطات الشرقية.

ومما يُدلل على صحة هذا الاهتمام ما قاله المستشرق الإيطالي وليام بدْوِل William Bedwell المتوفى سنة ١٠٤١ هـ/١٦٣٢م: إن اللغة العربية هي لغة الدين الفريدة، وهي أعظم لغة للسياسة من الجزائر السعدية إلى بحر الصين. ويجدد التنويه بأنه أول من نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، ولكن الذي ترجم القرآن الكريم كاملاً إلى الإنجليزية هو جورج سيل المستشرق البريطاني المتوفى سنة ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م.

من خلال أسفار طلاب العلم الأوربيين ورحَّاليهم إلى العالم الإسلامي، وما كتبوه عن حضارة المسلمين ورقيهم العلمي والفكري في كل ميدان، فقد لفت ذلك انتباه الغرب إلى هذه الأمة، وأخذوا يتسابقون في إرسال علمائهم لاستكشاف هذا العالم ودراسته دينياً وتاريخياً وجغرافياً. كان ذلك بعد انتهاء كوابيس العصور الوسطى في أوربا وبداية حركات التنوير في القرن ٨ ـ ٩هـ / ١٤ ـ ١٥م، وكانت الأولويات عندهم هي فهم اللغة العربية وفهم الدين الإسلامي الذي صُبغت به تلك الحضارة من جهة، ودراسة تاريخ المسلمين وتاريخ علمائهم الذين صنعوا هذه الحضارة من جهة أخرى، ولم تفتهم دراسة مؤلفات المسلمين الجغرافية للعالم الإسلامي لتكون دليلاً لهم في أسفارهم ودراساتهم وبحوثهم التي ساعدتهم كثيراً على الوصول إلى مناطق كثيرة من العالم سواء في فترات الدراسات العلمية أو في فترة الاستعمار، ومن أمثلة ذلك ما يأتي: تحت ترجمة كتاب «تاريخ الهند» للبيروني إلى الإنجليزية منذ وقت مبكر. تُرجمت رحلة ابن بطوطة إلى البرتغالية والفرنسية والإنجليزية والألمانية. وقد كانت تُرجمت قبل ذلك إلى اللاتينية.

قام المستشرق الهولندي توماس فان ايربينيو Thomas Van Evpenius المتوفى سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م بترجمة تاريخ المسلمين ـ وهو قسم من تاريخ ابن العميد، إلى اللغة اللاتينية ونُشر بها.

كانت الحركة العلمية والعلماء كخلية النحل عملاً ودأبًا ومثابرةً ومُناظرةً. وكان الخلفاء والسلاطين وأمراء المسلمين يشجعون تلك الحركة النشيطة بأن كانوا يستقدمون العلماء الأجلاء من كل حدب وصوب



تبادل التأثير سمة الحضارة الإنسانية

ومن اهتم بهذه الموضوعات أيضاً نذكر الآتي:

جاكب أَدْلر، J.G. Adler، الدانمركي المتوفى سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، فقد ترجم كثيراً من كتب الرحلات إلى اللاتينية ونشرها، وأعدَّ للطبع تاريخ أبي الفداء «المختصر في أخبار البشر» باللاتينية، ونشره المستشرق ريكه Reiske.

جوري فالين، Georg wallin، الفنلندي المتوفى سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م، اشترك مع غيره من المستشرقين في عمل خريطة لبلاد العرب.

جُستاف فلوجل، Gustaf Flugel، الألماني المتوفى سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، نقب في كثير من مكتبات العالم الإسلامي، وجمع كثيراً من المخطوطات الإسلامية، ومما نشره كتاب «كشف الظنون» لحاجي خليفة في أسماء المؤلفين ومؤلفاتهم.

ميكيله أماري، Michele Amari، الإيطالي المتوفى سنة ١٢٠٧هـ/١٨٨٩م، ترجم «رحلة ابن جبير» إلى الفرنسية،

وكتاب «سلوان المطاع» لابن ظَفَر إلى اللاتينية.

جون كوز جاتن، Johann Kosegaten، الألماني، المتوفى سنة ١٢٧٩هـ /١٨٦٢م ترجم جزءان من كتاب «تاريخ الطبري» إلى اللاتينية.

غستاف دوكا، Gustave Dugat الفرنسي المتوفى سنة ١٣١١هـ/١٨٩٤م، كتب بالفرنسية عن جغرافية العالم الإسلامي، وعن تاريخ فلاسفة المسلمين وفقهائهم.

فميخائيل دي خويه، Michiol degoge، الهولندي، المتوفى سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، نشر كثيراً من كتب الجغرافيا الإسلامية والتاريخ، ومنها: «فتوح البلدان للمقريزي»، و«المسالك والممالك» لابن حَوْقَل. وأنشأ مكتبة الجغرافيين العرب في ليدن بهولندا.

ماكس فان برشم Max Van Berchem، السويسري، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢١م، اهتم بالآثار الإسلامية، وقال: هي الوثائق التاريخية الدالة بأشكالها أو بمعانيها على المنشود من التاريخ. وقد اهتم جداً بجمع المخطوطات العلمية الإسلامية والآثار الإسلامية القيمة.

كارليل مكارتناي، Carlyle Macavtney الإنجليزي، المتوفى سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ترجم كتاب «مروج الذهب» في التاريخ للمسعودي إلى الإنجليزية ونشره.

برنارد دورن، Bernhard .T. Dorn، الروسي، المتوفى سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م كتب كثيراً بالروسية عن تاريخ

ما زالت الجامعات ومراكز البحث العلمي في أوربا وأمريكا واليابان، وغيرها من البلدان تتهافت وتتسابق لاقتناء نوادر المخطوطات العلمية الإسلامية، وتبذل في سبيل ذلك الأموال الطائلة والجهود الكبيرة



القفقاز والخزر والكَرْج والأفغان، وكان له فضل كبير في التوسع الروسي القيصري والسوفييتي نحو هذه البلدان. جمع كثيراً من المخطوطات الإسلامية وهي مخطوطة في مكتبة سانت بترسبورج بروسيا.

بول كزنوفا، Paul Casanova، الفرنسي، المتوفى سنة ١٣٣٤هـ/١٩٢٦م، ترجم إلى الفرنسية كلام ابن خلدون عن البربر، وكتب عن النقود العربية. تيودور نولدكه، Theodor Noldke، الألماني، المتوفى سنة١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، وأشرف على ترجمة تاريخ الطبري إلى الألمانية.

ومن اهتم بعلوم العربية نذكر الآتي

ألبرتو شولتنز Albertus Schultens، الهولندي، المتوفى سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٥٠م ترجم مجموعة أشعار عربية قديمة إلى اللاتينية ونشرها.

يوهن رايكه، Johann Reiske، الألماني المتوفى سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م ، ترجم مقامات الحريري إلى اللاتينية ونشرها، وترجم منتخبات من شعر المتنبي إلى الألمانية ونشرها.

سير وليام جونز William Jones، البريطاني، المتوفى سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م ، ترجم المعلقات السبع إلى الإنجليزية ونشرها.

مارسيل دوفيل، Marcel Devic، الفرنسي، المتوفى سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م، ترجم مقامات الحريري إلى

كان أول ما نُقل إلى العربية في الإسلام بعض كُتب الكيمياء والطب والنجوم اليونانية والسريانية، وكان ذلك على يد بعض حكماء يونانيين وسريان نزلوا بمصر، وقد فعلوا ذلك بتوجيه من خالد بن يزيد بن معاوية الأموي

الفرنسية ونشرها.

جوري فالين، وقد مر ذكره سابقاً، ترجم قصائد شعرية لابن الفارض إلى اللاتينية، وقد أفاد منها الشاعر الفرنسي لامارتين الذي تُنسب إليه المدرسة الرومانسية في الشعر.

يوهن بركهارت Johann Burchart، السويسري، المتوفى سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م كان يعمل في جامعة كمبردج، ترجم إلى الإنجليزية كثيراً من الأمثال العربية ونشرها، كما جمع كثيراً من المخطوطات الإسلامية، وهي محفوظة في جامعة كمبردج.

جون كوزجاتين، وقد مر ذكره سابقاً، ترجم مجلداً من كتاب «الأغاني» في الأدب إلى اللاتينية ونشره.

تشارلز ليال Charles James Lyal، البريطاني، المتوفى سنة ١٣٣٨هـ /١٩٢٠م ترجم «المفضليات للضَّبي في اللغة والشعر».

تيودور نولدكه، وقد مر معنا، ترجم إلى الألمانية خمس معلقات من الشعر العربي ونشرها. هرتفيل دربنورغ Hertwig Derenbourg، الفرنسي، المتوفى سنة ١٣٢٦هـ /١٩٠٨م، ترجم «كتاب سيبويه» في النحو إلى الفرنسية ونشره.

وقد طال اهتمام الغرب علوم المسلمين الشرعية، ومن ذلك:

علم المواريث، وقد ترجم وليام جونز كتاب «السِّراجيَّة» إلى الإنجليزية مع شرحه ونشره.

علم الفقه، وقد درسه المستشرق الهولندي مَنْسنج، Mensing ووضع كتاباً في «الحدود الشرعية» بالفقه الحنبلي باللغة الألمانية.

أما علوم الفلسفة والمنطق والحكمة والاجتماع، فقد نالت نصيباً وافراً من الدراسة والترجمة عند الغربيين، ومن ذلك ما قام به المستشرق ليون غوتيه Leon Gauthier ممن وضع كتابٍ في حياة الفيلسوف ابن الطفيل وآثاره

التراث الإسلامي زاخر بالمخطوطات التي تؤكد تقدم المسلمين في ميادين العلوم المختلفة

باللغة الفرنسية، وترجمة كتاب «المقدمة» لابن خلدون في علم الاجتماع إلى الفرنسية على يد البارون مال دي سلان Mace de Slane، وترجمة مجموعة رسائل «ابن رشد» في الفلسفة إلى الألمانية على يد مركس مولر Marcus Muller، ورسائل الكندي «في العقل» إلى اللاتينية، وكتاب «مبادئ الموجودات» للفارابي إلى العبرية، وكتابه الآخر «الفصوص» إلى الألمانية، وآخر له أيضاً «إحصاء العلوم» إلى الإسبانية، وفي الحكمة كتاب «تقويم الذهن» لأبي الصلت الداني إلى الإسبانية، و«رباعيات الخيام» إلى اللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والدانمركية، وغيرها.

ومما يُذكر عن المستشرق توماس ووكر آرنولد، البريطاني Thomas Walker Arnoldمما ألفه عن الفن والرسم عند المسلمين باللغة الإنجليزية، وللمستشرق الفرنسي جان مارسيل نشره بحوثاً بالفرنسية عن ابن ميمون وابن سينا والقزويني، وترجمته كتاب «الفلاحة» لابن العوام إلى الفرنسية، ولـ «كوز جاتن» ترجمته كتاب «الموسيقى» للفارابي ونشره، ولـ «أنطوان دي ساسي» -An



toine de sacy الفرنسي ترجمته «كتاب النقود» للمقريزي، ولـ «فريتس كرنكو» الألماني تحقيقه كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر» للبيروني، وبرنهارت موريتس ما كتبه بالألمانية عن «المعادن في البلاد العربية القديمة». وكان صاحب الحظ الأوفر في اهتمام الغرب من تراث المسلمين العلمي هو علومهم الكونية والتجريبية التي أبهرت العالم بتقدمها ورقيها، وكانت المخطوطات التي تبحث في هذه العلوم وكذلك آلاتها وأدواتها هدفاً أساسيًا للحصول عليها عن طريق علمائهم ورحاليهم وتجارهم وسفرائهم وقناصلهم الذين كانوا في بلاد المسلمين، بل وعن طريق جيوشهم التي غزت هذه البلدان منذ القرن ١٠هـ / ١٦م، وخير مثال على ذلك عشرات الآلاف من هذه المخطوطات الموجودة في مكتبات الغرب ومتاحفه، وتلك التي ما زالت تحمل آثار دماء أصحابها من المسلمين والموجودة الآن في مكتبة جامعة ليدن بهولندا.

ومما تمت ترجمته ودراسته من مؤلفات علماء المسلمين في هذه العلوم نذكر ما يأتي على سبيل الأمثلة تحت عناوين علومها:

العلوم الكونية: كتاب «صور الكواكب» للصوفي، وكتاب «الزيج الكبير» للحاكمي، وترجمها إلى الفرنسية ونشرها جان بيرسفال Jean Percev الفرنسي، المتوفى سنة

عُرف علماء المسلمين بالشمولية والموسوعية في علومهم فضلاً عن الموضوعية والتخصص، فكثيراً ما نرى أو نسمع عن كتب مهمة في موضوعاتها المختلفة، وقد تكون فريدة في نتائجها، وهي من تأليف عالم واحد

١٢٥١هـ/١٨٣٥م. وكتاب «جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية» ترجمه إلى الفرنسية لويس سيديو Louis Sedillot، الفرنسي، المتوفى سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م. وكتاب «الزيج الصابي» ترجمه إلى اللاتينية كارلونلينو الإيطالي Carlo Nallinoوكتاب «المدخل الكبير» في علم الفلك لأبي معشر الفلكي تُرجم إلى اللاتينية ونشر بها. وممن اهتم بالعلوم الفلكية الإسلامية المستشرق الفرنسي «كازانوفا» الذي كتب كثيراً عن آلات الرصد عند العرب.

العلوم البحتية: كتاب «المناظر» في الهندسة لابن الهيثم، وقد تُرجم إلى اللاتينية سنة ٩٨٠ هـ/١٥٧٢م، ويقول العالم سوتر H. Suterعن هذا الكتاب في دائرة المعارف الإسلامية: إنه كان لهذا الكتاب أثر بالغ في تعريف الغربيين بهذا العلم في العصور الوسطى، وقد تُرجم أيضاً كتاب «كيفية الإظلال» لابن الهيثم إلى اللغة الألمانية. وكتاب «الجبر والمقابلة» للخوارزمي تُرجم إلى اللاتينية والإنجليزية. وقام المستشرق الألماني «فرانتس فبكه» Frantz Woepcke، المتوفى سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م، بترجمة كتاب «براهين الجبر والمقابلة» لابن الخيام ونشره، وكتاب «الجبر والمقابلة» للكرخي. كما نشر في المجلات العلمية الفرنسية والألمانية والإيطالية أكثر من خمسين مقالاً عن الرياضيات العربية.

أما العالم السويسري «هاينريش سويتر» Heinrich Suter، المتوفى سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م . فقد وضع كتاباً بالألمانية شمل أكثر من خمسمئة عالم رياضيات مسلم، ويعدّ هذا الكتاب مرجعاً أساسيًا في الغرب، وله أيضاً كتب أخرى كثيرة في علوم الرياضيات عند العرب منشورة ومعروفة.

ومما يذكر في علم الفيزياء كتاب «المرايا المحرقة» لابن الهيثم المترجم إلى الألمانية، وكتاب «المكاييل والموازين عند العرب» الذي وضعه كازانوفا.

الطب والأدوية والنبات: كتاب «القانون في الطب»



سجل العرب والمسلمون إبداعاتهم في مجال العمارة

لابن سينا، تُرجم إلى عدة لغات أوربية ونُشر بها، وكان مرجعاً أساسيًا ومقرراً في كليات الطب الأوربية ومعاهدها أكثر من ستمئة سنة. كتاب «الكليات في الطب» لابن رُشد، تُرجم إلى اللاتينية والإسبانية والعبرية. وكتاب «الحاوي» في الطب للرازي، وأيضاً «الطب المنصوري» في التشريح للرازي، ترجم إلى اللاتينية ونشر بها. كتاب «تقويم الصحة» في الطب لابن بُطلان، تُرجم إلى اللاتينية والألمانية ونشر بها، وكتاب «الفصول في الطب» لموسى بن ميمون، تُرجم إلى اللاتينية وطبع بها، ويُعرف بفصول القرطبي.

وكتاب «الحُميَّات» في الطب لابن ماسَوَيْه، ترجم إلى العبرية. وكتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» في الطب والجراحة للزهراوي، تُرجم إلى اللاتينية ونُشر بها، وكثير من مؤلفات ابن باجّه في الطب تُرجمت إلى اللاتينية والعبرية، وأصلها العربي مفقود.

وكتاب «المقالات العشر» في العين لحنين بن إسحاق ترجمة ونشر «الأسماء الطبية لجالينوس» إلى الألمانية. وقد ألّف المستشرق الطبيب الأمريكي جورج إدوارد بوست Georg Post المتوفى سنة ١٣٢٧هـ /١٩٠٩م كتاباً في الطب والجراحة عند العرب سماه «المصباح في صناعة الجرَّاح»، كما كتب عن النبات في سورية وفلسطين، وكتاب «مبادئ علم النبات»، وكتاب «الأقرباذين في المواد الطبية».

وكتاب «الأدوية المفردة» لمروان القرطبي، نشره المستشرق الفرنسي «جوزيف ديرنبورغ». ونشر «ميرهوف» كتاب «شرح أسماء العقار» للقرطبي، وكتاب «جامع المفردات» لابن العبري. وتُرجم كتاب «الأدوية المركبة» للكندي، إلى اللاتينية وطبع بها.

ومن المؤلفات الإسلامية في الأدوية كتاب «البيان فيما يستعمله الإنسان» لابن جَزْلَه البغدادي، جمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية، ورتّبه على حروف المعجم. وقد تُرجم إلى اللاتينية سنة ٩٣٩ هـ/١٥٣٢م، ومنه نسخة قديمة في الفاتيكان.

وما زالت الجامعات ومراكز البحث العلمي في أوربا وأمريكا واليابان، وغيرها من البلدان تتهافت وتتسابق لاقتناء نوادر المخطوطات العلمية الإسلامية، وتبذل في سبيل ذلك الأموال الطائلة والجهود الكبيرة لعلها تجد فيها شيئاً جديداً من معلومات ونظريات وآراء علمية مفيدة في العصر الحديث. وفي نهاية المطاف يجدر أن نذكر بعض المراجع المهمة التي تناولت هذا الموضوع من بعض جوانبه، ومن ذلك، كتاب «أثر الشرق في الغرب» بالألمانية للمستشرق جورج ياكب Georg Jakob الألماني، المتوفى سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م. ومحاضرات ألقاها في مصر وبلاد الشام حول بيان «فضل العرب على التفكير الإنساني» جورج سارطون Georg Sarton البلجيكي المتوفى سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، وكان قد جمعها ونشرها، ومما ألفه أيضاً «المدخل إلى تاريخ العلوم» بالإنجليزية.



اهتمام عالمي باقتناء نوادر المخطوطات العربية والإسلامية

وقد خصّ العرب فيه بحظ وافر، وألف أيضًا «حضانة الشرق الأوسط للثقافة الغربية».

تلك هي مشاهد قليلة جداً عن رحلة علوم المسلمين من الشرق إلى الغرب الذي أولاها عناية فائقة في دراستها وتطويرها ليبني عليها نهضته العلمية والصناعية، وحضارته المادية بعيداً عن الجانب الروحي والمعنوي المهم للبشرية والإنسانية، ذلك الجانب الذي يمثل وجهاً مشرقاً في حضارة المسلمين ولا يزال، وهو ما يُطلق عليه الغرب «العواطف عند الشرق».

وإذا عرفنا أن التقدم العلمي هو أولاً وأخيراً يصب في خدمة الإنسان، وأن الإنسان جسد وروح، فإننا ندرك بذلك قيمة الجانب الروحي عند المسلمين،وهل من قيمة لجسد بلا روح؟

المراجع

١. أثر الشرق في الغرب:فؤاد حسنين علي.
٢. الآداب العربية في القرن التاسع عشر: لويس شيخو.
٣. أخبار الحكماء: القفطي.
٤. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، وهو معروف بمعجم الأدباء: ياقوت الحموي.
٥. الأعلام: خير الدين الزركلي.
٦. أعلام العرب في العلوم والفنون:عبد الصاحب الدجيلي.
٧. أعلام من الشرق والغرب:محمد عبد الغني حسن.
٨. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: ادوارد فنديك.
٩. الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي.
١٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي.
١١. البيان والتبيين: أبو عمرو الجاحظ.
١٢. تاريخ اهتمام الإنكليز باللغة العربية:برنارد لويس.
١٣. تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا :المستشرق النمساوي يوسف جيرا.
١٤. تاريخ حكماء الإسلام:البيهقي.
١٥. تاريخ مختصر الدول، ابن العبري.
١٦. حضارة العرب غوستاف لوبون،ترجمة عادل زعيتر.
١٧. خزانة الأدب:عبدالقادر بن عمر البغدادي.
١٨. دائرة المعارف الإسلامية: منقولة إلى العربية.
١٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة:محمد محسن الشهير بالشيخ آغا بزرك الطهراني.
٢٠. الرحالة المسلمون في العصور الوسطى:زكي محمد حسن.
٢١. صبح الأعشى: القلقشندي.
٢٢. طبقات الأطباء والحكماء: أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي.
٢٣. عيون الأنباء في طبقات الأطباء:أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة.
٢٤. غرائب الغرب:محمد كرد علي.
٢٥. الفهرست: ابن النديم.
٢٦. فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي.
٢٧. القضاة بقرطبة: محمد بن الحارث الخشني القروي.
٢٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة.
٢٩. لسان الميزان:ابن حجر العسقلاني.
٣٠. مرآة الجنان:اليافعي.
٣١. المستشرقون:نجيب عقيقي.
٣٢. معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف إليان سركيس.
٣٣. معجم المؤلفين: رضا كحالة.
٣٤. مفتاح السعادة ومصباح السيادة:طاش كبرى زاده.
٣٥. موسوعات العلوم العربية:أحمد زكي باشا.
٣٦. النجوم الزاهرة:ابن تغري بردي.
٣٧. نوادر المخطوطات: تحقيق عبدالسلام هارون.
٣٨. نهاية الطلب: الجلدكي.
٣٩. هدية العارفين،أسماء المؤلفين وآثار المصنفين:إسماعيل باشا البغدادي.
٤٠. الوافي بالوفيات:الصفدي.
٤١. وفيات الأعيان:ابن خلكان

الأوقاف في تركيا



سهيل صابان

الرياض ـ السعودية

موضوع الأوقاف في تركيا موضوع متشعب، يتفرع منه كثير من الأمور المتعلقة بالدولة والمجتمع من جهة، وبالتاريخ والحضارة الإسلامية من جهة أخرى؛ ذلك أن الأوقاف في تركيا الراهنة، حتى وإن لم تكن على النحو الذي كانت عليه إبان الحكم العثماني، إلا أنها في حقيقة الأمر امتداد لتاريخ الحضارة الإسلامية، بدءًا من القرن الإسلامي الثاني، حتى الوقت الحاضر. لكن ازدهارها وانتعاشها، كان في عهد الدولة العثمانية، أكثر من العصور التي سبقتها.

أهمية الأوقاف في الدولة العثمانية

وهذا الموضوع يمكن تشبيهه بالتطور الذي حصل في الخط العربي؛ فعلى الرغم مما شهده الخط العربي من اهتمام وعناية في العصور الإسلامية التي سبقت العهد العثماني، إلا أن وصول الخط العربي إلى أوجه، والتفنن في تطويره لم يكونا إلا في العهد العثماني. وعلى الغرار ذاته، فإن الأوقاف لم تتطور وتتنوع على النحو الذي نشهده اليوم في الأقطار التي كانت خاضعة للحكم العثماني، إلا في هذا العهد. ومن هنا فإن الاستفادة من الخبرة العثمانية في مجال الأوقاف، جديرة بالتأمل والدراسة.

والوقف مؤسسة اجتماعية دينية ثقافية، قام بدور بارز في الحضارة الإسلامية، وفي العهدين السلجوقي والعثماني، بدءًا من القرن الثامن الميلادي حتى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي. والواقف ينطلق في وقفه من تقديم خدمة إنسانية إلى محتاجيها، يرى حاجتهم إليها، وذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى، وليس تحت ضغط معين. وكما يقول عمر حلمي في كتابه «إتحاف الأحلاف في أحكام الأوقاف» (إستانبول: ١٣٠٧هـ، ص٥): إن أفضل الأوقاف هو وقف شيء يُحسُّ الناس أنهم بحاجة ماسة إليه.

وقد أطلق على عنصري الوقف الإسلامي المهمين الخيرات: وهي المباني، والمؤسسات الوقفية التي يستفاد منها شخصيًا، و«العقارات»، وهي الموارد المالية الموقوفة على تلك المؤسسات الوقفية، للاستمرار في تقديم خدماتها مدى الأيام والشهور والسنين. ويطلق على الوثيقة التي تنظم شؤون الوقف وكيفية تحقيق أهدافها اسم «الوقفية». كما أن لفظة «المبرَّة» من الألفاظ التي يكثر استعمالها في مجال الأوقاف التركية، وهي عربية بمعنى أعمال البر التي ترادف كلمة الخير.

إحصاءات ودلالات

وبناء على الاهتمام الذي شهدته الأوقاف من الأوساط الشعبية منذ أيام الدولة العثمانية حتى الوقت الراهن، فإنني لما بدأت بالكتابة في هذا الموضوع، أردت أن أحصل على بعض الإحصاءات الجديدة عن الأوقاف، وأوضاعها الراهنة على الساحة التركية، فدخلت على بعض المحركات البحثية، فوجدت ٢٩٤٠ موقعًا باللغة التركية وردت فيها كلمة الوقف. وهذا يدل على أهمية



الجوامع والمساجد والمصليات من أهم الأوقاف الدينية

الموضوع، ثم على تشعبه وتنوعة. ومما يجدر ذكره هنا أن جمعية خيرية أو تعاونية إذا أنشئت في تركيا، فإنه يطلق عليها الوقف، ويدرج ذلك بالإضافة إلى اسمها. ولهذا توجد هناك بعض الجمعيات التي أنشئت من لدن النوادي الماسونية، وأطلق عليها لفظ الوقف. مثل وقف الكلية، ووقف العين، ووقف القلب...إلخ التي يشرف عليها نادي ليون الماسوني في تركيا.

ومن ذلك الاهتمام بالأوقاف أيضًا وجود مديرية خاصة بالأوقاف، ووجود الكثير من القوانين المنظمة لشؤون الأوقاف. والحقيقة أن الأرشيف العثماني غني بالوثائق الكثيرة عن الأوقاف في أنحاء مترامية من الدولة العثمانية، ولا سيما أوقاف الحرمين الشريفين والقدس الشريف، سواء في الأناضول أو غيرها من أراضي الدولة العثمانية. ومما ينبغي ذكره بهذا الصدد أن الاهتمام الذي أولاه العثمانيون للأوقاف قد وصل

الوقف مؤسسة اجتماعية دينية ثقافية، قام بدور بارز في الحضارة الإسلامية، وفي العهدين السلجوقي والعثماني، بدءًا من القرن الثامن الميلادي حتى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي

إلى درجة أن السلطان محمود الثاني (١٨٠٩ ـ ١٨٣٩م) الذي يعرف بأنه أب التغريب ومنطلقه في الدولة العثمانية، قد قدم ـ هو وأفراد أسرته ـ تبرعات وقفية سخية للحجرة النبوية الشريفة، لم أقرأ لغيره ممن تبرع بتلك الأموال الكثيرة والهدايا الثمينة لتلك الحجرة الكريمة، ومن هنا فيمكن القول: إن هذا المصطلح الإسلامي الرائع قد تحول مع مرور الأيام إلى عرف اجتماعي معمول به منتشر على نطاق واسع من المجتمع العثماني. وهذا ما أكده الباحث أحمد آق كوندوز في بحثه الموسوم (باللغة التركية) بمؤسسة الوقف في الفقه الإسلامي وتطبيقاتها في الدولة العثمانية. وقد اشتمل على معلومات قيمة في كثير من القضايا الفقهية المتعلقة بالأوقاف وشروط الوقف وأحكامها ونظارتها...إلخ.

تطور الأوقاف في العهد العثماني

ومن ذلك الاهتمام بالأوقاف، ولاسيما أوقاف الحرمين الشريفين، لكثرتها، أن أنشأت الدولة العثمانية نظّارة خاصة بأوقاف الحرمين سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م، للقيام بتنظيم أمور الأوقاف، وتفتيشها في فترات دورية، والإشراف على أمورها، ودفع مخصصاتها المالية بعد تحصيل وارداتها الربحية عن المشروعات التجارية

إذا ما أمعن الإنسان النظر في المبالغ المالية الكبيرة التي أنفقت على تلك الأوقاف، عرف مدى التزام المجتمع مبادئ الدين الإسلامي في التكافل الاجتماعي والالتزام الأخلاقي إزاء المجتمع

والعقارات الموقوفة على الأوقاف. وكانت النظّارة على الأوقاف قبل ذلك تتم من لدن لجنة متولية تشرف عليها برئاسة أقرب القضاة إلى الوقف المعني.

ثم ربطت الأوقاف بشكل مباشر بنظارة الأوقاف الهمايوني الذي أنشئ سنة ١٢٤٢هـ/١٨٣٦م، وألحق نظارة أوقاف الحرمين بها سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م. وكان هناك عدد من الإدارات المشرفة على الأوقاف. منها إدارة تفتيش أوقاف الحرمين، وإدارة حسابات أوقاف الحرمين، وإدارة قطاع أوقاف الحرمين...إلخ.

والحقيقة أن التطور الذي شهدته الأوقاف في الدولة العثمانية، انعكس إيجابيًا على تفعيل دورها وتنويع مصادرها، وعلى التنوع في مجالاتها والخدمات التي تقدمها. وفي هذا الصدد يمكن تقسم الأوقاف، إلى عدة أنواع، مع أن الهدف هو واحد وهو ابتغاء مرضاة الله تعالى:

- أوقاف خاصة بأداء بعض الخدمات الدينية. مثل: المساجد، والجوامع، والمصليات، والتكايا.
- أوقاف خاصة بالتربية والتعليم. مثل: المكتبات، والمدارس، ودور العلم المتخصصة، مثل دور الحديث، ودور القرآن...إلخ.
- أوقاف خاصة بالمجالات المدنية والعسكرية. مثل: بناء المنازل الوقفية، والثكنات العسكرية، والحدائق، والمزارع، والبساتين.
- أوقاف خاصة بالأمور الاقتصادية. مثل: الأسواق الوقفية، والمجمعات التجارية، وأوقاف النقود.
- أوقاف تؤدي وظائف اجتماعية معينة. مثل: المستشفيات، ودور الشفاء، ودور العجزة، ومساكن خاصة بإرضاع الأطفال.
- أوقاف خاصة بخدمات المياه. مثل السبيلات، وبناء القنوات المائية.
- أوقاف خاصة بالمجالات الرياضية. مثل أندية



للأوقاف ارتباط قوي بحاجات المجتمع ومتطلباته

المصارعين، وتكايا للرمي (أي تعليم رمي السهام)، ومختلف أنواع الرياضيات التي كانت متوافرة.

وإذا ما أمعن الإنسان النظر في المبالغ المالية الكبيرة التي أنفقت على تلك الأوقاف، عرف مدى التزام المجتمع مبادئ الدين الإسلامي في التكافل الاجتماعي والالتزام الأخلاقي إزاء المجتمع، ابتغاء مرضاة الله تعالى. ويمكن التمثيل لذلك بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة. فبالإضافة إلى القيمة النادرة

أنشأت الدولة العثمانية نظّارة خاصة بأوقاف الحرمين سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م، للقيام بتنظيم أمور الأوقاف، وتفتيشها في فترات دورية، والإشراف على أمورها، ودفع مخصصاتها المالية

للمخطوطات التي اشتراها في وقته بالذهب الأصفر، فإنه قد خصص لأمناء المكتبة والعاملين فيها رواتبهم بأن تدفع من ذلك الذهب الأصفر أيضًا، وذلك تقديرًا منه على عدم تعرضهم للغبن إذا ما نزلت قيمة النقود في وقت من الأوقات، حيث تبقى رواتبهم ثابتة، لأن الذهب يحافظ على قيمته في العادة..

أما المجالات الوقفية التي اعتاد المسلمون وقف أموالهم فيها أو عليها فهي معروفة، وقد سبق ذكر بعضها. لكن هناك أوقاف لم أكن أعرف شروع المسلمين في مثلها حتى إعداد هذا البحث. فمن الأوقاف الغريبة والفريدة في نوعها: وقف خاص بتوفير جهاز للعروس الفقيرة التي تريد الزواج، ومنها وقف خاص لدفع مبلغ معين للخادمات، ومبلغ من المال على الصحون التي تتكسر بيدها لدفعه إلى سيدها؛ حتى لا تتعرض منه لسوء أو يوبخها، ومنها وقف خاص بالحبر؛ لتزويد العلماء بالقدر الكافي من الحبر، ومنها الوقف الخاص لرضاعة الأطفال، ومنها الوقف الخاص لكبار السن من أصحاب القوارب، وكذلك الحمالون، الذين لا يتمكنون من الاستمرار في العمل بسبب كبر السن، ومنها وقف خاص لتنظيف الشوارع والأزقة. وبهذا الصدد يمكن ذكر وقف غريب، وهو تخصيص المال لتوظيف عدد معين من الرجال للقيام بتنظيف الشوارع من البلغم وما في حكمه، وذلك بصب الرماد عليه. ومنها وقف خاص لشراء الألعاب للأطفال الفقراء، ومنها وقف خاص لتوفير الحبوب لطائر اللقلق في الجامع الجديد بإستانبول...إلخ.

من الأوقاف الغريبة والفريدة في نوعها: وقف خاص بتوفير جهاز للعروس الفقيرة التي تريد الزواج، ومنها وقف خاص لدفع مبلغ معين للخادمات، ومبلغ من المال على الصحون التي تتكسر بيدها

بعض الإحصاءات الوقفية

يحوي أرشيف المديرية العامة للأوقاف بأنقرة ٢٦ ألف وقفية، للأوقاف السلجوقية والعثمانية التي وصلت إلى الوقت الراهن. أما الأوقاف ذاتها التي انتقلت إلى تركيا فهي في حدود سبعة آلاف وقف. وكان في جزيرة قبرص الصغيرة عام ١٨٧٩م (١٣١) وقفًا منها ٨٧ جامعًا ومسجدًا، و٩ مدارس، ومثلها زوايا، و ٣ سبيلات، والأعداد الباقية كانت من الأوقاف التي أوقفها أركان الدولة العثمانية، وتعرف بالكليات، أي أوقاف شاملة، فيها مسجد جامع، وحوله المدرسة، والمسكن، والحمام، والمطبخ، والمستشفى...إلخ. ومن الأمور الجديرة بالذكر هنا في تاريخ الأوقاف بالدولة العثمانية أن المسجد الجامع في أي مدينة عثمانية، ينبغي أن تكون من مشتملاته المدرسة، والإمارة، والسبيل، والمطبخ الخيري والمكتبة.

وبموجب الإحصاءات أيضًا كان يوجد في بلغاريا عام ١٩٨٢م ٣٣٣٩ وقفًا من الأوقاف التي ورثتها من العهد العثماني. منها ٢٣٥٦ مسجدًا جامعًا، و١٤٢ مدرسة، و٢٧٣ جسرًا، و١٦ خانًا (أي خانقاه)، والبقية سبيلات وحمامات ومكتبات..

وفي الختام أريد أن أختتم هذا الحديث المقتضب عن الأوقاف بكلام طريف على دور الأوقاف الاجتماعي بالدولة العثمانية، وهو: أن رجلاً يلد في منزل وقفي (رباط) وينام في مهد وقفي، ويأكل ويشرب من أموال الأوقاف، ويقرأ من كتب الأوقاف، ويدرس في مدرسة وقفية، ويستلم راتبه من إدارة الوقف، ويوضع في تابوت وقفي لما يموت، ويدفن في مقبرة وقفية.

عندما وضعت حرب «البـــــــسوس» أوزارها

وقفة في «الموبية» إحدى ثناي



ــا عارض اليمامة

عبدالله بن محمد الشايع

الدوادمي ـ السعودية

حرب البسوس التي استعر أوارها بين بكر وتغلب، ودامت قرابة أربعين عامًا أشعلها قتل فصيل ناقة، وأطفأها عقر جمل في إحدى ثنايا جبل عارض اليمامة "طويق" فبقرب هذه الثنية جرى آخر يوم من أيام هذه الحرب الطاحنة. وما يعنينا هنا هو التعرف إلى مكان هذه المعركة والمسماة بـ "يوم قضة".

إن القارئ في غضون كتب التاريخ يجد صعوبة في التعرف إلى بعض الأماكن الوارد ذكرها في أخبار أيام العرب في جاهليتهم، وما ذاك إلا نتيجة لتعدد المسميات أو ما حصل في كتابة هذه الأسماء من تصحيف أو تحريف.

والكثير من هذه الأماكن ما زال يكتنفه الغموض على الرغم مما بذل من جهود في تحقيقها. وقد سبق لي العمل على تحقيق ماء «شُبَيْثٍ»، وهو الماء الذي نصبت حوله نوائح كليب وائل عندما قتله جَسَّاس انتقامًا منه لاعتدائه على ناقة خالته «البسوس» بقتل فصيلها وشق ضرعها.

وقد ضمنت هذا التحقيق ورقة عمل ألقيتها في ندوة جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية المنعقدة في إمارة الشارقة بتاريخ ٣ ـ ٥ صفر ١٤٢٣هـ الموافق ٦ ـ ٨ أبريل/ نيسان ٢٠٠٢م.

وقد ضمن هذا البحث في الكتاب الصادر بمداولات هذا اللقاء. وفي أثناء تحقيقي لماء «شبيث»، وصنوه ماء «الأَحَصّ» مَرَّ عَلَيَّ ذكر «يوم قضة» وهو آخر يوم من أيام الحرب المسماة بـ «حرب البسوس»، وبما أن «قضة» هذه واقعة في سفح جبل طويق «عارض اليمامة» فقد حرصت على التعرف إلى هذا المكان الذي تم فيه حسم تلك المعارك التي جرت بين بكر وتغلب، ولم أكن أتصور أنني سأجد صعوبة في الوقوف على هذا المكان إلا بعد البحث عنه خلال الرحلات الميدانية على ضوء النصوص الواردة بشأنه في كتب المؤرخين والبلدانيين قديمًا وحديثًا.

أقـــوال

وتسهيلاً للتعرف إليه سأورد بعض أقوالهم التي تكلمت عليه فيما يأتي، وسنستخلص منها ما يقربنا إلى المكان الذي نبحث عنه:

أولاً: قال ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد»:

«يوم قضة: ثم إن مهلهلاً أسرف في القتل ولم يبال بأي قبيلة من قبائل بكر أوقع؛ وكان أكثر بكر قعدت عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليب بن وائل. وكان الحارث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير بن الحارث، ويقال إنه كان ابن أخيه: فلما بلغ الحارث قتله قال: نعم القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل! وظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله كفئًا له، فقيل له: إنما قتله بشسع نعل كليب، وذلك أن المهلهل لما قتل بجيرًا قال: بؤ بشسع نعل كليب، فغضب الحارث بن عباد، وكان له فرس يقال لها النعامة، فركبها وتولى أمر بكر فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب فقال في ذلك الحارث بن عباد:

قرّبا مربط النعامة مني
لقحت حرب وائل عن حيالي
لم أكن من جناتها علم الل
ـه وإني بحرها اليوم صالي

وكان اليوم الذي شهده الحارث بن عباد يوم «قضة»

ويوم تحلاق اللمم.. وفيه أسر الحارثُ بن عباد المهلهلَ وهو لا يعرفه - واسمه عدي بن ربيعة - فقال له: دلني على عدي بن ربيعة وأخلي عنك، فقال له عدي: عليك العهود بذلك إن دللتك عليه؟ قال نعم.

قال: فأنا عدي؛ فجزّ ناصيته وتركه... ثم إن المهلهل فارق قومه ونزل في جنب - وجنب في مذجج -)(١) إلى آخر ما قال.

من هذا النص فهمنا أن هذا اليوم يسمى «يوم قضة» كما يسمى «يوم تحلاق اللمم» لأن فرسان بكر اتفقوا فيما بينهم على حلق رؤوسهم وذلك حتى تعرفهم نساؤهم بعد المعركة إذا حضرن لإسعاف الجريح وإسقاء العطشان.

ثانيًا: قال ياقوت الحموي في معجمه في مادة (قضَّة):

«... قال الأزهري القِضَّة، بكسر القاف وتشديد الضاد، الوشْنُ؛

قال الراجز:

معروفة قِضَّتُها رُعْنُ الهام

والقِضَّةُ: الأرض التي ترابها رمل، وجمعها قِضَّات، وقال الأزهري: قال ابن دريد: قضة موضع معروف كانت فيه وقعة بين بكر وتغلب تسمى يوم قضَّة، بتشديد الضاد».

وقال ياقوت أيضًا في مادة (قِضَة): بكسر أوله وتخفيف ثانيه: قال صاحب كتاب العين: القِضة أرض منخفضة ترابها رمل وإلى جانبها متن مرتفع، وجمعها القِضون، قال أبو منصور: القضة بتخفيف الضاد ليست من حدّ المضاعف؛ لأن لامه معتلة فهو من باب قضى، وهي شجرة من شجر الحمض معروفة، وقال ابن السكيت: القِضَة نبت يجمع القضين والقضون، وإذا جمعته على مثال البُرَى قلت القُضَى، وأما الأرض التي ترابها رمل فهي القِضَّة بالتشديد، وجمعها قِضَّات؛ قال أبو المنذر: قِضَة بكسر القاف وبعدها ضاد معجمة مخففة، عَقَبَةٌ بعارض اليمامة، وعارض: جبل، وهي من قِبَل مهب الشمال، بينها وبين اليمامة وضمر ماء لبني أسد ثلاثة أيام وأنشد غيره:

قد وقعت في قِضَّة من شرج

ثم استقلت مثل شِدْقِ العِلْج

يصف دلوًا، والعلج الحمار الوحشي؛ يعني الدَّلْوَ أنها وقعت



الصورة رقم ٢: انعطاف الثنية باتجاه الشمال

في ماء قليل على حَصًى في بئر فلم تمتلئ، والماء يتحرك فيها كأنها شدق حمار... وبقِضَة كانت وقعة بكر وتغلب العظمى في مقتل كليب، والجاهلية تسميها حرب البسوس، وفيه كان يوم التحالق فكانت الدبرة لبكر بن وائل على تغلب فتفرقوا من ذلك اليوم...». انتهى ما قاله ياقوت باختصار.

التعليق:

من هذه الأقوال التي ساقها ياقوت في مادة «قِضَّة» بالتشديد ومادة «قِضَة» بالتخفيف تولد عندنا إشكال: لأن هذا اليوم نسب إلى كل منهما؛ فإذا كان بالتشديد فإن التسمية جاءت من كون البئر المسماة قِضَّة ما حولها مرتفع من الأرض أو جوفها رملي، أما إذا كان بالتخفيف فإن التسمية ناتجة من كون الأرض الموجودة فيها هذه



البئر تنبت «القِضَة» وهو شجر من شجر الحمض، وهذا التباين في التسمية يولد عندنا إشكالاً يحسن التعامل معه ضمن الإشكالات التي ستعترض طريقنا في تحقيق هذا المكان.

ثالثًا: قال البكري وهو يتكلم في مقدمة كتابه «معجم ما استعجم» عن مقتل «كليب»، وتفرق ربيعة:

«... فلم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بلد إلى بلد، وتنفيهم من أرض إلى أرض، وتغلب في كل ذلك ظاهرة على بكر حتى التقوا يوم قِضة، وقِضَةُ: عقبة في عارض اليمامة، وعَارِضٌ: جبل، وقِضةُ من اليمامة على ثلاث ليال، وذلك يوم التحالق، فكانت الدائرة لبكر على بني تغلب فتفرقوا على ذلك اليوم وتلك الوقعة، وتبددوا في البلاد؛ أعني بني تغلب، وانتشرت بكر بن وائل وعَنزة وضُبيعة باليمامة...».

وفي مادة «قِضة» قال:

«قِضَةُ: بكسر أوله وتخفيف ثانيه منقول مثل عِدَة. قال ابن شَبَّة: قِضَة: عقبة في عارض اليمامة، وعَارِضٌ: جبل اليمامة، وقِضَةُ من اليمامة على ثلاث ليال وينسب إليها يوم من أيام البسوس، وهو يوم التحالق؛ وذلك مذكور في رسم واردات، وقال ابن الدمينة:

من السَّنَد المقابل ذا مُرَيْخٍ
إلى السَّاقين سَاقَيْ ذي قِضِينا

وقال الجميح:

وإن يكن أهلها حَلُّوا على قِضَةٍ
فإنَّ أهلي الأولى حَلُّوا بِمَلْحُوبِ»

انتهى ما أورده البكري باختصار.

التعليق:

أنت ترى معي أن البكري لم يورد اسم «قِضَّة» بالتشديد، وإنما أوردها بالتخفيف، ويبدو لي أنه أخذ بما ورد في هذين البيتين اللذين أوردهما. فذو قضين، وكذا قِضة. الواردان هنا ليسا مما نحن بصدده؛ لأنهما يقعان جهات الحجاز؛ لأن ابن الدمينة شاعر من قبيلة خثعم.

ويؤيد ما أميل إليه ما أورده ياقوت الحموي في مادة «ذي قضين» فقد ذكر أنه وادٍ ورد في شعر أمية حيث قال:

عرفت الدار أقوت من سنينا
لزينب إذ تَحلّ بذي قضينا

وهذه عادة البكري، رحمه الله إذ يستشهد بأبيات من الشعر على موضع بينما المقصود بها موضع آخر، وهذا مما يوقع في اللبس. والذي أضافه إلينا البكري هو اسم ثالث لهذا اليوم إذ قال في مادة «واردات» وهو يعدد الحروب التي وقعت بين بكر وتغلب:

«... والخامس: يوم قِضَة، وهو يوم التحلاق، ويوم الثَّنِيَّة...».

إذًا هذا اليوم يسمى يوم قِضَّة أو قِضَة، ويوم تِحْلاق اللِّمَم، ويوم الثَّنية. وسوف نتعرف إلى هذه الثنية إن شاء الله؛ فهي مجال بحثنا.

رابعًا: قال صاحب كتاب الأغاني وهو يتكلم عن أيام حرب البسوس:

يوم القصيبات: قال مقاتل: ثم التقوا يوم بطن السَّرْو، وهو يوم القصيبات وربما قيل: يوم القصيبة، وكان لبني تغلب على بكر حتى ظنت بكر أن سيقتلونها.

يوم قِضَة قال مقاتل: وقتلوا يومئذ هَمَّام بن مُرَّة. ثم التقوا يوم قضة، وهو يوم التحالق، ويوم الثنية، ويوم قِضَة، ويوم الفصيل لبكر على تغلب. قال أبو برزة:

اتَّبَعَتْ تغلب بكرًا فقطعوا رملات خزاز والرَّغام ثم مالوا لبطن الحمارة (تصحيف الحَمَادَة) فوردت بكر قضة فسقت وأسقت ثم صَدرت وحلَّؤوا تغلب - منعوها من الماء - ونهضوا في نجعة يقال لها «مُوَيْبَة» لا يجوز فيها إلاَّ بعير بعير؛ فلحق رجل من الأوس بن تغلب بِغُلَيِّم من بني تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذودًا له، فطعن في بطنه بالرمح ثم رفعه فقال:

تَحَدَّ بي أُمَّ البَوِّ على بَوِّك. فرآه عوف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أنفذوا جمل أسماء - ابنته - فإنه أمضى جمالكم وأجودها منفذًا، فإذا نفذ تبعته النَّعَمُ؛ فوثب الجمل في المُوَيْبَّة حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيه وقطع بطان الظعينة فوقع



الصورة رقم ٣: الثنية في صدر الجبل بعد الانعطاف شمالاً



الصورة رقم ٤: جانب من الثنية في صدر الجبل وقد تهدمت أجزاء منها بسبب وسائل التعرية بعد هجرها

فَسَدَّ الثَّنِيَّة ـ ثم قال عوف:

أنا البُرَكُ أَبْرُك حيث أُدْرِك، فسمي البُرَك.

ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مجازًا، وتحالقوا لتعرفهم نساؤهم... فأسر الحارث بن عباد عَديًا ـ وهو المهلهل ـ بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه، فقال: دلني على المهلهل، قال: ولي دمي؟ قال: ولك دمك؛ قال: ولي ذمتك وذمة أبيك؟ قال: نعم، ذلك لك، قال: فأنا مهلهل.

قال: دلني على كفء لبُجَيْر؛ قال: لا أعلمه إلاَّ امرأ القيس بن أبان، هذاك عَلَمُه، فَجَزَّ ناصيته، وقصد امرأ القيس فشد عليه فقتله...» إلى آخر الخبر (الأغاني. ٣٦/٥ ـ ٤٢).

التعليق: استفدنا من هذا النص عدة فوائد منها:

ـ أن يوم قضة حدث بعد يوم القصيبات أو «القصيبة» كما أفادنا أن القصيبة هذه واقعة إلى الشمال الغربي من قضة. ويحسن هنا أن نزيل اللبس الحاصل حول تحديد «القصيبة».

إن علماء البلدان لم يحددوا لنا «القصيبة» بشكل واضح؛ بل كان الاختلاف بينهم ظاهرًا، فبينما يقول البكري عن القصيبات: إنها موضع قريب من ضارج.. ويقال فيه القصيبة أيضًا نجد الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» يقول: «والقصيبتان اللتان ذكرتا في أخبار بني وائل قصبة الرَّغام.. وقصبة ابن خولي بالحمادة».

ويبدو لي أن الهمداني جاء بهذا القول لكون هاتين القصيبتين قريبتين من قضة، ولكن يرد على هذا التحديد ما أورده الأصفهاني رواية عن «أبي برزة» وفحواه أن تغلب اتبعت بكرًا بعد هزيمتها يوم «القصيبة» وفي طريقهم قطعوا رمل الرغام ثم مالوا إلى بطن الحمادة، وهذا القول ينافي ما ذهب إليه «الهمداني» إذ لو كانت «القصيبة» ما يسمى في وقتنا الحاضر «القصب» شرق رمل «الرَّغام» لما كان لتغلب حاجة إلى قطع رمل «الرغام» ومن ورائه رملات خزاز.

ولهذا فإني أميل إلى أن يوم «القصيبة» حدث في «القصيبة» الواقعة في منطقة القصيم والمسماة في وقتنا الحاضر «قُصَيْبَاء». ولست أدري كيف انصرف ذهن مؤلف «معجم بلاد القصيم» عن هذا النص الواضح ليعضد به قول البكري الذي أورده الأستاذ محمد العبودي في رسم «قصيبا» مع أنه ـ سلمه الله ـ يميل إلى أن بشر بن أبي خازم الأسدي في بيته الذي استشهد فيه البكري كان يقصد ضارج القصيم، وكذلك «القصيبة» الموجودة فيه أيضًا؛ إذ قال هناك: «وهذا البيت يشير وحده فيما اطلعت عليه إلى ذكر قصيبة القصيم التي تسمى الآن «قصيبا» والذي نعتقده أنها ليست اسمًا لقصيبا الآن كلها، وإنما القصيبة المذكورة ماء لا أهمية له انتقلت تسميته إلى «قَوّ» الشامل المشهور...» إلى آخر ما قال مؤلف معجم بلاد القصيم.

وبما أنني لا أحب أن أطيل هذا البحث بإيراد جميع ما قاله أستاذنا العبودي من أن القصيبة انتقل مسماها إلى «قَوٍّ» فهذا أمر يطول الكلام فيه ولعل القارئ يرجع إلى ما قلته عن هذا الموضوع في كتابي «نظرات في معاجم البلدان - تحقيق مواضع في نجد» الكتاب «الثاني» صفحة ٢٨٧ تحت عنوان «قصيبا ليست بطن قَوّ».

وهناك سيجدني أشترك مع الدكتور صالح بن سليمان الوشمي - رحمه الله - حيث ذكر في كتابه «الجواء» من سلسلة هذه بلادنا أن تسمية قصيبا قديمة مستشهدًا ببيت بشر بن أبي خازم الأسدي مخالفًا للأستاذ محمد العبودي فيما ذهب إليه من أن «القصيبة» هي «قَوّ».

- كما نستفيد مما أورده الأصفهاني في النص المتقدم أن «قضة» بئر ماء تورد؛ يدل على هذا قوله: «فوردت بكر قضة فسقت وأسقت». وكثيرًا ما تنسب الوقائع إلى موارد المياه.

- كما نستفيد أن اسم «الثنية» هو «المُوَيْبَّة» كما تسمى ثنية «قضة» نسبة إلى الماء الواقع بجوارها.

ويبدو لي أن اسم المويبة أطلق عليها بعدما عقر فيها «البُرك» جمل ابنته أسماء ليضع من معه أمام الأمر الواقع لخوض المعركة مع تغلب التي تبعتهم من «القصيبة» إلى هذا المكان، ولعل ما يؤيد ما ذهبت إليه معنى هذه النسبة ومما قاله أصحاب معجمات اللغة حول هذا المعنى ما قاله الزبيدي في «تاج العروس» مادة (و ب ب): «الوَبُّ: قال ابن الأعرابي: هو التَّهَيّؤ للحملة في الحرب».

وقال صاحب «لسان العرب» في مادة «وبب»:

(التهذيب: الوَبّ: التَّهيُّؤ للحملة في الحرب. يقال: هَبَّ ووبَّ إذا تهيأ للحملة: قال الأزهري: الأصل فيه أبَّ فقلبت الهمزة واوًا).

وكأني بهذا الكلام ينطبق على مُوَيْبَّتِنَا. أليس كذلك؟!

- بعضهم سمّى هذا الماء أو الثنية «قِضَّة» بالتشديد، وبعضهم الآخر ضبطها بالتخفيف «قِضَة» وقد فهمنا أن من معاني هذه الكلمة بالتشديد نبات من الحمض تأكله الإبل، أما بالتخفيف فهي الأرض السهلة المنخفضة ترابها رمل وإلى جانبها متن مرتفع، وعسى أن يتضح لنا شيء من هذا من خلال الرحلات الميدانية.

- مورد الماء هذا في فج غير نافذ من فجاج جبل العارض، ومن صدر منه يريد اعتلاء ظهر الجبل فليس له منفذ إلا ثنية لا تتسع إلا لبعير واحد عند الصعود معها.

أقول: لعلنا نكتفي بهذا القدر من أقوال المتقدمين بشأن «قضة» لنعرج على ما قاله علماء البلدان في عصرنا الحاضر عنها. وإليك ما اطلعت عليه من أقوالهم عن قضة:

أولاً: تعليق الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - على قول (الحازمي) عن قضة في كتاب «الأماكن» - ص٧٧٩ - حيث قال الحازمي:

«وأما الثاني بكسر القاف بعدها ضاد مخففة: ثنية لعارض جبل اليمامة من قبل مهب الشمال بينهما ثلاثة أيام».

علق الشيخ الجاسر بقوله:

«... ويفهم مما ذكر صاحب كتاب «بلاد العرب» - ٢٦٠ - أن قضة تقع في الشمال الغربي من ثنايا العارض «جبل طويق» الواقعة غرب وادي المجمعة فقال بعد ذكر وادي الكلب وهو وادي المجمعة: ثم القلعة ثم أشي ثم قضة ثم العكرشة والجرفة إلى آخر ما ذكر، وبعض هذه المواضع لا يزال معروفًا.) انتهى.

من تعليقه - رحمه الله - نفهم أنه يميل إلى أن «قضة» تقع في الطرف الشمالي الغربي من جبل «طويق» المحاذي لمدينة المجمعة من جهة الغرب؛ إلا أنه لم يحدد المكان. وقوله هذا صائب، إن شاء الله، وسنتخذه دليلاً لنا في البحث عن مكان «قضة».

ثانيًا: أما الأستاذ عبدالله بن خميس فقال في مادة «قِضَة» من كتابه «معجم اليمامة» بعد أن أورد بعض النصوص وأبيات الشعر التي قيلت في قضة:

(... وهي ثنية في العارض، واقعة بين سهل «الحمادة» وبين سُدَيْر في بلاد «العَدَويَّة» ولكنها الآن غير معروفة، والأغلب أنها ثنية «المِشْقَر» والله أعلم. انتهى كلامه.

التعليق:

لقد غَلَّبَ الأستاذ عبدالله بن خميس أن ثنية «قِضَة»



الصورة رقم٥ أعلام ورموز تقع على قمة الجبل شمالاً من الثنية

قد تكون هي ثنية المشقر وتحديد هذا قريب من الاتجاه الذي قاله حمد الشيخ الجاسر - رحمه الله - إلا أن الأستاذ ابن خميس تميز فاجتهد بتحديد المكان. وظني أنه يقصد بثنية المشقر «الأديراب الشمالي» ولست معه في هذا لعدم انطباق الوصف على هذا المكان. وما علينا الآن إلا القيام بالرحلات الميدانية للبحث عن «قضة»:

الرحلة الميدانية الأولى:

من واقع النصوص تبادر إلى ذهني مبدئيًا أن هذه الثنية قد تكون في الطرف الواقع بين مدينتي «الغاط» و«الزلفي».

ومن خلال زياراتي لتلك الناحية لهذا الموضوع وغيره فقد تعرفت إلى عدد من الثنايا، واتضحت لي أسماؤها من مقال نشره الأستاذ فرهود بن صالح الفرهود في مجلة «صدى طويق» العدد ١١ شوال سنة١٤٢٢هـ، كما وجدت تعاونًا من أستاذين كريمين من سكان «الزلفي» هما الأستاذ عبدالله بن أحمد النصار، والأستاذ حميدان بن أحمد الحميدان، وقد صحبتهما في أكثر من رحلة للبحث عن هذا المكان وغيره، ووجدت منهما حماسة يشكران عليها.

ولقد رشحت من هذه الثنايا والدروب ثنيتين وذلك لوجود الماء حولهما، هما: ثنية تلي «مُليْح». وثنية تلي «سمنان»، ولكن بعد تجميع النصوص حولهما اتضح أن هذين الماءين محتفظان باسميهما القديمين؛ وهو ما جعلني أعزف عنهما، فقد أكثرت النصوص القديمة من ذكرهما شعرًا ونثرًا، ذكرهما الشاعر زياد بن منقذ أخو المرَّار في قصيدته المشهورة بقوله:

ياليت شعري متى أغدو تعارضني

جرداء سابحةٌ أو سابحٌ قُدُمُ

نحو الأُمَيْلِحِ أو سَمْنان مبتكرًا

بفتية منهم المَرَّار والحَكَمُ

لهذا أعدت النظر في جملة (مما يلي مهب الشمال) فقد يكون قصد بها طرف الجبل وليس الثنية؛ ولذا اتجهت في بحثي إلى مكان آخر فقد تكون قضة جنوبًا من الغاط. وعند زيارتي للغاط وجدت تعاونًا من سعادة محافظها الأستاذ عبدالله بن ناصر السديري، حيث عرفني على بعض كبار السن ممن لهم دراية بالدروب، وقد قمت برحلة مع اثنين منهم وقد تَأَبَّت «الغاط» (لغاط قديمًا) كما تأَبَّت جارتها «الزلفي» من قبل؛ إذ لو كانت الثنية التي نبحث عنها قرب الغاط لنسبت إليه، والغاط مسماه قديم، قال عُمارة بن عقيل يذكر غيثًا نازلاً:

فَأَطمَّ ذا مرخ فبات يكبه

عما اطمأنّ من الكثيب توثّب

وعلا لغاط فبات يلغط سيله

في قرقرى شعب اليمامة تشعب

لذا زحفت في بحثي عن «قضة» جنوب الغاط في جهة طرف طويق الشمالية الغربية حيث رَجَّحت كما أسلفت أن المقصود بمهب الشمال طرف العارض مستأنسًا فيما ذهبت إليه بقول ياقوت الحموي عن «الفقي» حيث قال: «... والفقي: وادٍ في طرف عارض اليمامة من قبل مهب الرياح الشمالية». وما دام وادي الفقي (وادي سدير حاليًا) مما يلي مهب هذه الرياح فإن الحيز الذي رشحته أخيرًا من مظان تلك الثنية؛ لأنها محاذية لسدير.

الرحلة الثانية:

في هذه الرحلة سلكت المزفت من مدينة «المجمعة» المتجه غربًا إلى الرويضة»، و«الخيس» و«العمار» وفي بلدة «الرويضة» اجتمعت بالأخ الفاضل الشيخ سليمان بن عبدالله أبانمي وهو رئيس المركز وخطيب الجمعة، ولما كان على جانب من العلم والثقافة صادف ما جئت أبحث عنه هوًى في نفسه وتحمس للموضوع، وكذا للموضوعات الأخرى التي أبحث عنها في هذا الجانب من جبل «طويق» وقد قابلت في مجلسه رجلاً مسنًا ما زال يحتفظ بذاكرته، وكان خبيرًا بهذه الجهة ودروبها حيث مشاها على الإبل وعلى قدميه، فانتهزتها فرصة لأسأله عن الثنايا التي تصعد جبل «طويق» من البَطِين وخاصة ما بين «الفروثي» و«الغاط» فبدأ يعدّها على النحو الآتي مرتبة من الجنوب إلى الشمال: أبا مطر. أبا طويل، درب جمعة، أبو قرضية. أبا الفساوي، صيادة، شليل، شلال، السَّقطة، أم الغبطان، درب الحمراء، درب الشق.

وقال إن هذه الثنايا منها ما تصعد معها الإبل ومنها ما هو للراجلة فقط.

وقد تبين لي أن هذه الدروب ليست مرتبطة بموارد مياه؛ لذا استبعدت أن تكون «قضة» إحداها.

وبما أن جنوبًا من هذه الدروب «الفروثي» لذا قررت زيارته؛ لأنه من الموارد القديمة وقد قامت عليه هجرة في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إبان توحيد المملكة، وهو بالفعل واقع في فج داخل في جبل طويق، ومنه طريق يصعد مشرقًا، وبما أنني سبق أن مررت بالفروثي وصعدت منه مشرقًا فلم ألحظ وجود ثنية سوى التي تسلكها السيارات حاليًا. وبما أن الأستاذ حميدان بن أحمد الحميدان متابع لهذا الموضوع؛ فقد اتصل بي هاتفيًا ليشعرني بأن الأخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفالح أفاده بأنه سبق أن شاهد ثنية قديمة مطوية بالحجارة تقع جنوبًا من درب السيارات الصاعد.

الرحلة الثالثة:

بتاريخ ٢ من ذي القعدة ١٤٢٤هـ قررت القيام برحلة



الصورة رقم٦: سهم حجري ينطلق من الأعلام باتجاه الثنية والماء

إلى «الفروثي» صحبني فيها الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الشايع، وعندما أشعرنا الأستاذين عبدالله النصار، وحميدان الحميدان بعزمنا هذا أصرا على ملاقاتنا هناك على أن يتم الاجتماع غرب قرية «الفروثي» المهجورة حاليًا.

وفي أثناء اجتماعنا في مجرى الوادي لاح لنا في صدر الجبل شرقًا من القرية ما يشبه النقيل فقررنا الذهاب إليه، وعند الصعود معه وجدناه مرصوفًا بالحجارة من جانب واحد، ولكن الصعود معه شاق جدًا بحيث استبعدت أن يكون عمل لصعود الدواب معه، ولم يتضح لنا الأمر إلا بعد وصولنا ظهر الجبل إذ تبين لنا أنه صنع كمسيل لماء السيل لينحدر باتجاه الفروثي، ويبدو أنه موغل في القدم.

في أثناء الصعود والنزول كنا نتطلع علنا نشاهد النقيل الذي نبحث عنه وأخيرًا شاهدنا الجزء المبني بالحجارة حيث كانت الجادة واضحة وقد قررت أن أفرد لها رحلة خاصة حتى لا أثقل على الآخرين أكثر مما أثقلت.

الرحلة الرابعة:

في يوم الخميس ٩ من ذي القعدة ١٤٢٤هـ قمت برحلة

إلى «الفروثي» وعقبته وقد صحبني في هذه الرحلة الأستاذ سعد بن عبد العزيز السالم وعند وصولنا إلى ماء الفروثي الواقع على خط العرض ٣٠ ٤٦ ٢٥ وخط الطول ٤٢ ٠٩ ٤٥ اتجهنا إلى الجادة الصاعدة وتوقفنا عند أسفلها وهي موالية للطريق الذي تصعد معه السيارات حاليًا من الناحية الجنوبية، ومن يدقق النظر ير منعطف الجادة المبني بالحجارة.

هذه الثنية يبدأ صعودها باتجاه الشرق ثم تنعطف باتجاه الشمال، وعند هذا المنعطف أُحْكِمَ بنيانها تسهيلاً لها، أما بعد انعطافها شمالاً فهي تسير مع مستوى أوجده الله في صدر الجبل لا يجد السائر معه مشقة، غير أن عرض الجادة لا يزيد على المتر الواحد في بعض أجزائها. ولأن هذه الثنية هجرت منذ ظهور السيارات وتسهيل الطريق الذي تسلكه فقد خرّبت السيول أجزاء منها، وفي أثناء سيرنا معها لاحظنا مجاري المياه مرصوفة بالحجارة.

انظر إلى أجزاء من هذه الثنية الصورة رقم (١) ورقم (٢) ورقم (٣) ورقم (٤) لقد كان لي وقفتان عند الصعود مع هذه الثنية:

الوقفة الأولى: عند المنعطف حيث سألت وأنا واقف فيه. هل في هذا المكان من هذه الثنية عقر «عوف بن مالك» جمل ابنته أسماء فسد به الثنية؟! إنني لا أستبعد هذا.

ومن هذا المنحنى فصاعدًا لا تتسع الجادة إلا لجمل واحد فقط.

أما الوقفة الثانية: فعند أعلى الثنية حيث كنت أشاهد أمامي هذا المتسع من الأرض المحصور بين أنفين من أنوف جبل عارض اليمامة، وهي مساحة صالحة للكر والفر، وهذا هو ماء «قضة» الذي سمي به هذا اليوم من أيام حرب البسوس، وهذه هي الثنية المسماة بـ «المويبة».

إن جميع الصفات التي وردت في النصوص القديمة تنطبق على هذا المكان تمام الانطباق. ومن النادر أن يتوافر وجود هذه الصفات في ثنية أخرى من ثنايا طويق من هذه الناحية.

لقد عدنا من أعلى الثنية نازلين معها لنقطع قرابة نصف كيلو متر حتى نصل إلى سيارتنا المتوقفة عند أسفلها.

إن المتوقف عند الآبار والقرية يشاهد فوق حافة الجبل المطل على الثنية ركمًا من الحجارة وضع للدلالة عليها. وليس هذا هو العلم الوحيد؛ إذ يوجد في المرتفعات المطلة عليها، وعلى الماء من الناحية الشمالية أعلام بارزة ورموز تشير إلى الماء وإلى الثنية. وهذه الأعلام موغلة في القدم. انظر إلى جانب منها الصورتين رقمي (٥) و(٦).

وهذا يدل على أن هذه الثنية كانت مشهورة ومستخدمة منذ القدم. ومن يصعد معها مُشَرِّقًا يشاهد أعلامًا أرضية وضعت على جادة الطريق؛ وذلك قبل الوصول إلى مدافع وادي «المِشّقَر» وإذا دقق النظر فسيرى الأعلام العلوية فوق المرتفعات الجبلية ذات اليمين وذات اليسار.

أما عن سبب التسمية بـ «قِضَّة» بالتشديد أو «قِضَة» بالتخفيف فهذا أمر اختلف فيه علماء التاريخ والبلدان؛ فكل أدلى بدلوه، والاختلاف بينهم ظاهر كما تقدم معنا.

والذي أميل إليه هو ما قال به ياقوت الحموي في مادة «قِضَّة» رواية عن الأزهري من أن «القِضَّة» بكسر القاف وتشديد الضاد، الوَشّنُ...

والوشّنُ في اللغة هو ما ارتفع من الأرض، ومعروف أن ياقوت الحموي اشتهر بتعليل الأسماء.

ومن الصعوبة بمكان التعرف إلى حالة الآبار القديمة في «الفروثي» وذلك لقيام القرية الحديثة بمزارعها، ومع هذا يمكن القول بأن «الوشن» هو ذاك المرتفع الواقع شرق القرية الذي يحجز مياه السيول المنحدرة من الجبل لتدفع باتجاه الآبار.

ومع استبعادنا لسبب التسمية فيكفينا الفج الذي تقع فيه الآبار وهي عِدّ قديم ومن يصدر منها مشرقًا يصعد من الثنية المجاورة لها من جهة الشرق ولا مسلك له غير هذه الثنية الضيقة.

ولكل ما تقدم فإني أميل إلى أن «قِضَّةَ» التي حصل عندها آخر يوم من أيام حرب «البسوس» هي ما يسمى الآن بـ «الفروثي» وأن الثنية هي «المويَّبة». والله أعلم بالصواب.

المدافن: معجزة الفن المعـ



ـماري التدمري

ياسين صويلح

الحسكة ـ سورية

تعرف تدمر باسم عروس الصحراء، وهي اليوم أطلال مبعثرة في قلب البادية السورية، على بعد ٢٤٠كم من العاصمة دمشق، و١٥٥كم من مدينة حمص.

وقد كانت تدمر مكان استراحة ومحطة للقوافل بين الفرات والبحر المتوسط منذ فجر التاريخ فقد جذب ينبوع الماء في الواحة المحيطة بها إنسان تدمر الأول، وبجانب هذا الينبوع الدافئ، بدأ الإنسان حياة الاستقرار، وعرف الزراعة، واستأنس الحيوان، وبنى أكواخه بعد نزوله من كهوف الجبال القريبة، حيث تشكل أول المجتمعات البشرية. فنشأت البيوت المستقرة منذ العصر الحجري الحديث «الألف السابعة والسادسة ق.م» ويستدل على ذلك من نتائج حفريات أجراها الدكتور كارلتون كون أستاذ علم الإنثربولوجيا في جامعة بنسلفانيا الأمريكية الذي قال: إن الإنسان العاقل «الهومو سابيانس» جد الإنسان الحالي، قد نشأ ودرج في هذه البقعة، وأنها كانت أشبه بخزان بشري، فاضت منه الجداول البشرية لتغمر سائر القارات، ثم سكنها الكنعانيون والأموريون وأعطوها عبادة الإله بعل «= بل ومعناه السيد» ثم جاء الآراميون وأسموها «تدمرتو» ومعناه الأعجوبة، ولا يزال هذا الاسم يطلق عليها بلفظه العربي «تدمر» منذ أربعة آلاف عام. وأطلق عليها اليونان والرومان الاسم اللاتيني «بالميرا» نسبة إلى النخيل الذي يكثر في واحاتها.

آثار تدمر

لا تزال تدمر مبعث اهتمام علماء العالم ومثقفيه، لأنها أجمل المواقع الأثرية وأهمها في الشرق على الإطلاق، ولم تتجمع في أي بلدان العالم أوابد مثل تنوع أوابدها واتساعها وامتدادها على مساحة تزيد على عشرة كيلومترات مربعة. فضلاً عن وقوعها وسط البادية السورية وإحاطتها بغوطة من أشجار النخيل والزيتون، وتدفق الينابيع المعدنية في أرجائها، مما يجعلها - فضلاً عن أهميتها الأثرية - منطقة سياحية من الدرجة الأولى.

إن الشعب العربي الذي عاش على هذه الأرض هو الذي عرف كيف يستفيد من الطرق التجارية، وعرف دوره بين الدولتين المتصارعتين (الفرس والروم) وهو الذي مهد طريق الحضارة ولقن مبادئها لأولئك الذين يعتقدون أن آثار تدمر آثار رومانية، ويتناسون أن شعبنا في بلاد الشام وضفاف الرافدين والنيل هو الذي رفد نهر الحضارة العالمية بالفن والمعرفة.

إن آثارنا إبداع محلي خصب تأثر بأسلوب العهدين اليوناني والروماني الذي انتشر حينذاك في بعض المدن السورية، ولعل العالم الكبير مارسيل بويت أصاب كبد الحقيقة حين قال: «ليست عناصر روما هي التي ابتكرت عناصر المدن وتنظيمها، فقد وجدتها واتخذت من نفسها مالكًا لها»، ويشير الأستاذ سيمون بريسك إلى التأثيرات العمرانية في إيطاليا نفسها، عندما يذكر أن «التأثير السوري في الفن الروماني وعمق تأثير الديانات الشرقية في ديانة الرومان».

ولعل الشاعر جوفنال (ت عام ١٤٠م) يخلد هذه الحقيقة، عندما يقول: «إن نهر العاصي يصب في نهر التيبر» حاملاً معه اللغة والتقاليد والفن.

إن آثار تدمر لا تزال تتعرض في كل وقت لحملات التنقيب وبعثات الاستكشاف التي تجد في كل مرة إضافة جديدة لعظمة هذه المدينة ذات التاريخ العريق والآثار الباقية.

ولو أردنا أن نتعرض لتلك الآثار بشيء من التفاصيل لاحتاجت كل آبدة من أوابد تدمر إلى استطلاع خاص بها.

لكننا سنتعرض في هذه العجالة باختصار لبعض الأوابد والمعالم الأثرية «كالمدافن التدمرية» التي لا تزال قبلة أنظار السياح، وكنزًا زاخرًا من كنوز الاستكشافات المتتابعة والمتلاحقة.

المخطط العمراني لتدمر

إن مدينة تدمر ـ كما تبدو لنا اليوم ـ تتبع إلى حد كبير المخطط العمراني اليوناني ـ الروماني المعروف في مدائن سورية خلال العهدين الهلنسي والروماني (أنطاكية ودمشق وبصرى.. إلخ...) وليس هناك شيء من الغرابة في هذه الظاهرة التي نجدها في وقتنا الحاضر واضحة في كل المدن الحديثة التي أخذت تشابه بعضها بعضًا في الشرق والغرب، سعيًا وراء سهولة المواصلات، وأسباب الصحة، ومتطلبات الحياة الحديثة المختلفة.

ويعدّ شارع الأعمدة الكبير أو الشارع المستقيم الذي يتوسط المدينة من أهم المعالم الأثرية الموجودة فيها، ومنها تتفرع بقية الشوارع التي تصل أطراف المدينة بعضها مع بعض.

ويصل طول الشارع المستقيم إلى أكثر من ١١٠٠م، وعرضه ٢٧م، ولا تزال معظم أعمدته قائمة، ويوجد

التدمريون القدامى كانوا يسمون المدافن بـ "بيت الأبدية" لذا نراها خالية من رهبة المقابر: فهي ذات أبنية من الحجر الأبيض الناصع مزينة بالأقواس المزهرة والأفاريز المسلكية والأرائك الممتدة

في وسطه قاعة لسير العربات والقوافل عرضها ١١م، وتقوم على جانبيه أروقة مسقوفة محمولة على أعمدة، يبلغ عرض الرواق ٧م، وتقع بداخله المحلات التجارية التي كانت تنبعث منها روائح الأفاوية والعطور والزيوت، وتمتلئ بالأقمشة والأصبغة والتماثيل والجلود والزجاج والنحاس والفخار والحرير والعاج والجواهر.

ومن أهم معالمه: قوس النصر بمدخله الثلاثي الفتحات الحافل بالزخارف الفنية الأخاذة، كما تحتوي

سيدة تدمرية (القرن الثاني الميلادي)





مدفن الإخوة الثلاثة الذي يتألف من ثلاثة أجنحة في أحدها صور جدارية ملونة

الأعمدة في منتصفها على حوامل بارزة كانت تحمل تماثيل كبار شخصيات المدينة الذين برزوا فيها، وساعدوا على ازدهارها، ولاتزال الكتابات المنقوشة تشير إلى أسمائهم وألقابهم، وعلى الجانبين يقع كل من معبد نبو وحمامات زنوبيا والمسرح والسوق العامة والمصلبة حيث يتقاطع الشارع المستقيم مع الشارع العرضاني، وينحرف قوس النصر بالشارع المستقيم ٣٠ درجة ويحوله بلطف جنوبًا نحو معبد بل كحل هندسي معماري؛ وذلك للحد من البعد اللامتناهي في الشوارع المستقيمة.

المدافن التدمرية

كما اهتم التدمريون بدنياهم اهتموا بآخرتهم، عن طريق اهتمامهم بمقابرهم الضخمة ذات الأشكال الفنية المنحوتة والمرسومة سواء على شكل أبراج فوق سطح الأرض أم على شكل غرف منظمة تحت الأرض. وقد أخذ الفرنسيون الكثير من كنوز مقابر تدمر خلال فترة الانتداب.

ولا بد لمن يود أن يتعرف إلى مستوى حضارة تدمر في هذه المرحلة بشكل خاص أن يزور آثار تدمر ومتحف تدمر، وإلى حد ما متحف دمشق الوطني الذي يحفل بالكثير من هذه الآثار، ولأن التدمريين القدامى كانوا يسمون المدافن بـ «بيت الأبدية» فإننا نرى هذه المدافن خالية من رهبة المقابر؛ فهي ذات أبنية من الحجر الأبيض الناصع مزينة بالأقواس المزهرة والأفاريز المسلكية والأرائك الممتدة، والزخارف والسقوف الملونة الرائعة.. وأبواب هذه المدافن من الحجر ولكنها توحي بأنها خفيفة كأبواب الخشب وعليها دقاقات.. وكل شيء في خارج المدفن

يوحي بمظهر البيت «بيت الأبدية» كما يدعوه التدمريون.

ونجد في تدمر أربعة أنواع من المدافن وهي:

المدافن البرجية:

وتعدّ أول نماذج المدافن التدمرية وأقدمها، وتعود إلى القرن الأول ق.م. ويغلب على هذه المدافن الطابع الجمالي، وهي تقسم إلى أربعة طوابق أو خمسة، بالإضافة إلى طابق تحت الأرض. ويصل ارتفاع هذه الطوابق أحياناً إلى عشرين متراً، وهي تقوم على مصطبة مدرجة تقود إلى الطابق الأرضي المزين بالأعمدة الكورنثية المحددة والأفاريز المزخرفة، وتتسع لمئات القبور المرصوفة جميعًا في جدران المدفن، ويلاحظ في مقدمة هذه المدافن صورة حجرية منقوشة، تمثل صاحب المدفن وبعض أفراد أسرته بالإضافة إلى ما يشير إلى تاريخ المدفن. ومع أن هذا النوع من المدافن قد عرف في منطقة الفرات الأوسط وحمص وحوران إلا أن المدافن البرجية هي بصورة قاطعة مبتكرات الحضارة التدمرية.

ومن أهم المدافن البرجية:

ـ مدفن إيلابل: الذي يعود تاريخه إلى عام ١٠٣م. ويطلق عليه اسم قصر العروس، ويصل ارتفاعه إلى ٢٠م، وقد بني هذا المدفن على يد أحد مؤسسيه الأربعة: إيلابل، وشاكي،

مدينة تدمر ـ كما تبدو لنا اليوم ـ تتبع إلى حد كبير المخطط العمراني اليوناني ـ الروماني المعروف في مدائن سورية خلال العهدين الهلنسي والروماني



المقبرة البرجية

ومقيم، ومعني، وهم أبناء وهب اللات بن معني، وقد أثبتت التنقيبات في معبد نبو أن هذه الأسرة أدّت دورًا مهمًا في بناء تدمر، كما عثر في مدفن إيلابل على منحوتة لإله الخمر عند العرب، وهي مصنوعة من الحجر الكلسي، وتعود إلى القرن ٢م. بالإضافة إلى التماثيل النصفية المصنوعة من الجص، وهناك مدفن أسرة «يمليكو» الذي يعود تاريخه إلى عام ٨٣م. ومدفن «كيتوت» عام ٥٠ق.م، وهما يشبهان مدفن «إيلابل» ويقعان إلى الشرق منه، بالإضافة إلى مدفن «جامبليك» الذي عثر فيه على لوحة التأسيس التي كتب عليها «أن جامبليك بن مقيمو، بنى هذا له ولأهله عام ٢م» ويوجد فوق اللوحة نحت لتمثال بارز ممدد على سرير جنائزي.

المدافن الأرضية:

وقد انتشر هذا النوع من المدافن في القرنين الثاني

لا يزال موقع تدمر الأثري يحمل الكثير من الكنوز والأطلال المخبأة تحت الرمال، وهي تنتظر دورها لينتشر فنها وجمالها، ويسهم في إكمال صورة تدمر الرائعة

والثالث الميلاديين، وتقوم هذه المدافن تحت الأرض على عمق يصل أحياناً إلى سبعة أمتار، وتؤدي إلى باحة واسعة ومزينة. والشكل العام لهذه المدافن على نموذج حرف (آ) بشكل مقلوب. أي أنه مؤلف من جناح رئيس مقابل للمدخل وأجنحة فرعية على الجانبين. ويقدر أن هناك مئات منها في جميع المقابر التدمرية، وظهر منها عام ١٩٥٧م نحو عشرين دفعة واحدة في المقبرة الجنوبية.

ومن أهم المدافن الأرضية:

- مدفن الإخوان الثلاثة: ويعود تاريخه إلى عام ١٦٠م، ويقع في منطقة المدافن الجنوبية الغربية، وقد كتب على اللوحة الحجرية الواقعة على واجهة المدفن أسماء الإخوة الثلاثة «مالئ، وسعدي، ونعماي»، كما عثر في المدفن على السرير الجنائزي للإخوة الثلاثة، وسرير آخر «لمالئ» في الجناح الأيسر.

- مدفن يرحاي: ويعود تاريخه إلى عام ١٠٨م وقد أسس على يد (يرحاي بن بربكي) وتم نقله إلى المتحف الوطني بدمشق عام ١٩٣٥م، وأهم ما يميز هذا المدفن هو الباب الحجري ذو المصراعين الذي نحت سطحه الخارجي على شكل الأبواب الخشبية، وأما واجهة المدفن فهي مؤلفة من محرابين يعلو كلاً منهما شكل صدفي وأسفلهما مائدة الموتى.

- مدفن أرطبان: ويعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، باسم أرطبان بن مالك بن يرحاي ويقع في منطقة المدافن الجنوبية الشرقية، ويتميز بابه الحجري بالأشكال الهندسية، ورأس العنقاء المسكة بالباب.

- مدفن شلم اللات: ويعود تاريخه إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي. وقد أسس على يد «شلم اللات بن ملكو». ويقع هذا المدفن بين مدفن إيلابل البرجي، ومدفن يرحاي الأرضي، ويعدّ من أروع المدافن الأرضية التدمرية المحفورة في الصخر الغضاري والرملي وأكملها. ومن أهم ما عثر عليه ضمن هذا المدفن. أوان فخارية ونقود ومباخر ودمى مثبتة بمسامير برونزية بالإضافة إلى بعض الهياكل العظمية والتماثيل النصفية.

- مدفن بولحا التدمري: ويعود تاريخه إلى عام ٨٨م. ويقع بجوار المدافن الجنوبية الشرقية، وقد أسسه

منظر عام لمقابر تدمرية



«بولحا بن شورى» وكان هذا المدفن في البداية بسيطاً، ولكن بعد الغنى الذي أصاب تدمر جدّد هذا المدفن بتغطية جدرانه بالجص، وتدعيم عضاداته الترابية.. ووضعت فيه الأسرة الجنائزية المنحوتة، وأغلقت القبور بتماثيل الموتى، إضافة إلى القرميد المشوي.

المدافن البيتية:

ظهر هذا النوع من المدافن منذ القرن الثاني الميلادي، وهو شديد الشبه بالبيت، ويتألف من طابق واحد، ويمتاز بسعته، وله باب حجري يؤدي إلى ممر ثم إلى باحة. وعلى طول الجدران مصاطب تضم قبورًا بعضها فوق بعض ومنحوتات فوقها تمثل أصحاب المدفن.

ومن أهم هذه المدافن:

. المدفن المعروف بالقصر الأبيض: الذي عثر عليه في وادي القبور ومدفن «مارونا» الذي سمي باسم «جوليوس مارونا» عام ٢٣٦م، وقد حول إلى بيت بإجراء بعض التعديلات، وعرف باسم قصر الحية لوجود رسم حية على تاج عضاداته «والحية رمز الشمس والحياة المتجددة».

. المدفن رقم ٣٦: ويعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي، ويقع في وسط وادي القبور، وعرف بهذا الاسم بغياب اسم مؤسس المدفن الذي يعتقد أنه منتسب إلى الطبقات العليا في تدمر. وللمدفن شكل مربع مكون من قسمين. وقد عثر في محتويات هذا المدفن على الكثير من المنحوتات والزخارف وتماثيل لوجوه هادئة تدل على الاستقرار النفسي بالإضافة إلى بعض المجوهرات والحلي التي تدل على الرفاهية والغنى المادي.

هيكل الموتى: ويعود تاريخه إلى بداية القرن الثالث الميلادي، وتتقدم المدفن مصطبة يصعد إليها برج يفضي إلى رواق فوقه جبهة مثلثية، وفيها عضادات منقوشة بزخارف نباتية، أما معازبه فهي

المدافن البرجية تعدّ أول نماذج المدافن التدمرية وأقدمها.وتعود إلى القرن الأول ق.م. ويغلب على هذه المدافن الطابع الجمالي. وهي تقسم إلى أربعة طوابق أو خمسة.

تواجه مدخل المدفن باستثناء معزبة منفردة لها أربعة أعمدة محطمة ولكنها أضخم وأكبر من الموجودة على جوانب المدفن.

القبور الفردية:

وهي قبور عامة الشعب، وتؤلف الغالبية العظمى من المدافن في تدمر على عكس المدافن الأخرى التي ورد ذكرها، والتي تعدّ مدافن خاصة لشخصيات عسكرية، أو مدنية مهمة. وتتألف هذه المدافن من حفر مستطيلة في الأرض طولها ٢م، وعرضها ٥٠سم، وجدران هذه القبور منحوتة من الحجر الكلسي، ويسجى الميت داخل تابوت مصنوع من الآجر المشوي، ويوضع داخل القبر الترابي. وفوق القبر توضع شاهدة مزخرفة عليها تمثال المتوفى أو ستار الموت المعلق بسعف نخيل يرمز إلى أمل الإنسان في الحياة ثانية.

خاتمة:

لا يزال موقع تدمر الأثري يحمل الكثير من الكنوز والأطلال المخبأة تحت الرمال، وهي تنتظر دورها لينتشر فنها وجمالها، ويسهم في إكمال صورة تدمر الرائعة.

إن أطلال تدمر الخالدة وتاريخها المجيد وموقعها الممتاز، مناجم للتاريخ والفن والجمال لا تفنى على مرّ الأيام.



قوس النصر

الهوامش و المراجع

١. عدة محاضرات للأستاذ خالد أسعد مدير آثار تدمر ومتاحفها.

٢. محمد عكروش، تدمر كلام الحضارة المتبقي، ملحق الثورة الثقافي العدد ٣٧٣ تاريخ ٢٠٠٣/٨/٣م.

٣. خالد أسعد، مجلة العمران السورية العدد (٢٧ و ٢٨) مارس/آذار ١٩٦٩م.

٤. جولة استمرت عدة أيام قام بها الكاتب في مدينة تدمر وبين آثارها وأوابدها.





الحاصدة المنفردة

ويليام وردزورث*
ترجمة: بشير رفعت سعيد محمد
كفر الشيخ - مصر

أُنظر إليها: وَحْدَها في الحقل
فوق الربوة العلياءِ (لاسَ) المفردهْ
تشدو وتحصد وَحْدها
قف ها هنا أو مُرَّ كالنَّسَمِ
فلوَحْدِها تجني حصادَ القمحِ في حِزَمِ
تشدو بلحن موحشِ النَّغَم
صَهْ! إنَّ للوادي العميقْ
مع صَوْتِها سَرَيانَ مُنْسَجِمِ
لمَّا يُغرِّدْ بلبلٌ مِنْ قَبْلُ
أكثر روعةً من شَدْوِها في أغنياته
لشراذمِ المتنقِّلين المُتْعَبِينْ
في واحةٍ خضراءَ
في وسطِ الصحارى اليعربية
شدوٌ بهذا السِّحْرِ لم يُسْمَعْ
من طائر الوقواقِ في فصلِ الربيع
مُحَطِّمًا صَمْتَ البحار
هناك وسْطَ جزائرِ «الهِبْرَايدْ»

أفَلَنْ يُنبئني، بما تشدو، أحَدْ؟
فغناؤها النَّوَّاحُ قد تزجيهِ
أشياءٌ من الماضي البعيدِ قديمةٌ تَعْسةْ
ومعاركُ الزمن السحيقْ
أم أنَّها تعديدةٌ رَعْنَاءُ
لا تنبو عن المعهودِ مِنْ أتراحِنا:
حزنٌ غريزيٌّ، ضياعٌ، أو ألمْ
قد كان يومًا ثُمَّ عاوَدَها.
أيًّا يكُنْ معنى الغناءِ، فقد شَدَتْ
وكأنَّ ذاك الشدوَ شَدْوٌ سَرْمَدِيٌّ
فلقد بصرتُ بها تُغَنِّي
في شُغْلِها، عَبْرَ التواءِ المِنْجلِ
ومَلأْتُ أُذْني
من شدوها،
ووقفتُ وقفةَ ذاهلِ
وملأتُ قلبي بالنَّغَمْ
إذْ كنتُ أمضي صاعدًا للتَّلْ
لكن، وقد مرَّ الزمانُ عليَّ،
ذاك اللحنُ مِنْ سَمْعي أفلْ!

الهوامش

* ويليام وردزورث William Wordsworth (١٧٧٠ - ١٨٥٠م): شاعر إنجليزي مؤسس للحركة الرومانسية ومن أهم شعراء الطبيعة على مَرِّ العصور.

مــــاذا أبقـــيت؟!

سعد البواردي
الرياض ـ السعودية

شـجـر الزيتـون يا «شـارون».
رمــوز سـلام. تُقطعـهـا!
ودروب الناس بالجـرافـات
أوصـالاً تُوزعـهـا!
وحـوامل حـول متـاريسكَ
احْـتُـجِـزتْ قسرًا تُروعـهـا!
ماذا أبقيتْ؟!
دار كـانـت سـكـنًـا
آمنةً تُدفـئـهـا الشـمسْ
باتت لسـاكنهـا كـفنًـا
يـطـوي أحـلام الأمسْ
وحـقـول تحـيط بهـا..
تـبـكـي أزهـارَ الأمـس
ماذا أبقيتْ؟!
حـتى المـاءَ ضننتَ بـه
فـجـرتَ له أنابيـبـهْ
حـتى النور ضـقتَ بـه
أطفـأتَ له شـآبيـبـهْ
حـتى السِّلْمَ كـفـرتَ بهْ
أوصـدْتَ في غِلٍّ دروبهْ
ماذا أبقيتْ؟!
أبقـيتَ كـرامـةَ شـعب
لن يهـزمـه أبدًا حـقـدكْ
أبقـيتَ جـراحًـا ثائِرة..
مَـدًّا أبقى من مَـدِّكْ
مـهـلاً.. لسـوف ترى
ويـرى مـن يـأتي بـعـدكْ
ولن تنفعَ ليت!



سوق الجفرة

إبراهيم الناصر الحميدان

الرياض ـ السعودية

قد تكون بعض المسميات في العهود السابقة جافة لكونها تخلو من تلطيف العبارة مكتفية بالصراحة التي لا تبتعد عن الواقع. فقد كان ذلك عصر الوضوح والشفافية بعيدًا عن التحايل وراء الإغراق في الغموض، فحين سألني ابني ذات صباح وقد رأى الحيرة بادية على وجهي.. لماذا لا نملك عربة مثل أعمامي وأخوالي؟ أجبت بسرعة لأننا فقراء. وفي حسباني أنه لا يستوعب هذا المعنى حيث لا يرى فيهم ما يختلفون به عنا. هكذا ابتلع الإجابة دون فهم.. إنما أدخلها إلى أعماق وعيه عساه يعثر لها على تفسير مقنع في وقت لاحق. ومع ذلك فقد أشفقت عليه من متاعب البحث والحيرة فأوضحت له بأن مرتبي محدود. وأضفت أن ما أتقاضاه من مرتب شهري لا يسمح لي بتوفير قيمة شراء عربة.. لأنها هي الأخرى أيضًا بحاجة إلى مصروفات الوقود وغيره، فهز برأسه مع يقيني أن ما قلت لم ينر أمامه سبيل الفهم الكامل؛ لأن الله خلقنا سواسية.

وبما أنني في ذلك الحين كنت أستعد للذهاب إلى العمل الذي يستغرق مني السير عشرات الأمتار قبل العثور على واسطة تنقلني إلى موقع قريب من مكان عملي.. فقد عزمت أن أجلس مع ابني جلسة مكاشفة تميط اللثام عما انغلق عليه فهمه وهكذا مضيت إلى الشارع العام وأنا أحادث نفسي هل أعترف له متحسرًا من ضآلة مرتبي الذي يبزني فيه معظم زملائي؛ لأن الواسطة أدت دورها كأي منشأة خاصة في تحديد المرتب وبينما كنت في غمرة هذه الرؤى وجدت جاري أبا عبدالله ـ وهو متقاعد منذ بعض الوقت ـ يتقدم باتجاهي، وكان من عادته الخروج يوميًا من منزله صباحًا والتجوال في أزقة الحي لقضاء الوقت حسب ما أخبرني؛ لأن جلوسه في البيت يضايقه. لذا فإن مقابلتي إياه تتخللها في الغالب التحيات والسؤال عن الصحة والأحوال. على أنه أبدى في ذلك اليوم ملاحظة أثارت انتباهي إذ قال لي هامسًا: ألا تفكر في شراء سيارة يا أبا محمد؟. ابتسمت له وأنا أجيب بكل صراحة: من أين آتي بقيمة السيارة؟رد بكل ثقة: سوف أدبر لك الحصول على دينه من أحد التجار فما رأيك؟ قلت: جزاك الله كل خير على هذا السعي.. سوف أفكر جديًا عندما يتيسر الأمر. مضيت في حال سبيلي وما زلت أفكر بهذا الاقتراح الذي لم يخطر على بالي رغم أن اقتناء عربة أصبح من شروط الوجاهة في مجتمعنا الذي يركض وراء المظاهر في حمى مرحلة التحول. وبعد أيام شاهدت جاري ليس بعيدًا عن داره ربما يترصد خروجي بدليل أنه تقدم مسرعًا باتجاهي حالما رآني أغادر باب المنزل خلفي فسلم عليَّ مبتسمًا، وأخبرني أن موعدنا عقب صلاة العصر في المسجد القريب من زقاقنا. فشكرته ومضيت إلى عملي مفكرًا فيما سوف يحدثه اقتناء عربة وإن كانت مستعملة من تغيير في مجرى حياتنا إذ لا يخفى علي أن أي حركة في تلك العربة إنما تعني استهلاك الوقود الذي سوف يشكل بندًا جديدًا في المصروف اليومي الذي يغتال المرتب قبل نهاية الشهر.

وقد أيدني جاري حينما شكوت له من هذا الغلاء الذي بدأ يضرب أطنابه في السوق المحلية فعلق قائلاً:

ـ كلنا في الهم شرق.. إن شاء الله ربنا يصلح الحال.

فأضفت: الحل هو أن تتدخل الدولة لتحديد الأسعار..

ـ فرد قائلاً: هذا لا يجوز؛ لأن التجارة حرة.

ـ الجشع أصبح يعمي القلوب ويصرفها عن الرحمة.

ووصلنا إلى مشارف سوق المقيبرة فقال:

علينا بسوق الجفرة فدكان صاحبنا هناك. وكان يقتضي أن نزاحم المتبضعين في تلك السوق الشعبية حتى توقف صاحبي أمام حانوت صغير مليء بأكياس الطعام. فسلمنا على الرجل، ثم رأيته يتهامس معه. فأشار الرجل وهو يحدجني بنظرات مركزة إلى بعض الأكياس قائلاً:

ـ ضع يدك عليها.. فسوف تؤول إليك إن شاء الله.

وحالما فرغت من تحسس تلك الأكياس تناول دفترًا كان يضعه بين طيات تلك البضاعة وشرع في الكتابة قائلاً:

ـ أنت اشتريتها بأربعة آلاف ريال موافق؟

فهززت رأسي بعلامة الإيجاب، وسمعته يعقب، ولكني لن أدفع لك فيها سوى ثلاثة آلاف ريال فما رأيك؟

فتدخل جاري أبو عبدالله معلقًا:

ـ الأسعار متذبذبة هذه الأيام فتوكل على الله وبع.

ـ فقلت: موافق.

ـ فعقب الرجل: على بركة الله.

وطلب مني أن أوقع على الورقة التي كتبها دون أن أقرأها؛ لأنه أشفعها بصرة نقود فتناولتها ووضعتها في جيبي وأنا غير مصدق، وكنت أسمع إلى تحذيره وهو يقول:

ـ لا تهمل القسط.. كل شهر خمسمئة ريال.

فرد جاري بالنيابة عني:

ـ إن شاء الله.. هو رجل وافي ومثبوت.. فلا يصير خاطرك إلا مرتاح.

وكان أكثر أفراد الأسرة سعادة هو ابني الذي أخذ يعدد الفوائد التي سوف نجنيها من شراء السيارة، أولاها أننا سوف نأكل أكثر وجباتنا خارج المنزل أسوة بما يفعله الجيران في العطل الأسبوعية، وأضاف:

ثم سأتعلم القيادة بواسطتها بين كثبان الرمال!!





الاعتذار

خيرية إبراهيم السقاف

الرياض ـ السعودية

لم أكن أدرك حجم هذا المدى الذي انفلتت فيه أسئلتي، كي ألحقَ بالقطار، وأجدَ مقعدي بجوارِكَ.. حتى أفقتُ، وهديرُ صوت عجلاته تحتكُّ بالحديد...، وهواءٌ باردٌ يعتسفُ خديَ الأيمن، حيث يتناصُّ مع النّافذة...،

تلك اللّحظة، مدّدتُ قدميَّ، كي تستريحا قليلاً، فلقد صُلِبتا تحت جسدي المنهك بهموم كلِّ ما تُلقمه، دون أن أملكَ رأسي، ولا تفكيري...

شاشةُ الحاسوب كانت تلتهمني بضوئها الفسفوري، كي أنحني إلى حيث قدميَّ، وأقدم لهما الاعتذار عنّي، وعنك، كلّما شعرتُ بأنَّ عليَّ أن أفعل ذلك لهما، كما أفعل الآن... وأمدّدهما كي تستريحا: أتذكرُ كيف كنا نرسلهما في المشاوير الوعرة، ونعتقلهما عند الإشارات الحمراء، ونحرك بهما متاريس المعتقلات؟

ولكن،

صدمتني قدماكَ، إذ هما تمتدان، حيث أرسلتُ قدميَّ لتنطلقا، لم تتحْ قدماك لهما مكانًا...

أتدري أنني عندما فتحتُ عينيَّ لم أكن في القطار؟ ولا كانت قدماي تصطكّان بقدميكَ؟!

لكنني كنت هنا،

لا زلتُ أقفُ هنا، قدماي تحملانني... حيث قَدَّمْتُ لكَ ورقةً بيضاء، كي تحمل عليها فتسوِّدها بقوائم الطلبات، وبجدول حركاتي...!

هذا المساء، ستحتفل أنتَ باستقبال أصدقائكَ، وعليّ أنا أن أشعلَ وقيدي...

و...

عندما أحضرتَ المشتريات، لم تنسَ كعادتك، دسَسْت بينها زجاجة العطر الذي تحبُّ أن تغسلَ به يديك، ووجهكَ، بعد كلِّ وجبةٍ..

قلتُ لك، وكرّرت: كيف تخلطُ العطرَ بالخضار؟ وكيف تضعُ التفاحَ مع البصل؟..

غير أنك تؤكد أنَّ القرطاسَ الورقي الذي يلمُّها، إنَّما يفعلُ ذلك للحظات، وهي عندي كفيلة بأشياءَ...! وعندكَ الزمن يعبرُ... وأنت تغسلُ وجهك ويديك...،

في نهاية اليوم، هذا الذي فتحتُ فيه عينيَّ، ولم أكن في القطار، قدماي كانتا معي... وعند بَدْء اللّيل، وأنتَ تستنشقُ رائحة العطر في كفِّكَ بنهم... ومن ثمّ تفركُ كفّكَ بأنفكَ...

قدَّمتُ لك الأطباقَ





كانت شهيةً منوعةً..

وأشرتُ إليك، كي تنظر إلى مؤشِّر الساعةِ...

كـــان هنـاك زمنٌ هـامٌ للـغـــايـة، بـين وقت ذهـابك للمـشـتـريات، وبين وقت غَـسْلك يديك، بعطرك الذي تفضل...!!

المائدةُ لا تزالُ منبسطةً...

لم يُتَحْ للوقتِ رفعُ أطباقها...

دلفتُ لحجرتي...

فتحتُ جهاز الحاسوب..

مـسـحتُ على قـدميَّ، كي لا أنسى تقـديم الاعـتـذار إليهما،

و....

ومؤشِّر الوقتِ

لا يقف...

و.....

وثمة صوتٌ لاحتكاك عجلات القطار بالحديد الممتد في غـيـاهب طريقـه... في جـوف اللّيل... يصكّ مع وقع نبض بندول الساعة أذنيَّ..

وشاشةُ الحاسوب تلتهمُ بصري...

وأنت... لا تزال، لم تهضم وجبتكَ بعد...



هـــديـــة السـحــرة

أو. هنري*

ترجمة: فاضل كمال الدين

بابل ـ العراق

دولار واحد وسبعة وثمانون سنتًا، كان ذلك كل شيء، وكانت ستون سنتًا منها بشكل فلسات/ وكانت الفلسات قد ادُّخرت فلسًا أو اثنين في المرة الواحدة بإرهاب البقّال وبائع الخضراوات والقصّاب، وإلى أن تحترق وجنة المرء بحسابات صامتة دالة على البُخل الشديد الذي كان ينطوي عليه هذا التعامل المباشر. ثلاث مرات أحصت «ديلا» ذلك المبلغ. دولار واحد وسبعة وثمانون سنتًا. وفي اليوم التالي سيكون هناك عيد الميلاد.

ولن يكون هناك شيء يجب القيام به باستثناء الارتماء فوق السرير الصغير البالي والوَلْوَلة، وهذا ما قامت به «ديلا» أيّ ما يُثير التأمل الأخلاقي من أن الحياة تتألف من تنهُّدات ونشيج، وشهقات، وابتسامات، بحيث أن الشَهقات تكون لها المكانة الأولى.

وبينما تنتقل تدريجيًا ربَّةُ البيت من الطابق الأول إلى الطابق الثاني، تُلقي نظرة على البيت، وإيجار الشقة المؤثثة هو ثمانية دولارات في الأسبوع.

وفي المجاز الموجود في الأسفل كان هناك صندوق للرسائل لا تدخل رسالة فيه، وكان هناك زرّ كهربائي لم يكن المرء يستطيع انتزاع قرع للجرس منه، وممّا يتعلق بذلك المنزل أيضًا بطاقة تحمل اسم «السيد جيمس دلينغهام يونغ».

وكان «دلينغهام» قد وافاه الحظّ خلال فترة ازدهار سابقة عندما كان يُدْفع لمالك المنزل ثلاثون دولارًا في الأسبوع.

والآن، عندما تقلّص الدخل إلى عشرين دولارًا، صارت حروف كلمة دلينغهام غير واضحة وكأنما هي كانت تفكر جديًا بالانكماش إلى حرف (د) متواضع، ولكن متى ما كان السيد «جيمس دلينغهام يونغ» يصل إلى شقته في الأعلى كان يُسمى «جيم» وتعانقه السيدة «جيمس دلينغهام يونغ» التي قدّمناها لك قبل قليل باسم «ديلا». وهو أمرٌ حسن جدًا.

انتهت «ديلا» من بكائها وأصلحت شأن وجهها بواسطة خِرقة مسحوق التجميل. ووقفت بجانب النافذة وتطلعت بإمعان نحو الخارج إلى قطة رمادية كانت تمشي فوق سياج رمادي في فناء خلفي رمادي. غدًا سيكون يوم الميلاد، ولم يكن لديها سوى دولار واحد وسبعة وثمانين سنتًا عليها أن تشتري بها هدية لـ «جيم». وكانت قد مضت عليها أشهر وهي توفّر كلَّ فلس استطاعت توفيره. وعشرون دولارًا أسبوعيًا لا تستطيع تحقيق الكثير، والمصروفات كانت أكثر ممّا كانت تظنّ. وهي كذلك دائمًا.

وليس هناك سوى دولار واحد وسبعة وثمانين سنتًا لشراء هدية لـ «جيم» حبيبها «جيم» وكانت هناك ساعات كثيرة كانت تشعر فيها بالسعادة عندما كانت تخطط لشراء شيء لطيف له.. شيء رائع ونادر وأصيل.. شيء يقترب قليلاً من كونه جديرًا بشرف كوْنه مملوكًا من قبل «جيم».

وكانت هناك مرآة حائط ما بين نافذتين في الغرفة. وربما أنك قد رأيت مرآة حائط في شقة بثمانية دولارات. فالشخص النحيل جدًا والرشيق جدًا يستطيع الحصول، بملاحظته لصورته المنعكسة في تعاقُب سريع لأجزاء طويلة، على فكرة دقيقة عن مظهره، ولأن «ديلا» كانت هزيلة برعت بهذا الفنّ.

وفجأة تركت «ديلا» النافذة ووقفت أمام المرآة. وكانت عيناها تلتمعان بصورة رائعة غير أن وجهها قد فقد لونه

خلال عشرين ثانية. وسرعان ما أسدلت شعرها وتركته يهبط بكامل طوله.

والآن، كان هناك اثنان من مقتنيات عائلة جيمس دلينغهام يونغ» كان كلاهما شديد الافتخار بهما: المقتنى الأول كان ساعة «جيم» الذهبية التي كانت تعود سابقًا لأبيه وجدّه. والمقتنى الثاني كان شعر «ديلا» ولوْ أنَّ ملكة سبأ كانت قاطنة في الشقة عبر عمود التهوية، لكانت «ديلا» قد أخرجت شعرها من النافذة يومًا ما ليجف، وليس لشيء إلا لكي تكف مجوهرات وهبات جلالتها. ولو أنَّ الملك سليمان كان بوّابًا، ومع كلّ كنوزه المتراكمة في السرداب، لكان «جيم» قد أخرج ساعته الذهبية في كل مرة يمرّ فيها أمامه، وليس لشيء إلا لكي يراه يمسك بلحيته ويسحبها من الحسد.

والآن هبط شعر «ديلا» الجميل إلى ما حواليها متموِّجًا ولامعًا مثل شلاّل صغير من مياه بنية اللون، ووصل إلى ما دون ركبتيها، وأصبح ثوبًا تقريبًا لها. وبعد ذلك، قامت بترتيبه من جديد بعصبيّة وبسرعة. وبينما كانت مترددة لدقيقة وجامدة بلا حراك، سقطت دمعة أو دمعتان على البساط الأحمر البالي.

وضعت «ديلا» عليها سترتها القديمة البُنية اللون، ووضعت عليها قبَّعتها القديمة البنية اللون. وبهزَّة من تنورتها، وبالتألُّق الذي مازال في عينيها، جعلت «ديلا» البابَ يرتعش عند خروجها نازلة السلالم إلى الشارع.

وحيثما توقفت «ديلا» كانت اللافتة تحمل هذه العبارة «السيدة (سوفروني).. سِلَع من شَعر من جميع الأنواع»ركضت «ديلا» إلى أعلى بشوط واحد سريع جدًا، ثم استعادت السيطرة على نفسها وهي تلهث، كانت السيدة «سوفروني» ضخمة الجسم، شديدة البياض، ورهيبة.

«هل تشترين شعري؟»، سألتها «ديلا» قالت السيدة:

أنا أشتري شَعرًا.. اخلعي قبعتك ودعيني أنظر إلى شكله، هبط الشلال الصغير البُنِّي اللون وهو يتموَّج.

قالت السيدة: «عشرون دولارًا»، وهي ترفع كتلة الشعر بواسطة يد متمرسة.

قالت «ديلا»:

«أعطيني إيّاها بسرعة»

أُوه.. طارت «ديلا» في الساعتين اللاحقتين بجناحين ورديين.

والآن دعك من هذا التشبيه المربك.. لنَقُل كانت «ديلا» تنقِّب في مخازن عن هدية لـ «جيم».

وجدت الهدية في آخر الأمر. ومن المؤكد أنها كانت قد صُنِعت من أجل «جيم» وليس من أجل أي إنسان آخر، ولم يكن يماثلها في أيّ مخزن من المخازن، وكانت هي قد قلبت جميع المخازن ظهرًا لبطن، كانت الهدية هي سلسلة جيب الساعة (في البنطلون)، سلسلة بلاتينية بسيطة ومحتشمة في تصميمها، ومعدنها وحده يدّل على قيمتها دون أن تكون هناك بَهرجة كاذبة فيها: وهذا ما يجب أنْ تكون عليه جميع الأشياء الجيدة. وحتى إن تلك السلسلة البلاتينية كانت جديرة بتلك «الساعة». وحالما وقعَ نظرها عليها، أدركت أنها لابدَّ أنْ تكون من مقتنيات «جيم» وكانت مثله.. هدوءًا وقيمة، وينطبق الوصف على الاثنين. واحد وعشرون دولارًا أخذوا منها لقاء تلك السلسلة، ثم هرعت هي عائدة إلى المنزل ومعها سبعة وثمانون سنتًا. وسيكون «جيم» شديد الاهتمام بالوقت، مهما كان رفيقه، بسبب تلك السلسلة على ساعته. وبعظمة، وكما كانت الساعة، سينظر أحيانًا «جيم» إلى السلسلة خِلسة.

وعندما وصلت «ديلا» إلى المنزل حلّ محلَّ سُكرها العاطفي القليلُ من الحصافة والتعقل. فأخرجت أدوات عقص الشعر وتمويجه، وأشعلت الغاز، وذهبت لإصلاح الخراب الذي نتج من الكرم المضاف إلى الحب. وهو دائمًا من المهام الشاقة، أيها الأصدقاء الأعزاء، هي مهمة ضخمة.

وخلال أربعين دقيقة كان رأسها تغطيه عَقْصات قريبة بعضها من بعض جعلتها تشبه تمامًا طالبًا متغيبًا عن المدرسة وكسلان. ونظرت «ديلا» إلى صورتها المنعكسة في المرآة مدة طويلة وبتدقيق وبشكل انتقادي.

وقالت لنفسها «إذا لم يقتلني (جيم) في نظرته الأولى إلي،



فسوف يقول إني أُشبه قناة الكُورس في «جزيرة كُوني» ولكنْ ماذا كنتُ أستطيع أنْ أفعل... يا إلهي!! ماذا كنتُ أستطيع أنْ أفعل بدولار واحد وسبعة وثمانين سنتًا؟»

وفي الساعة السابعة تم إعداد القهوة وكانت المقلاة على ظهر جهاز الطبخ وهي ساخنة وجاهزة لطبخ شرائح اللَّحم.

لم يكن (جيم) يتأخر أبدًا. وطَوَتْ «ديلا» سلسلة الساعة التي كانت في يدها وجلست عند ركن الطاولة بالقرب من الباب التي كان (جيم) يدخل منها دائمًا، ثم سمعت هي خطوته على الدرجة الأولى في أسفل السُلَّم، وشحبَ لونها جدًا للحظة من الزمن، وكانت «ديلا» معتادة ترديد صلاة قصيرة وصامتة بشأن أبسط الأمور اليومية، وأخذت الآن تهمس بهذه الكلمات «أدعوك يا ربي» أن تجعله يعتقد بأني ما زلتُ جميلة.

انفتح الباب ودخل (جيم) وأغلق الباب، وبدا هزيلاً ومهمومًا جدًا. يا للمسكين، لم يكن يتجاوز الثانية والعشرين وأصبح يحمل عبء إعالة عائلة!! وكان في حاجة إلى معطف جديد، وكان من دون قفازات.

وتوقف (جيم) بعد اجتيازه عتبة الباب وبقي بلا حراك وكأنه كلب صيد شَمَّ رائحة طير من طيور السَّلوى، وكانت عيناه مثبتتين على (ديلا)، وكان في عينيه تعبير لم تستطع فهمه، تعبير أثار الرعب فيها. لم يكن ذلك بالغضب وليس بالدهشة ولا بالاستهجان ولا بالرعب، ولم يكن ذلك أي إحساس كانت مستعدة له. بقي (جيم) يحملق فيها بثبات وعلى وجهه ذلك التعبير الغريب.

وتملَّصَت (ديلا) من الطاولة وذهبت نحوه صائحة «جيم... حبيبي... لا تنظر إلى بهذه الطريقة. لقد فقدتُ شعري الذي قصَّوه وبعته لأني لم أستطع البقاء في عيد الميلاد دون إعطائك هدية. سينمو شعري من جديد... لا تهتم للأمر.. أليس كذلك؟ كان لا بدَّ لي من القيام بذلك، وشعري ينمو بسرعة مخيفة.. قُلْ عيد ميلاد سعيد... يا (جيم)... ولنفرح. وأنت لا تعرف ما هي الهدية اللطيفة... الهدية الجميلة التي جلبتها لك».

وسألها (جيم) «هل قَصَصتِ شعركِ؟» سألها ذلك بجُهد وكأنه لم يتوصَّل إلى تلك الحقيقة الواضحة إلا بعد مجهود عقلي عظيم.

«قصصته وبعتُهُ»، قالت (ديلا) وأضافت «ألا تحبني كالسابق.. على أية حال؟ أنا نفسي لم أتغير حتى إذا فقدتُ شعري.. أليس كذلك؟»

وأجالَ (جيم) بصره في أرجاء الغرفة بفضول، وقال: «أتقولين: إنَّ شعرك قد ذهب؟». قال هو ذلك بنغمة البلاهة.

وقالت له (ديلا) ليس هناك ما يدعوك إلى التفتيش عنه.. لقد بعتُهُ.. كما قلتُ لك.. بعتُهُ وذهب أيضًا.

هذه عَشيَّة عيد الميلاد.. يا فتى.. كنْ طيِّبًا معي لأني خسرتُ شعري من أجلك. ربما يمكن عدّ الشَعَر الذي على رأسي.. ولكنْ ليس هناك أحد يستطيع معرفة حبِّي لك .. هل أجلب شرائح اللَّحم... يا (جيم)؟. هكذا استمرت تتحدَّث (ديلا) بحلاوة مهمومة ومفاجئة.

وبدا على (جيم) أنه أخذ يصحو من ذهوله. وطوَّق حبيبته (ديلا) والآن ولمدة عشر ثوان دعنا ننظر، وبتمحيص حكيم، إلى شيء غير منطقي آخر من وجهة أخرى. فما الفرق بين ثمانية دولارات في الأسبوع ومليون دولار في السنة؟ والشخص الرياضي أو الشخص الموهوب يعطيك جوابًا مغلوطًا. وكان السَحَرَة قد جلبوا هدايا قيِّمة ولكنْ لم يكن ذلك من بينها.

وسنوضح لاحقًا هذا الموضوع الغامض.

وأَخرَجَ (جيم) علبة من جيب معطفه وقذفها فوق الطاولة، وقال:

«لا تقعي في خطأ يا (ديل) بخصوصي. فأنا لا أعتقد أنَّ هناك شيئًا مثل قصّ الشعر أو الحلاقة أو الشامبو يمكنهُ أن يقلل من حبي لفتاتي... غير أنك إذا فتحت هذه العلبة ستفهميني لماذا جعلتني أُصاب بالذهول في البداية».

مَزَّقت الورقة والخيط أصابع بيضاء وماهرة، ثم انطلقت صرخة فرح منتشية، وبعد ذلك... يا حسرتاه.. حصل التحوُّل الأُنثوي إلى دموع هستيرية ونحيب ممّا استوجب الاستخدام الفوري لجميع القوى المعزِّية والملطِّفة من قبل ربّ الشقَّة حيث كانت هناك على الطاولة «الأمشاط»: مجموعة كاملة من

الأمشاط التي كانت (ديلا) متيّمة بها منذ مدة طويلة. وكانت موجودة في معرض «برودواي». كانت أمشاطًا جميلة، من صدفة السلحفاة الخالصة، وبحواش ذات مجوهرات. وكانت أمشاطًا مرتفعة السعر، وهي كانت تعرف ذلك، وكان قلبها يتوق توقانًا شديدًا إلى اقتنائها دون وجود أدنى أمل في ذلك. والآن، أصبحت تلك الأمشاط ملكًا لها، غير أن خصلات الشعر التي كانت ستعيدُ تلك الزينة المشتهاة قد ذهبت.

غير أن (ديلا) تشبثت بتلك الأمشاط وضمتها إلى صدرها. وأخيرًا كانت قادرة على رفع عينيها الكليلتين وأن تبتسم وتقول: «شعري ينمو بسرعة كبيرة ... يا (جيم)!!»

ثم وثبت (ديلا) بعد ذلك وكأنها قطة صغيرة مسفوعة، وصاحت: «آه .. آه..».

لم يكن (جيم) قد رأى إلى ذلك الحين هديته الجميلة. وقدمتها (ديلا) له بلهفة وهي على راحة يدها المفتوحة. وبدا المعدن الثمين والباهت أنه كان يتوهَّج بسبب انعكاس روحها المتألقة والمتقدة. وسألته (ديلا):

«أليست هي ممتازة .. يا (جيم)؟ لقد نقبت في كل أنحاء المدينة لكي أعثر عليها وسوف تنظر إلى الساعة مئة مرّة في اليوم، بعد الآن. أعطني ساعتك ... لأرى كيف تبدو السلسلة البلاتينية عليها.»

وبدلاً من أن يعطيها (جيم)، سقط على الأريكة ووضع يديه خلف رأسه وأخذ يبتسم، وقال: «(ديلا) ... لنترك جانبًا هدايا عيد الميلاد التي جلبناها لبرهة من الزمن. هي جميلة جدًا بحيث لا نستطيع استخدامها في الوقت الحاضر، لقد بعت الساعة لكي احصل على المال اللازم لشراء الأمشاط لك ... والآن أرجو إعداد شرائح اللحم».

والسحرة كانوا، وكما تعلم، رجالاً حكماء ... حكماء بشكل عجيب، وكانوا يجلبون الهدايا إلى الطفل الرضيع، وكانوا هم الذين ابتكروا فنّ تقديم هدايا عيد الميلاد. ولكونهم ذوي حصافة، كانت هداياهم معقولة دون شكّ وهي تحمل ميزة مبادلتها في حالة تكررها وأنا هنا قصصت عليك الأحداث المتسلسلة والهادئة لطفلين أحمقين يعيشان في شقة، وكان كل واحد منهما قد ضحى من أجل الآخر بأعظم كنز في منزلهما ولكني أريد أن أقول كلمة أخيرة للحصيفين في هذه الأيام هي أن هذين الاثنين كانا هما الأكثر حكمة من بين جميع الذين يعطون هدايا، والذين يستلمون هدايا، وحيثما يكن هؤلاء فإنهما من السحرة.

الهــــــوامش

❖ أُو. هنري: هو الاسم القَلَمي لـ «وليام سدني بورتر» الذي وُلد في «غرينز بورو» في الحادي عشر من أيلول (١٨٦٢م) وتوفي في نيويورك في الخامس من حزيران ١٩١٠م.
وكان تعليمه المدرسي قد توقف وهو في الخامسة عشرة، ولكنّ لم يتوقف إقباله على القراءة ولم تهدأ رغبته الشديدة في الكتابة.
وكان أُو. هنري قد عرف قدرًا كبيرًا من الحياة بأن عاش تلك الحياة، وكان كثير التنقل.
وهو مشهور بقصصه التي تصوِّر الحياة في المدينة.
ويعد عقد السنين من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩١٠م ذروة نشاطه، إذ كتب فيه ما يقرب من ثلاثمئة قصة ملأى بالملاحظات والانتقادات الفكاهية والودية عن حظوظ ومصاير الرجال والنساء. وأضفى أُو. هنري على الرتابة الكئيبة لحياة المدينة مسحةً من الرومانسية.
وهو كثيرًا ما يسمى «دي موباسان الأمريكي».
يحتلّ أُو. هنري مكانة بارزة بين كتّاب القصة القصيرة العالميين، ولقي إنتاجه أوسع رواج من بين نتاجات المؤلفين الحديثين، وتُرجمت أعماله - التي زادت على ستمئة قصة إلى جميع لغات العالم تقريبًا.
ويكمن في أساس جميع قصص أُو. هنري موقفه المتمثل بتفهمه الودود لسلوك جميع الضالين والتائهين ورغبته في تقبّله لهم كأعضاء في العائلة البشرية.
كان أو. هنري رجلاً خجولاً ومنكمشًا على نفسه. وكان يستمتع بصحبة عدد قليل من الأصدقاء الحميمين ولا سيما محرِّري الصحف.
انتهت أعمال أُو. هنري عند إصابته بالسكتة الدماغية وهو لم يتجاوز السابعة والأربعين، ولكنه ترك أثرًا لا يُمحى في القصة القصيرة، وسيبقى عدد من حكاياته خالدًا.

تعقيب وتصحيح حول إتمام الأعلام

يعدُّ الملف الثقافي الشهري بمجلَّة الفيصل نافذةَ القارئ على العالم، يتابع من خلالها الأحداث الثقافية لشهر منصرم، ومن ثَمَّ كانت أمانة الكلمة تحتِّم على محرِّري هذا الملف توخِّي الدقة والصواب فيما يوردون فيه؛ حفاظًا على ثقة القارئ، وجنوحًا عن كل ما يهزُّ الثقة بمادته.

وأداءً مني لحق الكلمة، ونصحًا لمجلَّتي الغالية ولقرائها الأفاضل، أعقِّب على الخبر الوارد في الملفِّ الثقافي من العدد (٣٣٠)، شهر ذي الحجة ١٤٢٤ هـ ، بعنوان: (إتمام كتاب الأعلام)، فقد تنكَّب محرِّره جادةَ الصواب والإنصاف، وقصَّر فيه وجازف، فأجاءني (١) إلى هذا التعقيب .

نوَّه المحرِّر في مطلع الخبر بكتاب «الأعلام» لشاعر الشام العلامة خير الدين الزِّركْلي، رحمه الله تعالى، وأشاد بتعهُّد مصنِّفه له على مدى ستين سنة، تحريرًا وإنشاءً، وإضافةً واستدراكًا، وتصحيحًا وتصويبًا، يُطعمه من لحمه، ويَسقيه من دمه.

ثم قال : « ولكن هذا العمل [أي: كتاب الأعلام] لم يجد من يتابعه بعد وفاة صاحبه، باستثناء بعض المحاولات القليلة، مثل محاولة القاضي إسماعيل الأكوع الذي حاول في مقالة له نشرت في مجلة العرب سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) تصحيح الهفوات التي وقعت في الكتاب، ومحاولة الباحث أحمد العلاونة في كتابه «ذيل الأعلام» (٢)، وكتاب «الأعلام [كذا ! والصواب: الإعلام] بتصحيح كتاب الأعلام» لمحمد عبدالله الرشيد (٣)».

فإذا كان المحرِّر يقصد بالمتابعة في قوله: «لم يجد من يتابعه ..» النسجَ على نَوْله إتمامًا وتكميلاً؛ بترجمة المتوفَّينَ ابتداء بسنة ١٩٧٦ م التي توقف عندها «أعلام» الزركلي بموت مؤلِّفه، وهو المتبادر إلى الذهن = خرجت مقالة القاضي الأكوع (٤)، وخرج معها كتاب الأستاذ الرشيد، فكلاهما داخلٌ في بابة التصحيح والتصويب لأخطاء الأعلام، نائيان عمَّا يُدخلهما في التذييل والتكميل.

وأما إذا أراد بالمتابعة معنًى عامًا، يدخل فيه التصحيح والتنقيح والاستدراك، فقوله سائغٌ مقبول، بيد أنه يُستدرك عليه مقال الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله تعالى: «تحقيقات وتصحيحات لكتاب الأعلام للمرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي» (٥) الذي نشر بمجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثاني من المجلد ٥٣، سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

ويتابع المحرِّر فيقول : «ثم كانت أكبر المحاولات لإكمال هذه الموسوعة ما قام به في مدينة الرياض عبد العزيز الرفاعي في كتابه «فوات الأعلام»، ولكن الموت عاجله قبل الفراغ من إتمام هذا الكتاب، فقامت دار الرفاعي بنشره (٦) على ما هو عليه؛ لما فيه من الفائدة».

وفي هذا القول مبالغةٌ غير خافية، فهذا الكتاب طبع في ١٣١ صفحة فقط من (القياس المتوسط)، وقد كسره مؤلفه على ثلاثة أقسام، سمَّى الأولَ: فوات الأعلام، وسمَّى الثانيَ: استدراكات على الأعلام، وسمَّى الثالثَ: الإسهام في إتمام الأعلام، وهذا القسم إتمامٌ لعمل الزركلي، ولم يترجم فيه لسوى نَزْر يسير من الأعلام، وترك مادةً مجموعة من الصحف والمجلات وكُتب التراجم الحديثة لمئات منهم.

وأما القسمان الأولُ والثاني فتعليقاتٌ نشرها الأستاذ الرفاعي على هوامش ثلاث نسخ من «الأعلام»، جمعَها ورتبها ناشرُ كتابه ومراجعُه: الدكتور بهاء الدين عبدالرحمن عبدالوهَّاب.

فلا يصحُّ بوجه من الوجوه الحكمُ - ولاسيما في سياق



الموازنة والمفاضَلَة - على عمل الأستاذ الرفاعي بأنه أكبر المحاولات، وليس بين أيدينا منه إلا هذا القَدْر، ولقد كان الأستاذ محمد الرشيد قال في مقدمة كتابه «الإعلام» ص ١٨. ١٩ : «والحقيقة أن المؤلف [أي: الرفاعي] أكبرُ في علمه وتحقيقه من أن يُنسَب إليه مثل هذا الكتاب، بل إننا نجد في الكتاب مجموعةً من المترجَمين على أنه استدركهم على كتاب «الأعلام» وهم موجودون في «الأعلام»، مثل .. [وذكر أمثلة على ذلك]، بل ترجَم لشخص جعله في فصل الاستدراك مع أنه مات بعد الزركلي ..».

هذا وقد أغفل محرِّر الخبر كتابًا مهمًّا من الكتب المتمِّمة والمكمِّلة للأعلام، لايحسُن إغفالُه بتَّةً، وهو كتاب «تتمة الأعلام للزركلي» (٧) للأستاذ محمد خير رمضان يوسف، صدر عن دار ابن حزم ببيروت في مجلَّدين كبيرين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هـ، ثم صدر عن الدار نفسها في طبعة ثانية مصحَّحة ومنقَّحة، مع مجلَّد ثالث بعنوان:«المستدرك على تتمة الأعلام» سنة ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.

وبعد أن ذكر المحرِّر المحاولات الآنفةَ لمتابعة عمل الزركلي استأنف قائلاً : «وقد تصدى لإتمام هذا العمل مؤخرًا (٨) المؤلفان عزيز أباظة ومحمد رياض المالح اللذان قاما بجمع المادة وإخراجها على المنهج نفسه الذي اتبعه الزركلي في موسوعته، وقد صدر الكتاب حديثًا بعنوان «إتمام الأعلام» عن دار صادر في بيروت، بعد وفاة أحد المؤلفين وهو محمد رياض المالح الذي رحل عن هذه الدنيا قبل ما يقرب من عامين».

وفي هذا القول أمورٌ يجب بيانُها:

أوّلها: أنه سمَّى أحد مؤلفَي «إتمام الأعلام»: (عزيز أباظة)، وهو خطأ، صوابه: (د. نزار أباظة) وهو باحث وكاتب سوري، وأما عزيز أباظة فشاعر وأديب مصري، توفي قبل الزركلي سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، وترجمته في الأعلام ٤/٢٣٢ .

وثانيها - ولا ينقضي عجبي منه - : قوله : «تصدى .. مؤخرًا» و «صدر .. حديثًا»، وإذا علم القارئ أن الكتاب قد غَبَر على صدوره زُهاءُ خمس سنين كاملة، لم يملك إلا أن يَفْغَر فاهُ دهشةً من هذه الـ(مؤخرًا و حديثًا)؛ فكتاب «إتمام الأعلام» صدر في طبعته الأولى عام ١٩٩٩م، أي: بعد عام واحد من ظهور الجزء الأول من «ذيل الأعلام» للأستاذ العلاونة، والطبعة الأولى من «تتمة الأعلام» للأستاذ محمد خير يوسف.

وثالثها: في قوله : «بعد وفاة .. محمد رياض المالح الذي رحل عن هذه الدنيا قبل ما يقرب من عامين»، فالكتاب صدر عام ١٩٩٩م على ما بيَّنت قريبًا، ولو أن الأستاذ المالح كان توفي من زُهاء عامين، لكانت عينه قد قرَّت بمرأى كتابه مطبوعًا بين يديه، والحقُّ الذي لامِرْيَةَ فيه أن الأستاذ عاجله قضاءُ الله الحقُّ قبل أن يشرعَ في تبييض الكتاب، بل قبل أن يفرُغَ من تنظيم بطاقات العمل ومُسَوَّداته ويعيدَ النظر فيها. وكانت وفاتُه في شهر ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ ، فهذه سنواتٌ ستٌّ مضت على رحيله، رحمه الله وغفر له.

وآخرها: وهو بيت القصيد وأسُّ القضيَّة: إعلاءُ شأن «إتمام الأعلام»، وبَخْسُ قَدْر ما سواه من الكتب المصنَّفة في موضوعه، وفي هذا ما فيه من ظلم وتَجَنٍّ.

فبنظرة عَجْلى وموازنة سريعة بين الكتب الثلاثة: «ذيل الأعلام»، و«تتمة الأعلام»، و«إتمام الأعلام» نجد أن عدد صفحات «الإتمام»: ٣٣٦ صفحة فقط، في حين يبلغ «ذيل الأعلام» للعلاونة بجزأيه الأول والثاني: ٦٣٧ صفحة، وكتابه: «نظرات في كتاب الأعلام»: ٢٨٠ صفحة، وأما كتاب «تتمة الأعلام» - الذي أغفله

المحرِّر أصلاً ـ فمجموع صفحاته بجزأيه مع المستدرك: ٩٦٠ صفحة، فانظر إلى فرق ما بين هذه الكتب، واعْجَب بعد ذلك ما شئت ممَّن يعدُّ «ذيل الأعلام» محاولةً، ويجعلُ «الإتمام» الذي يبلغ نصفَ عدد صفحاته هو الكتابَ !

هذا من حيثُ القَدْرُ والحجم، وأما من حيثُ المضمونُ، فإن مؤلفي كتاب «الإتمام»وقدأغارا إغارةً على «ذيل الأعلام» و«تتمة الأعلام»، وقد جلا ذلك وكشفه الأستاذ العلاونة في فصل مُفرَد عقده بين يدَي الجزء الثاني من كتابه.

وتبقى كلمةٌ بهذا الصَّدَد لا مَنْدوحةَ عنها أقولها للحقيقة والتاريخ، عدلاً وإنصافًا، وهي أن الأستاذ المرحوم محمد رياض المالح بريء من تهمة الإغارة براءةً تامة، والذي يتحمل وِزْرَ ها هو الدكتور أباظة وحدَه، وكل من له صلةٌ بالأستاذ المالح يعلم أنه صاحبُ فكرة الكتاب ومؤثّله، وقد حشد لعمله من المصادر والمراجع ـ وهو الخبيرُ بالكتبِ مخطوطِها ومطبوعِها، والمرتحلُ في طلب نوادرها ـ ما استخرج منه أكوامًا من البطاقات والجُذاذات والمُسَوَّدات، ولقد زُرته في بيته قُبَيل وفاته ورأيت ذلك بعينيَّ، بيدَ أنه توفي والكتاب على الحال التي ذكرتُ، فتولَّى أمرَه الدكتور أباظة، وتصرَّف فيه ما شاء أن يتصرَّف، وأساء لنفسه ولصاحب الكتاب الحقيقيِّ ما شاء أن يسيء (٩)، وأخرجه على الصورة التي عرفتَ.

وبعدُ، فقد أطلت القول على غير ما كنت أريد، في تعقُّب خبر لا يتجاوز نصفَ صفحة، وما ذاك إلا لأنني رأيت حقًّا عليَّ واجبًا أن أبيِّن ما أراه وأعرفه من حقٍّ وصواب؛ استجابةً لقول النبيِّ المصطفى صلى الله عليه وسلم: «ألا لا يَمْنَعَنَّ أحدكُم هَيبةُ الناس أن يقولَ بحقٍّ إذا رآه، أو شَهِدَه، أو سَمِعَهُ» (١٠) . والحمد لله أوّلاً وآخرًا .

أيمن بن أحمد ذوالغنى

باحث بقسم العناية بالكتاب الإسلامي

بمؤسسة بيت الرياض / الجريسي

Aymz@maktoob.com

١. أجاءه إلى الشيء : ألجأه واضطرَّه إليه. «لسان العرب» (ج ي ء)

٢. صدر الجزء الأول منه عن دار المنارة بجُدَّة سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ثم صدر الجزء الثاني عن الدار نفسها سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م، ثم ألحقه المؤلف بكتاب «نظرات في كتاب الأعلام» طبع في المكتب الإسلامي سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٣. صدر عن مكتبة الإمام الشافعي ودار ابن حزم سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .٤. أورد الأستاذ العلاونة ما لم يُدخَل من تصحيحات القاضي الأكوع في طبعة «الأعلام» بدار العلم للملايين في آخر كتابه «ذيل الأعلام» ١/ ٣٤٣ .

٥. أثبت الأستاذ العلاونة المقالَ في آخر كتابه «ذيل الأعلام» ٣٢٩/١

٦. نشر الكتاب سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

٧. كُتب على الغلاف تحت العنوان: «وفيَّات ١٣٩٦ ـ ١٤١٥هـ» كذا بتشديد الياء ! وهو خطأ، والصواب: بتخفيفها: (وَفَيات)

٨. خطَّأ الدكتور مكي الحَسَني استعمال (مؤخرًا) ظرفًا، وذكر أن الصواب: بأَخَرَة وأخيرًا و حديثًا . انظر مقالته: نحو إتقان الكتابة العلميَّة باللغة العربية، بمجلَّة جامعة دمشق، المجلَّد ١٨، العدد الأول،٢٠٠٢م .

٩. ذكر شيئًا من هذا الأستاذ محمد الرشيد في تعليق له (ص ١٨) بمقدمة كتابه «الإعلام بتصحيح الأعلام».

١٠. أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٣/٥ الحديث رَقْم (١١٠١٧) بإسناد صحيح، من حديث أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه .

التحرير:

نشكر للباحث أيمن أحمد ذوالغنى اهتمامه بما يكتب في المجلة وحرصه على التعليق باستفاضة، ونشير إلى أن المنشور محل التعليق لا يعدو أن يكون خبرًا لا يمكن أن يتضمن كل ما ذهب إليه الباحث الكريم من نقد وتحليل، مقدرين له ما بذله من جهد في كتابة ما يراه صحيحًا، وهو لا شك مفيد للقارئ، ويفتح بابًا واسعًا للنقاش في أكثر من محور.

لا لتحقير الهوية الإسلامية في إفريقية الغربية..

كتب الحسن سعيد جالو في «الفيصل» العدد ٣٢٦ ردًا على تعقيبي على مقاله «الإسلام والمسيحية في غرب إفريقية وجهًا لوجه» الصادر في العدد ٣٢١.

ولكن الكاتب كان تشنجيًا في ردّه، فلم يجادل بالتي هي أحسن. فقد وضع لقبي العائلي بين ظفرين، ممّا قد يعني وقوعًا فيما نهت عنه الآية:١١، من سورة الحجرات، والعياذ بالله!! فلا يجوز - شرعًا - امتهان الهويات، فأنا، على الأقل، أعلن أنني من رعايا جمهورية بوركينا فاسو في حين الأستاذ جالو لم يعلن في مقالته ولا في ردّه أنه من غمبيا (...) وقد لامني على كيفية كتابة اسم «سِيرادْيُو دْيَالُّو» في حين أنه من الواجب اعتماد الكتابة النطقية؛ وعكس ذلك - كما فعل جالو - يعني تحريف أسماء الأعلام، وهو ما يخالف الكتابة البيبليوجرافية العلمية.

كما رفض جالو اعتمادي على عالم مختص في العلوم السياسية ينقد بعمق فرنكوفونية الكثير من زعماء إفريقية الغربية ونخبها «المثقفة»، وتبعيتهم الفكرية والسياسية، بحُجة أنه «فرنسي» ويجلس على كرسي وثير في باريس، طالبًا مني الاعتماد على «دْياتو» الفرنكوفوني/ الفرنكوفيليّ بتعلة أني «إفريقي»، دون تقديم استدلال استشهادي واحد. إنّ هذا ليس حِجاجًا علميًا، فلا تنفع العصبية القبلية مع البحث العلمي (...) ويؤكد الكاتب أن منطلق مقاله كان إشكالية، في حين أنه لا يعتمد على إشكالية مُطلقًا، بل انطلق انطلاقة سردية إخبارية (...)

ولكن القطرة التي أفاضت الكأس هي أن الرجل يدافع عن فرنكوفونية الدكتاتور بوانيي ويستهزئ في الآن نفسه بالأفارقة العاضّين على الجمر متشبثين بهويتهم العربية الإسلامية: «ماذا فعلنا نحن بعروبتنا والإسلام؟»، فإذا كانت العروبة والإسلام لا يحملان مكانة ومردودًا ماديًا لدى المهيمنين النصارى، فلا حاجة بهما في هذا المنظور المادي - البراغماتي!

وضمن هذه القطرة التي أفاضت الكأس، يستهزئ الكاتب في مشاعري تجاه كشمير وفلسطين، كأنَّ الأراضي المقدّسة والمَسْرَى المحمّدي لا تعني شيئًا لهذا المسلم: الحسن سعيد جالّو!! فوا أسفاه كيف أصبح الإسلام والعروبة غريبين عند أهلهما!

وجالّو يؤكد أيضًا «ديمقراطية» الهند والولايات المتحدة من خلال دستوريهما، في حين أن الدستور لا يعني شيئًا أمام التقليد التاريخي والأفعال (...) ومن ناحية أخرى، يؤكد الدستور الأمريكي دكتاتورية الرئيس وهيمنة الدولة المطلقة (ممًّا يعني شرعية اعتدائها على أراضي الهنود الحمر)، ويؤكد صعوبة تأسيس الأحزاب الجديدة ليبقى الأمر منحصرًا في حزبين يدّعيان زورًا التداول على السلطة، في حين أنهما متشابهان في الإيديولوجيا والممارسة طوال تاريخهما؛ كما يؤكد هذا الدستور ضرورة دفاع دولته عن «الدين» في العالم، أي عن دين إمبريالي متصهين قهريّ (...) فعلى جالّو مراجعة تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ليعرف أن «نيو إنكلند» تأسست تحت اسم آخر هو «إسرائيل الجديدة» و«صهيون الجديدة»، وقد كتب جَدٌّ آل بوش عام ١٨٣١م في زمن لم يكن المسلمون يمثلون خطرًا: «ما لم يتمّ تدمير السَّارزن (أي المسلمين) فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم» (...)

ومن ثمة، فمن المستحيل والوهمي أن تفكر هذه الولايات المتحدة في «دَمَقرَطة» إفريقية الغربية (ولا غيرها من بلاد المسلمين)؛ لأن ذلك يعني إمساك الأكثرية المسلمة بمقاديرها، وهذا ما يرفضه الدستور الأمريكي والعقل الصليبي الصهيوني الأمريكي.

أرجو من أخينا جالّو أن ينتبه !! فالعُمر قصير، ومصير إفريقية الغربية، بل مصير كل المسلمين وكل البشرية المعذبة المحاصرة رهين نباهة مثقفينا !!

أحمد عمر بمبارو

باحث من بوركينا فاسو، مقيم بتونس

كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم للبيروني

لطف الله قاري
ينبع الصناعية ـ السعودية



كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم
تصنيف: أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني
المكتوب في غزنة سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م
تحقيق د. علي حسن موسى
الأستاذ في قسم الجغرافيا بجامعة دمشق

برع أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ ـ ٤٤٠هـ/ ٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) في عدة مجالات، منها الفيزياء، والجغرافيا والصيدلة، وأتقن معرفة الآلات الفلكية وفروع الفلك النظري والعملي. وترك لنا مؤلفات تعدّ كلها مصادر أصيلة قيمة، فقال عنه المستشرق سخاو Sachau: إنه «أعظم عقلية عرفها التاريخ، ويعدّ من وجهة نظر تاريخ العلوم أكبر ظاهرة علمية في الحضارة الإسلامية». وأطلق مؤرخ العلوم جورج سارتُن في كتابه المشهور «مقدمة إلى تاريخ العلم» على فترة النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) تسمية «عصر البيروني». وكتاب «التفهيم لأوائل صناعة التنجيم» عبارة عن معجم علمي متعدد الاختصاصات. بدأ فيه بتعريفات لمصطلحات علم الهندسة geometry، ثم الحساب، ثم الفلك، ثم التقاويم (حساب الأشهر والفصول عند الشعوب المختلفة)، ثم الأسطرلاب، وأخيرًا التنجيم كقسم سادس وأخير. وقد صاغه المؤلف على هيئة سؤال وجواب، مثل قوله: «ما الخطوط المتوازية؟ هي التي تكون في سطح واحد ولا يختلف بُعد ما بينهما ....إلخ».

ويوضح لنا المؤلف الغرض من تأليفه قائلا: «عملت هذه التذكرة لطالبتها ريحانة بنت الحسن على طريق المسألة والجواب، فهو أحسن للتصور وأسهل، وابتدأت بالهندسة ثم بالحساب والعدد، ثم بهيئة العالم، ثم بأحكام النجوم؛ لأن الإنسان لا يستحق سمة التنجيم إلا باستيفاء هذه الفنون الأربعة». فالكتاب تم تأليفه إذن لامرأة اسمها ريحانة بنت الحسن، لا نعلم عن ترجمتها شيئًا. وألّف بغرض توضيح «أحكام النجوم» أي التنجيم، والعلوم الأخرى التي يلزم أصحاب هذه الحرفة تعلمها.

في القسم المتعلق بالهندسة يقدم المؤلف سبعين تعريفًا لمصطلحات مثل الدائرة والقطر والوتر والجيب بأنواعه والمثلثات وأنواعها والمسقط والزوايا بأنواعها والنسبة بين محيط الدائرة وقطرها وموضوعات تتعلق بالنسبة والتناسب. ومنها تعريفات لا بد من معرفتها لفهم كتب الهندسة التراثية، مثل الشكل القطاع والمساواة المنتظمة والمضطربة والمقدم والتالي عند التناسب.

وفي قسم الحساب نجد ثمانية وأربعين تعريفًا، منها

حساب الجمّل وحساب الخطأين والجبر والمقابلة والجذر المنطق والجذر الأصم.

وقسم الفلك من الأقسام الطويلة في الكتاب. نجد فيه مئة وثمانية وأربعين تعريفًا أو موضوعًا يبحث فيه البيروني مسألة من المسائل. بعض هذه المسائل في الجغرافيا، كحديثه عن أقاليم الأرض وخطوط الطول والعرض، والتعريف بالبحار المعروفة في زمانه، وسبب طول وقصر النهار والليل، وبعض المسائل يتعلق بالفلك الرياضي أو نماذج حركات الكواكب، فيعرّفنا المؤلف بمصطلحات، مثل: فلك التدوير، والفلك المعدّل للمسير. هذا بالإضافة إلى مصطلحات وموضوعات فلكية كثيرة أخرى.

وفي قسم التقاويم نجد ستة وخمسين تعريفًا حول الأشهر والأعياد وكيفية حساب السنوات عند مختلف الأمم في عصر المؤلف. أما في قسم الأسطرلاب فنجد اثنين وعشرين تعريفًا حول أجزاء هذه الآلة واستعمالها في قياس ارتفاع أجسام كبيرة مثل الجبال، أو في إيجاد مقادير فلكية، مثل معرفة الوقت ليلاً أو معرفة أحد بروج السنة، أو وقت طلوع كوكب وغروبه، وغير ذلك.

والقسم الأخير يتعلق بالتنجيم الذي لا يعدّ علمًا معترفًا به. وحجم هذا القسم أكبر قليلاً من قسم الفلك، فهو يشغل ثلث الكتاب تقريبًا. وهو يحتوي على تعريفات وموضوعات عامة، ولا يمكننا أن نعدّه كتابًا تعليميًا عمليًا في هذا الفن. فهو لا يحتوي على إرشادات مفصلة حول كيفية استخراج التنبؤات التي يخرج بها المنجمون.

أهمية الكتاب

تكمن أهمية الكتاب في أكثر من ناحية. فهو كتاب تعليمي يبسّط العلوم والمعارف التي تناولها، ويشرحها بغاية الوضوح والسهولة، وهذا ما يجعله كتابًا أساسيًا لمن أراد فهم كتب التراث العلمي.

ويمكن أيضا إدراجه تحت تصنيف معجمات المصطلحات العلمية. وإذا عرفنا أن معظم ما وصل إلينا من كتب المصطلحات العلمية ينحصر في مجالي الطب والصيدلة، وأن ما وصل إلينا من معجمات المصطلحات في العلوم الطبيعية الأخرى لا يصل إلى خمسة في العدد، تبيّن لنا مدى أهمية هذا الكتاب.

والكتاب بعد ذلك على صغر حجمه مقارنة بكتب البيروني الأخرى يبيّن لنا مدى استيعاب المؤلف لأحدث ما وصل إليه علماء بلاد الإسلام في عصره من علوم ومعارف. فالجبر والمقابلة وحساب المثلثات من ابتكارات العرب والمسلمين. والفلك الرياضي الذي تحدّث عن مصطلحاته حول النماذج الرياضية لحركات الكواكب كان من الموضوعات المتعمقة التي لا يبحثها إلا عدد قليل من الفلكيين في حضارة الإسلام.

طبعات الكتاب

كثرت الطبعات غير الجيدة التي تسيء إلى التراث العلمي أكثر مما تفيد. والتغاضي عن العيوب بحجة تشجيع الباحثين يؤدي إلى المزيد من الأخطاء. بينما يؤدي النقد دورا مهما في تصحيح المسيرة وتحسين الإنتاج. وحتى عندما يكون العمل جيدا فالجهد البشري لا يخلو من نقص كبير أو صغير. ومن ثم فإن أي كتاب أو مقال جدير بالقراءة هو أيضًا جدير بالمراجعة والنقد. والملاحظات التي يبديها المراجعون لا تنفي بأية حال الجهد القيم المشكور الذي قام به المؤلف والمحقق والباحث. وإنما الهدف من المراجعة هو الهدف نفسه الذي توخاه المؤلف: أي خدمة العلم في المجال الذي كتب فيه، وإبداء اقتراحات تزيد من نفاسته عند اعتمادها فيما بعد عند إعادة نشر الكتاب. ومن هنا فإن إبداءنا الملاحظات حول كتاب لا يقلل من قيمة العمل؛ لأن العمل البشري لا يخلو - كما قلنا - من نقص صغير أو كبير.

كان أول من اهتم بالكتاب المستشرق الألماني فيدمان E. Wiedemann، أحد الرواد في مجال تاريخ العلوم الطبيعية والتقانة عند العرب والمسلمين، وقد تناثرت بحوثه التي كتبها منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى سنة وفاته ١٩٢٨م في

دوريات قديمة. وهي تبلغ المئات من البحوث والمقالات، ولكنها جمعت فيما بعد في كتابين يصل مجموع أجزائهما إلى خمسة مجلدات. وقد قام هذا المستشرق بدراسة محتويات هذا الكتاب ونشر معظم مكوناته مترجمة إلى الألمانية.

وصدر الكتاب بالعربية أول مرة في لندن عام ١٩٣٤م، حين نشر المستشرق رمزي رايت R. Wright نسخة مصورة من مخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني (في المكتبة البريطانية حاليًا). ومقابل كل صفحة من المخطوطة ترجمتها بالإنجليزية. وقد قدّم رايت لهذه الطبعة بمقدمة من ١٨ صفحة، تحدّث فيها عن المساعدات التي تلقاها من مستشرقين كبار ممن اعتنوا بتراثنا العلمي في عصره، ومنهم ڤيدمان.

وتحدّث رايت كذلك عن الاتجاه العام للكتاب، مبينًا أن



رسم متخيل للبيروني

البيروني صنّفه في قائمة كتبه ضمن كتب التنجيم، بينما الواقع يقول إنه يعرّف بعدة علوم. والبيروني كما رأينا في نص كلامه بأول هذه المقالة كان يرى أن تلك العلوم من مستلزمات عمل المشتغل بالتنجيم. إلا أن مؤرخي العلوم الجادين في عصرنا يهتمون بهذا الكتاب لكونه معجمًا علميًا وموسوعة مصغرة للعلوم، كما ذكرنا.

ويذكر رايت أن الكتاب توجد منه مخطوطات بالعربية، وأخرى بالفارسية، ويبيّن اختلاف الروايات حول كون البيروني ألّفه باللغتين في آن واحد، أو أنه ترجم من لغة إلى أخرى. ثم يذكر ترجمة لحياة البيروني نقلاً عن المراجع والمصادر المعتمدة. ويحاول مناقشة شخصية ريحانة بنت الحسن، أي المرأة التي من أجلها تم تأليف الكتاب. ولكن جميع الافتراضات التي ذكرها ليس عليها دليل. فنحن لا نعرف عنها إلا أنها امرأة مجهولة من المشرق، اهتمت بالعلوم، وكانت لها صلة ما بالعالم الكبير البيروني. وكان اهتمامها بالمعرفة سببًا في أن يؤلف كتاب من أجل امرأة معينة، وهو حدث علمي فريد في تاريخنا العلمي.

ثم يسرد رايت قائمة مفصلة بمحتويات الكتاب، بالإنكليزية طبعًا. وبعد ذلك يصف المخطوطات التي اعتمد عليها في نشرته. وهي ثلاث بالفارسية، وست مخطوطات بالعربية، من محفوظات مكتبات بريطانية وألمانية وفرنسية. وتبيّن المراجع بآخر هذه المقالة أن من الكتاب ٢٤ مخطوطة بالعربية محفوظة في المكتبات العامة حول العالم، وهذه لا تشمل نسختين في أكسفورد ذكرهما رايت في مقدمة طبعته. فيصبح المجموع ٢٦ مخطوطة. وقد نشر رايت كما ذكرنا مخطوطة لندن كما هي. إلا أنه في ترجمة الكتاب اعتمد على المخطوطات الأخرى لمعرفة القراءة الصحيحة للكلمات.

ويلي ذلك في المقدمة ملاحظات وتصويبات وقائمة بالمختصرات المعتمدة. وفي آخر الكتاب كشاف أبجدي بالإنجليزية للمصطلحات والموضوعات.

وفي عام ٢٠٠٣م - أي بعد نحو سبعين عامًا من طبعة

لندن - صدر الكتاب في دمشق في طبعة اكتفى ناشرها بالاعتماد اعتماداً ناقصاً على طبعة رايت اللندنية، إذ اكتفى بنشر مخطوطة لندن بأحرف المطبعة. وذلك دون أن يكلف نفسه بمراجعة مخطوطة واحدة من المخطوطات الخمس والعشرين الأخرى، بما فيها المخطوطات التي ذكرها رايت نفسه.

وعلى الرغم من أن هذه الطبعة الأخيرة تحمل عبارة «تحقيق الدكتور فلان» إلا أنها لا تحتوي على أي من متطلبات التحقيق المذكورة في المراجع المعتمدة المذكورة بآخر هذه المقالة. فبالإضافة إلى الاكتفاء بصف أحرف مخطوطة واحدة فلا نجد تصحيحا لعبارات تلك المخطوطة، وإنما نشرت أخطاؤها كما هي.

فمثلا (ص ٢٩) ورد هذا السؤال: «ما تكافئ النسبة؟» والصواب: «ما تكافؤ النسبة».

وفي ص ٤٦ نقرأ «حساب الخطايين»، والصواب: «حساب الخطأين».

وفي ص ١٥٥ نقرأ قول البيروني عن الأسطرلاب: «هي آلة اليونانيون»، والصواب «هي آلة اليونانيين» أو «هي آلة ابتكرها اليونانيون». ولمعرفة أي واحدة من العبارتين هي الصحيحة يلزمنا مراجعة المخطوطات الأخرى للكتاب.

والأخطاء اللغوية منتشرة في مقدمة الكاتب الذي نسب إليه التحقيق، فنقرأ قوله مثلاً: «لقد كان البيروني عالمًا موسوعيًا.... وذو إنتاج غزير»، والصواب: «وذا إنتاج غزير». ويقول أيضا: «إن البيروني من أعظم علماء الفلك.... فهو عالماً بكل معنى الكلمة» والصواب «فهو عالم».

ولا نجد في هذه الطبعة ترقيما لصفحات المخطوطة، ولا فهارس للمصطلحات والمحتويات والموضوعات، كما تتطلب ذلك مناهج التحقيق المعتمدة. ولا نجد عناية بالتعريف بمحتوى الكتاب ومباحثه سوى قول الكاتب: إنه نُشِر «لجمهور المنجمين ومن يريد تعلم التنجيم، وإنه يأمل «أن تتحقق الفائدة للمنجمين ولمن يريد أن يتعلم التنجيم ويصبح منجّما».

وهذا يدلّ على مدى الإساءة إلى هذا الكتاب المهم من تراثنا العلمي. فالباحثون الجادون منذ مئة عام يدرسون محتوياته على أساس أنه معجم مصطلحات وموسوعة مصغرة نخرج منها بفوائد مهمة في تاريخ العلوم، وفي اللغة العلمية العربية. أما في هذه الطبعة الأخيرة فقد جُعل كتابًا تعليميًا في التنجيم الذي لا يلتفت إليه المثقفون الجادون أصلاً.

فالكتاب إذن بحاجة إلى تحقيق من قبل محقق جاد يعطي البحث حقه من الاستقصاء والأناة والتعمق، ليُخرج لنا مثل هذه المؤلفات المهمة في قالب يفيد البحث العلمي، ويكون عمله مثالاً يحتذى. لا كما تخرج بعض المؤلفات التراثية ولم يفعل «المحقق» (أو من ينسب إليه التحقيق بغير حق) شيئًا سوى إضافة اسمه إلى الكتاب، فلا تصحيح للأخطاء، ولا شرح للمفردات والمصطلحات، ولا مقابلة بين النُّسخ، ولا اعتناء بالفهارس الأبجدية، ولا أي اطلاع على مستلزمات التحقيق.

المراجع

- حميدان، زهير: أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، ٦ أجزاء، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥م، ج٢، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.
- سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، المجلد السابع، تعريب عبد الله حجازي ومراجعة محمود فهمي حجازي، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٢٨٨- ٢٨٩.
- الشنطي، عصام: فهرس المخطوطات المصورة، الجزء الثالث: العلوم، القسم الأول: الفلك والتنجيم والميقات، القسم الثاني، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٩م، ص ٧٩ - ٨١.
- كونتش، باول: فهرس المخطوطات المصورة، الجزء الثالث: العلوم، القسم الأول: الفلك والتنجيم والميقات، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٩م، ص ٢١ - ٢٢.
- مجموعة مؤلفين: «أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه، نص التقرير الذي وضعته لجنة مختصة»، الكويت: معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥م.
- المنجّد، صلاح الدين: قواعد تحقيق المخطوطات، بيروت: دار الكتاب الجديد، الطبعة السادسة، ١٩٨٢م .

-ULLMANN, Manfred; Die Natur- und Geheimwissenschaften im Islam, Leiden: Brill, 1972, S. 335.



القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب

نعمان السامرائي
الرياض ـ السعودية



القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب
د. محمد بن عبدالله السلومي
الرياض: العدد (٤٦) من سلسلة كتاب البيان، مجلة البيان،
١٤٢٤هـ ـ ٦١٨ص.

منذ ٤ ـ ٦ سنوات كنت أتابع نشرة «حصاد الأخبار» وهي جمع مقالات لما يكتب بالصحافة العربية وبعض الصحف الغربية، ولفت نظري أمور من بينها: أن إسرائيل تحاول الإيحاء إلى العالم الغربي أن المملكة تدفع مليارات من الدولارات تذهب إلى جهات معادية لليهود عمومًا، يتكرر هذا في السنة أكثر من مرة إلى جانب إحصاءات بالملايين، ولا أحد كان يعير ذلك انتباهًا، ولم يكذب تلك الروايات أحد، وبعد الهجوم على أمريكا والهسترية التي أعقبته، صار الوقت مناسبًا لقرع الطبول، فالجو مهيأ، وما يطرح مقبول.

فتش عن اسرائيل

ومنذ بضع سنوات قرأت كتابًا ليهودي أمريكي عنوانه «قوة اليهود»، يتحدث بصراحة عن المنظمات والاتحادات اليهودية في أمريكا فيذكر أن عددها ألف منظمة واتحاد، تجبي في العادة أكثر من مليارين سنويًا، توجه إلى إسرائيل وإلى المستوطنات والتعليم الديني، والجمعيات العنصرية الإرهابية، هذا غير البلايين التي تقبضها إسرائيل هبات وقروضًا، ثم تضعها في البنوك الأمريكية ولتقبض في حدود ٨٠٠ مليون دولار فوائد عنها، تصرفها إسرائيل دون رقابة، بعكس جميع المساعدات الأمريكية. التي تكون بإشراف تام من الحكومة الأمريكية . د. إدوارد سعيد ـ الفلسطيني الأصل والأمريكي الجنسية ـ يقدر المساعدات الأمريكية لإسرائيل بـ (١٣٥) مليار دولار، وربما أكثر من ذلك (١).

والمساعدات والقروض والأسلحة والمعلومات، كلها تنهال على إسرائيل ليل نهار. ويمنع المسلم أن يقدم لأخيه معونة، فإن قدم فهو معاون للإرهاب ... أما ما يحدث لأهل فلسطين من قتل يومي فليس بإرهاب، لكن قتل

الجندي الإسرائيلي أو المستوطن الغاصب للأرض فقط هو الإرهاب.

محتويات الكتاب

جاء الكتاب في خمسة أبواب مع باب تمهيدي استهلك ٧٤ صفحة ، وإن لم يضع له عنوانًا... وقد بذل الكاتب فيه جهدًا جيدًا، تحدث فيه عن المنعطف التاريخي: ووضع جملة عناوين معبرة بشكل جيد منها:

من وراء الحدث: والحدث هو الهجوم على الأبراج الأمريكية، والكاتب يذهب إلى أن «الحدث» مدبر، ويشاركه كثيرون في ذلك، لكن السؤال: هل ضاقت الحيلة بأمريكا لتفتعل حدثًا مأساويًا بهذا الحجم ثم تستغله؟

والمثل القريب حرب العراق، اخترعت معلومات عن أسلحة، ودخلت الحرب، ومن عنده هذا الاستعداد، فلن تعوزه الحيلة، ولن يحتاج إلى حادث مأساوي يقتل الألوف.

ثم يباشر الكاتب بوضع احتمالات مثل التخطيط للسيطرة على العالم، والاحتمال الثاني أن الحدث كان من فعل جماعة محددة ذات مصالح، لا تعبأ بمصالح الشعب الأمريكي، والاحتمال الآخر تحقيق مصالح لتجارة السلاح والنفط.

ومن الاحتمالات أن يكون التخطيط قد شارك فيه - بشكل ما - من يملك السيطرة على أسرار الأجهزة الأمنية المعنية بالمراقبة والدفاع.

ومن الاحتمالات أن الطائرات التي هاجمت الأبراج كانت تسير (بالريموت كنترول) ويستدل على ذلك بعدم وجود مكالمات في الصناديق السوداء.

الحرب على الإرهاب مجرد مشجب لأمور كثيرة، مثل الإخفاقات السياسية والاقتصادية، وحتى الحصول على منصب الرئاسة من المحكمة، وليس من طريق الانتخابات

تداعيات الحدث وأثره في العقلية الأمريكية بحيث تتقبل إجراءات شاذة وقوية غير معهودة، واختراق للقوانين والعرف، وهذا الأمر واضح جدًا، فلولا فداحة الضربة وقساوتها، لما أمكن تسويق الكثير من الإجراءات المنافية للقيم الأمريكية وقبولها ، ولصعب سَوْق أمريكا للحرب هنا أو هناك.

لكن هذا يمكن توجيهه بأنه مجرد استغلال لما حدث، ولا يشترط أن يكون سببًا للحدث، كأن نقول: إن شخصًا أهان آخر فقام الثاني بقتله، فبسبب الإهانة حصل القتل، لكن لا يقال: إن الثاني حرض الأول على الإهانة ليقتله ويستشهد الكاتب بأن أمريكا صارت أكبر دولة تمارس القتل والإرهاب، نعم ولكن أمريكا - كما يقول بعض أبنائها - تعبد القوة منذ وقت بعيد، ومارست قتل الهنود الحمر، ومارست الانقلابات والاغتيالات، دون أن يعتدي عليها أحد، أو يهددها مجرد تهديد.

- إشارة تاريخية: يذكر الكاتب واقعة - تمنيت لو وثقها بشكل جيد - ملخصها أن الدكتور الدواليبي صور كتابًا عام ١٩٩٠م ذكر فيه أن الرئيس الأمريكي جونسن قام بالاتفاق مع قيادات عسكرية لمهاجمة أسطول أمريكي ليلاً بالطائرات، وفي اليوم التالي تقدم مجلس النواب والشيوخ مدعيًا أن طائرات «فيتنامية» قد قامت بالغارة فحصل على صلاحيات مطلقة لتأديب الجناة، وعرفت الواقعة بـ «كذبة خليج تونكين»

وهذه «الواقعة» يمكن تصورها، وهي ليست من حجم مهاجمة أبراج عامرة بالبشر، وإن كانت السياسة لا ترحم أحدًا.

- شاهد من أهلها: يشير الكاتب إلى ما ذكره دفيد ديوك مرشح سابق للرئاسة الأمريكية - وعضو مجلس النواب الأمريكي حين تحدث عن نشر «الواشنطن تايمز» في ٢٠٠١/٩/١٠م - أي قبل الهجوم على الأبراج بيوم - تقريرًا مكونًا من ٦٨ صفحة من إعداد نخبة من ضباط المعهد العسكري الأمريكي للدراسات العسكرية المتقدمة، تشير إلى المخاطر المتوقعة ضد قوة احتلالية محتملة لجيش أمريكي في الشرق الأوسط، وعلقت الصحيفة على ما ذكره المقال عن الموساد الإسرائيلي: هؤلاء الضباط من جهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد) جهاز متوحش، عديم



الرحمة، ماكر لديه القدرة على استهداف قوات أمريكية، ثم جعل ذلك، يبدو كأنه عمل عربي فلسطيني.

يعلق ديوك قائلاً: ومن سخريات القدر أنه بعد (٢٤) ساعة هوجمت الأبراج والإنسان يتذكر هنا ما حصل لسفينة التجسس الأمريكية في حرب ١٩٦٧م، حين ضربها الجيش الإسرائيلي، مع معرفته الكاملة بها وبهويتها، ربما لأنه مطمئن؛ لأن أمريكا لا تحقق بجدية حين يكون المتهم صديقًا عزيزًا مثل إسرائيل.

ـ الإدانة لمنطق غسيل الدماغ: مرشح ديمقراطي أمريكي لعام ٢٠٠٤م «يندون لاروش» كتب في مجلة (FIR) عن «القوى الخارقة» داخل أمريكا ـ وليس خارجها ـ هي التي دبرت الهجوم على الأبراج، ونشرته صحيفة الدستور الأردنية في ٢٠٠١/٩/٢٣م، وما جاء في المقال: «فوجئت أمريكا بالهجوم الإجرامي الذي نفذته قوى مارقة تم توظيفها من داخل أمريكا، لأنه لا توجد قوة خارجية تملك القدرة على أن تلحق بنا ما جرى يوم الثلاثاء، فإن الرأس المدبر المحتمل الوحيد القادر على تنفيذ ما وقع هو بعض القوى المارقة الخفية العاملة ضمن مؤسساتنا العسكرية الأمنية». وعلينا أن ندافع عن أنفسنا وعن أمتنا ضد هذا العنصر المارق.

فمن يكون هذا العنصر المارق الموجود داخل أمريكا، وفي أجهزتها العسكرية الأمنية؟ وأخيرًا فإن لاروش يتهم وسائل الإعلام في بلده بالقيام بغسل يومي للأدمغة.

ـ العدو في الداخل: الكاتب الأمريكي المعروف جور فيدال الذي له أكثر من خمسين كتابًا مؤلفًا، والبالغ من العمر٧٧ عامًا كتب حول مأساة الأبراج فقرر «العدو من الداخل» ومما قاله: تدخلت المحكمة العليا، وتلاعبت بشؤوننا وأقامت مكان رئيس جمهوريتنا المنتخب، عصبة «تشيني ـ بوش» من رجال البترول والغاز، وفي غضون ذلك راحت حكومتنا تزداد كل يوم ابتعادًا عن الخضوع للمساءلة، إنها تتبع سياسات مختلفة في شتى أنحاء العالم دون أن نعرف عنها شيئًا، عن حملة الرماح ـ ومن كان يطلق علينا في الماضي اسم «الشعب» ـ ويقول «فيدال»: لقد أصبح الجميع الآن في العراء.

وأخيرًا ينقل فيدال عن بريجنسكي ـ مستشار الأمن السابق قوله: إن خطرًا خارجيًا مباشرًا وكاسحًا وظاهرًا للعيان، هو الذي أتاح للرئيس بوش أن يرقص رقصة الحرب أمام الكونجرس، ويصبح منتشيًا؛ إنها حرب طويلة الأمد، وعند ذلك أعلن محور الشر، غير متناسق الأعضاء ينبغي مقاتلته ..

ـ أمريكا خططت، أمريكا نفذت: الفارس الجديد هو مايك روبرت مسؤول أمني أمريكي سابق وحصل على مرتبة الشرف في العلوم السياسية من جامعة كاليفورنيا، واشتغل سنوات في الشرطة حاضر حول تخطيط أمريكي وتنفيذ للهجمات على الأبراج، وقدّم وثائق واقتباسات مما كتبه المستشار بريجنسكي في كتبه ومنها «رقعة الشطرنج الكبرى» ـ وهو مترجم إلى العربية ـ ويتحدث عن المخاطر التي تحدق بأمريكا والجهات التي تكون خلفها، ومن هذه المؤلفات (الفوضى) وهو مترجم، ونقل مايك عن المستشار القول: إن حرب أفغانستان قد خطط لها قبل أكثر من خمس سنوات، فماذا يعني ذلك ؟؟

ـ يمضي المؤلف في خطه وخطته فيذكر زلفن توفلر ورأيه في سياسة الحرب على الإرهاب، وأن هذه الحرب ضرورية فقط للسيطرة على العالم، وإقصاء بعض القوى الطالعة ومن بينها الإسلام والأديان العالمية الأخرى، والمنظمات غير الحكومية، التي راحت تنتشر بسرعة، وكل ذلك يتطلب سلطة للضرب وللسيطرة على العالم دون منافس.

ـ فريد هاليداي ـ الكاتب المعروف ـ الذي يحسن اللغة العربية ـ وصاحب كتاب «الإسلام والغرب» يعلق على الحرب على الإرهاب فيرى فيها مجرد مشجب لأمور كثيرة

إسرائيل بشكل عام تعدّ كل العالم أعداء لها، بما فيها أمريكا، حاميتها وحليفها الأول، ولذا فمن المفيد لإسرائيل التجسس على أمريكا وغيرها



حفر الآبار من أهم أنواع الإعانات الإنسانية

مثل الإخفاقات السياسية والاقتصادية، وحتى الحصول على منصب الرئاسة من المحكمة، وليس من طريق الانتخابات، ويصل أخيرًا إلى أن الهجوم على الأبراج ساهم في إنجاح برامج الجمهوريين «العدوانية» والمفروضة سابقًا، وكان الحسم لمصلحة تجار السلاح والبترول والمال، وهؤلاء يشكلون الزمرة المتنفذة من الجمهوريين، كما أفضت التفجيرات إلى تقوية سلطة الرئيس بوش بشكل مثير وليس له مثيل إلا سلطة «روزفلت»

- إسرائيل والتجسس على أمريكا: إسرائيل بشكل عام تعدّ كل العالم أعداء لها، بما فيها أمريكا، حاميتها وحليفها الأول، ولذا فمن المفيد لإسرائيل التجسس على أمريكا وغيرها، وستجد في يهود أمريكا من يعاون في ذلك بل يتحمس له من وجهة نظر دينية صرف؛ لذا راح الكاتب دفيد ديوك يتحدث بحذر شديد في كتابه «أمريكا - إسرائيل و١١ أيلول» مشككًا في الرواية الرسمية الأمريكية كليًا. وهذا الموضوع يخاف أي سياسي، وكل من له طموح الخوض فيه؛ لأنه بإمكان إسرائيل تحطيمه واتّهامه باللاسامية، ونبش ماضيه، لذا لا يقدم على مثل هذا الاتهام إلا رجل شجاع نظيف لا يخاف اللوبي الصهيوني ولا الصحافة التي تقبض من اليهود، وقد حدد أمرين يشجعان على هذا الاتهام:

- امتلاك إسرائيل شبكات تجسس واسعة في الولايات المتحدة الأمريكية

- يمتلك الإسرائيليون قدرة على القيام بعمليات إرهابية وإظهارها وكأن من قام بها «إرهابيون مسلمون» والأمران معًا يجب أن يؤخذا في الحسبان.

وقضية الجاسوس جوناثان بولارد المضبوط عام ١٩٨٦م خير شاهد وسجل ديوك أن السلطات الأمريكية قبضت ما بين ١٢٠ و١٤٠ جاسوسًا لإسرائيل عام ٢٠٠١م قبل الهجوم على الأبراج، أما بعد الهجوم فتمّ القبض على (٦٠) جاسوسًا، فلما بدأت المعلومات تتسرب انتهى الحديث فورًا.

- أين الصناديق السوداء: كل طائرة صغيرة أو كبيرة فيها أكثر من صندوق أسود يسجل كل حديث داخل كابينة الطائرة، وأي اتصال لها مع العالم، وحين تسقط الطائرات يبدأ البحث فورًا عن الصندوق الأسود، فإذا كان ثمة خطف فلا بد من حصوله في كابينة القيادة، ومع قائد الطائرة ومساعده أو مساعديه، الصناديق وجدت، لكن الشريط لم يسجل مكالمة مع أحد، والسؤال هل أوقف التسجيل؟ ومن يملك ذلك؟

يقول المحقق جوفيالز: إن كل القرائن والأدلة تبين أن الطائرات اختطفت إلكترونيًا بالريموت كونترول، وتم إطفاء كل الأجهزة التي يمكن أن تسجل أو تدل على ما حدث.

كل هذا معقول ولكن يبقى السؤال: هل يعجز من يخطط لمثل هذا أن يجد مسوغات أقل كلفة مما حدث والحصول على الغنائم نفسها» ومع ذلك: ياخبر بفلوس، بكرة يكون بلاش، إن الذي حدث يصعب أن يختفي إلى الأبد.

ما قبل الفصول

قبل الحديث عن الأبواب جعل الكاتب العنوان أعلاه ليتحدث عن سبب تأليف الكتاب، وهذا يكون في المقدمة



لولا الإعانات لماتت ملايين البشر جوعاً

عادة، ثم تحدث عن الضحية الكبرى لدعاوى الإرهاب، والمشكل هنا أن أمريكا والعشيقة إسرائيل ترفضان كليًا تحديد هذا المصطلح، كي يبقى الباب مفتوحًا لكل مشاكس ومعاكس أن يوصم بأنه إرهابي، وقد كتب إسرائيلي: أن كل من هو ضد أمريكا وإسرائيل فهو إرهابي، وهذا أصدق تفسير لمفهوم الإرهاب اليوم.

بعد ذلك يطرح «الدور الفاعل للمؤسسات الإسلامية في العمل الدولي» وأخيرًا نماذج لبعض البرامج والمشروعات.

وقد استعرض الكاتب المشروعات التعليمية والمنح الدراسية وإعانات الطلاب، ويأتي التعليق من إسرائيل: هذه المعونات تدفع لاعداء إسرائيل ولكره إسرائيل: والأموال التي تجبى من أمريكا والهبات والقروض بالبلايين لإسرائيل ماذا تفعل، وإلى يد من تصل ومن يمول المستوطنات ويسلح المستوطنين؟

يتحدث عن الإغاثة، وهي تذهب إلى فقراء العالم الثالث، الذي فيه أكثر من ثمانين بالمئة من اللاجئين الذين لولا الإعانات لماتوا جوعًا، ومرة أخرى لمن تدفع الهبات والمعونات والقروض الأمريكية لإسرائيل؟

يستعرض الكاتب المخيمات الطبية ومعالجة المرضى، وحفر الآبار للحصول على الماء، وتفطير الصائمين، وكفالة الايتام، وتوزيع لحوم الأضاحي، وبناء مراكز للخدمات

الاجتماعية، وغيرها كثير.

لقد أدرجت منظمات إسلامية ظلمًا وعدوانًا ضمن أهل الإرهاب، وصودرت وجمدت أموال، فماذا حصل على الطرف المقابل، الطرف الإسرائيلي؟

استعراض الأبواب

بعدها يبدأ الكاتب بالباب الأول «الإرهاب: مفاهيم وتاريخ» ثم يقسمه الكاتب إلى فصلين: الأول للتعريف، والثاني للإرهاب قبل الهجوم على الأبراج.

والباب الثاني «الإرهاب داخل الولايات المتحدة الأمريكية».

خصص الفصل الأول لنماذج من المنظمات الإرهابية، والثاني للمليشيات العسكرية وأما الباب الثالث فخصص لفلسطين والمنظمات الإرهابية الإسرائيلية، وقد أحسن في الحديث عن المنظمات الإرهابية وعن الجباية وجمع الأموال في العالم لمصلحة اليهود في إسرائيل، وعن التعليم الديني وكونه مفرخة للإرهاب والتعصب العنصري ونفوذ هذا التعليم، الذي يقبض من ميزانية الدولة ومن الجباية في العالم، وأخيرًا الجيش الإسرائيلي والمؤسسات التعليمية.

وخصص الباب الرابع للإرهاب بعد (٩) سبتمبر، والحملات ضد المؤسسات الخيرية الإسلامية دون سواها. وجعل الفصل الأول لصور من هذه الحملات، والفصل الثاني للدوافع والأهداف لهذه الحملة، وأما الفصل الثالث فللإرهاب في أفغانستان، وإقصاء العمل الخيري الإسلامي واستبعاده دون سواه.

وخصص الفصل الرابع للإعلام والدين في أمريكا، فأمريكا التي تهاجم الدين والمناهج هي اليوم الأكثر عناية بالدين والمدارس الدينية، وقد تكاثرت وتضاعفت مئات المرات ويبقى أمر محرم بحثه على الكل وهو التعليم الديني اليهودي في نيويورك بالذات، فهو الذي أمطرنا بأسوأ سكان المستوطنات في فلسطين تعصبًا وعدوانية، لكن هذا الموضوع لا يمسه أحد.

وخصص الباب الخامس للخلفيات العقائدية، فكان الفصل الأول (الدين والسياسة) فتحدث عن تنامي الأصولية، والحقيقة تنامي «الأسطورية» والخرافة، فالرئيس وكبار وزرائه يتحدثون عن يأجوج وماجوج وعودة السيد المسيح، وعن تقسيم العراق لأن ورد في التوراة أن بابل ستتقسم إلى ثلاثة أقسام، وأن حربًا كونية قادمة، يقتل فيه ثلث العالم، وإنه لا سلام؛ لأن السلام يؤخر عودة السيد المسيح.

وخصص الفصل الثاني للمنظمات غير الربحية، فدرس الكاتب التبرعات والهبات، مارًا بالقطاعين الخيريين في أمريكا وإسرائيل، وحسنًا فعل.

وجعل الباب الثالث لصور من التجاوزات مثل توزيع المعونات لتغيير الدين والفصل الرابع، دروس وتوصيات» درس موقع فلسطين في العمل الخيري الإسلامي، والمساعدات الأمريكية للإرهاب الإسرائيلي وحسنًا فعل، ثم جعل الفصل الخامس والأخير «لرسائل وملاحق».

الرسالة الأولى: للحكومة الأمريكية، والثانية للحكومات العربية والإسلامية، والثالثة لرجال الأعمال.

وفي الملحق الأول قصيدة .. في ظلال الخير للشاعر العشماوي عدد أبياتها خمسون بيتًا كانت مسك الختام، والملحق الثاني خصص لجداول وبيانات، والملحق الثالث بيان لمؤتمر باريس، والرابع لمشروع الإعلام العالمي لحقوق العمل الخيري، ثم المصادر والمراجع والفهارس»

الكتاب جهد علمي وتتبع دقيق حبذا لو رشح للحصول على جائزة من الجوائز المعروفة تقديرًا لجهد الكاتب أولاً، وللإعانة على شهرة الكتاب؛ فهو وثيقة قيمة جمع فأوعى، وأحسن التوثيق، فجزى الله الكاتب كل خير، وإلى عمل آخر على هذا المستوى، والله يسدد الخطا، ويجزل الثواب، ويكتب القبول.

كل القرائن والأدلة تبين أن الطائرات اختطفت إلكترونيًا بالريموت كونترول، وتم إطفاء كل الأجهزة التي يمكن أن تسجل أو تدل على ما حدث

حسين عرب بين الفكرين القـ



...ومي والإسلامي

يوسف عز الدين

ويلز ـ بريطانيا

الأستاذ حسين عرب من أبرز الأسماء العربية في الساحة الثقافية العامة لم يكن شاعرًا فحسب. إنما كان مفكرًا من ألمع مفكري عصره ومحيطه ومن الرواد المنظرين الأذكياء. امتاز بالأدب الجم والعلم الواسع والخلق الرفيع والأخوة الصادقة.

نشأ بيني وبينه ودّ عميق عندما كنت أستاذًا في المملكة العربية السعودية، واستمرت الصداقة والود على الرغم من سفري وتوالي أعوام الغربة عليّ، فقد بادر ـ رحمه الله ـ بكتابة مقال عني في مجلة «ضفاف» النمساوية عندما أصدر صاحبها، الشاعر الأديب الأستاذ وديع العبيدي، العدد الخاص عن شخصي المتواضع بعنوان «يوسف عز الدين في مرايا الآخرين» وأسبغ عليّ من لطفه ورقيق أدبه أكثر مما أستحق من رائد كبير وأستاذ معروف، وقد كتبت الصحف عنه كثيرًا عندما ذهب إلى الرفيق الأعلى، ورأيت منها صحيفة «المدينة» قبل أن يتوقف إرسالها إليّ.

خلقه وأدبه

إنه إنسان محبوب الشمائل، ونبعٌ ثرُ للإنسانية، يملك حسًّا حضاريًا ممتازًا، والتزامًا فكريًا واضحًا، فهو من رواد الأدب العربي الحديث، وقد أثرى الساحة الأدبية والفكرية بإنتاجه وعلمه، كما برز في عصره الشاعر عبدالله بلخير وحسين سرحان وعزيز ضياء وعبد القدوس الأنصاري، ومحمد حسن عواد، ومحمد حسن الفقي. والتفَّ حوله الأدباء أنَّى ذهب. وعندما يحل في الطائف يكون بيته مثابة فكرية وداره ندوة أدبية؛ لأن أهل الطائف لا يعرفون مثل هذه الندوات إلا في الصيف عندما يأتي أدباء مكة وجدة مثل عبدالعزيز السالم والرويشد وعبدالله بن خميس مع كثرتها في الرياض والأحساء والقصيم، إنها ندوة فكر ونقاش وأصالة التراث العربي. ويدير الكاتب هذه اللقاءات بهدوء الحديث، ومرونة الإدارة، والتروي في الحكم.

وتحس وأنت تقرأ شعره بنفحات البحتري، والمتنبي، وابن الرومي، وأحمد شوقي على تنوع الأغراض واختلاف الأساليب.

كان واسع الاطلاع عميق الرأي حلو الأسلوب، ويزيد شعره جمالاً الصور التي يرسمها، فقد قال: «إنما العيد أن ترفرف في الشرق والغرب راية التوحيد»، صورة جميلة، وأمنية غالية في نشر الإسلام في العالم كله، وهي رغبة صادقة يرجوها مخلصًا في نشر الخير والسلام في أرجاء المعمورة. ومثل هذه الصور الجميلة في الغزل قوله:

الهوى سحره على ناظريك
والرحيق الشهي من شفتيك
والأماني أشعة تشرق الفر
حة منها وتنضوي في يديك

جميل أن تشرق الفرحة من أشعة الأماني، وتكون ملكًا للحبيبة. وكان يحس بما يخيم على العالم العربي

والإسلامي، وما يعتلج في صدور أبنائه من عذب الأماني، وحلو الأحلام وأراد إبراز هذه الأحلام، بشعره بصدق، فأبرزها ورسمها في قصائده بوضوح وصدق، ومنها قصيدته الطويلة مثل ملحمة «مكة المكرمة» التي زادت على خمسمئة بيت، ذكر فيها ما حاق بالشعوب العربية من تمزق من جراء الانقلابات التي خربت الكيان الفكري حبًا بالسلطة الفردية والرغبة الخاصة دون اهتمام بمصالح الشعوب وحاجاتها إلى التطور والحضارة، قال:

إنقلابات إذا أحصيتها
ربما تحصي الحصى والدررا
القيادات هواها أن ترى
أن كل الصيد في جوف الفرا
فرقتنا شيعًا مجنونة
ذهل العقل بها وانتحرا
قد رجونا النصر في ثوراتكم
فإذا نحن رجعنا القهقرى

وما الانقلابات إلا لحقد شخصي أو رغبة في السلطة وليست لرفع الظلم والطغيان فإن أول عمل تقوم به هو إعلان الأحكام العرفية، وتعطيل الصحف والأحزاب والجمعيات، وقتل الحرية، وتقييد حرية الناس والرقابة على البريد والشعب، وزجّ الأبرياء في السجون، فيتأخر المجتمع فكريًا واجتماعيًا وحضاريًا.

قال قائل: إنه قومي الاتجاه، وقال آخر: إنه إسلامي النزعة، واختلفا في النتائج، وكلاهما على صواب إذا أخذا جانبًا واحدًا من شعره، وقد جاء هذا الاختلاف من الفهم الخاص للقومية العربية

دعا حسين عرب إلى القومية مع الإسلام دفاعًا عن دينه وعن قومه العرب، فجاء شعره عربيًا قوميًا مسلمًا: وهذا هو سبب اختلاف النقاد في شعره: لأن شعره: كان فيه امتزاج الشرق والعرب والإسلام

الوفاء في شعره لوطنه

وعندما يترك وطنه كان يهزه الحنين والشوق إليه أنّى سافر، وإن حلّ في الشرق أو في الغرب فما نسي أم القرى، فقد كانت معه في قلبه ودمه: لأنها جزء من عقله وروحه فما نسيها في جمال باريس وتطورها الحضاري ومظاهرها الطبيعية الجميلة. فقد قال:

ذكرتك في «باريس» والجو ماطر
وباريس تجلو كل هم مؤبد

ولما وصل إلى فيينا عاصمة النمسا التي تحدث الشعراء عن سحرها وجمالها وتغنت بها الأغاني قال:

وقالوا «فيينا» جنة الأرض كلها
ومنتجع الأفراد والمنتدى الندي

لكن هذه الحضارة الغربية، وجمال الطبيعة الخلاب فيها، وما فيها من فتن الحضارة والتطور لم تنسه أم القرى وأهلها وسكانها والطائفين حول البيت العتيق، ولم يطربه غناء أهل النمسا ولم يهز أعطافه غير غناء أهل الحجاز، فقال:

فما كل لحن يستبين غناؤه
بأعذب من لحن الغريض ومعبد

فأم القرى نبع صاف للحضارة، وركن قويم للإسلام، ومنبر إشعاع للخير. قال:

ويا كعبة الآمال من كل جانب
ومستقبل الإحسان من كل مورد



أحمد شوقي

أشاد بك الإسلام طودًا ممنعًا

تناهى إليه كل صرح مجرد

ووفاؤه الكبير، وفنه الواسع، وفكره الثرّ، كلها تحتاج إلى دراسة مطولة، ورسالة جامعية، لهذا سأقف على جانب من جوانب اتجاهه الفكري.

مكان الشاعر من الفكر

إنه جانب من جوانب إبداعه الذي اختلف فيه المؤرخون والكتّاب:

هل كان في شعره قومي الفكرة أم إسلامي الرأي؟

فقد قال قائل: إنه قومي الاتجاه، وقال آخر: أنه إسلامي النزعة، واختلفا في النتائج، وكلاهما على صواب إذا أخذا جانبًا واحدًا من شعره. وقد جاء هذا الاختلاف من الفهم الخاص للقومية العربية، والدعوة إلى الوحدة العربية، فقد حوت الاتجاهات القومية في تطورها عدة معان جديدة جاءت من تطبيق الفكرة في مختلف البقاع العربية، واختلاف هذا التطبيق، ومن جاء يدعو إلى التطبيق.



عبد الله بلخير

ولفهم هذا الأمر لابد من العودة إلى جذور الفكرة القومية وأسبابها وتطورها الزمني لإظهار سبب اختلاف النقاد في الرأي.

لماذا ظهرت القومية العربية؟

القومية هي الاعتزاز بالأمة وحضارتها وتاريخها والحفاظ على أصحابها من الاندثار. وقد حفظ الدين الإسلامي العرب ديناً وأمة وشكَّل لهم الهوية الثقافية.

ولعل أول فكرة للقومية العربية ظهرت في «ذي قار» عندما اتحد العرب ضد الفرس، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «اليوم انتصف العرب من العجم وبي نصروا». وقد تغذت الفكرة القومية من الغرب عندما أرسى بسمارك وحدة ألمانيا، وغاريبالدي إيطاليا؛ لأن كل دولة كانت تقوم على قومية موحدة، وعلى رأي مشترك، ولغة قومية واحدة.

وأخذت الشعوب الأخرى تعتز بالقومية، ومازالت الشعوب تعتز بها، ففي بلجيكا وهولندا وسويسرا على الرغم من اتحاد القوميات في هذه الدول نجد كل شعب يتحدث بلغته، ويكتب بها، ويعلم أبناءه. وهي الدعوة التي أدت إلى ظهور دول جديدة في العصر الحديث مثل الجيك والسلاف والصرب والكروات والباسك في إسبانيا، فقد اعتز كل منهم بقوميته مع أنهم جميعًا نصارى.

لم يكن العرب يفكرون بالقومية خلال الدولة العثمانية؛ لأن الإسلام ساوى بين كل الشعوب، ولما سيطرت جمعية الاتحاد والترقي دعت الطورانية إلى تتريك كل شعوب الدولة. وقد اضطهد الطورانيون العرب، وكان رد الفعل الدعوة إلى القومية العربية مقابلة لدعوة الطورانية؛ لأن العرب أكثر عددًا. ونبذ الطورانيون الإسلام الذي يُظل الشعوب العثمانية، وتحولت الدولة إلى قومية طورانية. ونمت القومية في البقاع العربية بعد قتل عدد منهم وتشريدهم فأخذ الشعراء بالتغني بها دون الابتعاد عن الفكر الإسلامي.

وكان المفكر العربي يعدّ الشرق والعرب والإسلام شيئًا واحدًا، فإذا قال الشرق قصد العرب والإسلام فقد قال الشاعر:

إن العروبة لفظ إن نطقت به
فالشرق معناه والإسلام والضاد

لأن أكثر الشرق كان مسلمًا والعروبة سداه.

وما كانت الدولة العثمانية تفرق بين شعوبها وقد سمَّى السلطان العثماني اسمه «خادم الحرمين الشريفين» ووضع في عمامته إشارة شبه مكنسة تبركًا بكنس الحرمين الشريفين، ولكن دعوة جمعية الاتحاد والترقي إلى القومية الطورانية دفعت العرب إلى الدعوة إلى القومية العربية بعد عزل السلطان عبدالحميد، لكنها سارت مع الدين الإسلامي في الوقت نفسه، وكان المفكر العربي في هذه الفترة يرى أن العرب والإسلام والشرق وحدة لا فرق بينها، فإذا قلت العرب أردت الإسلام والشرق. وكان الغرب يرى المشرق كله عربًا وكلهم من المسلمين.

عندما يترك وطنه كان يهزه الحنين والشوق إليه أنّى سافر، وإن حلّ في الشرق أو في الغرب فما نسي أم القرى. فقد كانت معه في قلبه ودمه؛ لأنها جزء من عقله وروحه

موقف الشاعر

لم يختلف الشاعر حسين عرب عن الرأي العام المعاصر أكان عربيًا أم إسلاميًا. وهكذا وردت العروبة في شعره فلا يمكن أن يفصل عنها الإسلام. وكان أمل العرب الوحدة بعد أن مزَّق الأجنبي شملهم، وجعلهم دولاً وحكومات ليردوا بالوحدة الإخفاق والخذلان في الحياة بعد أن أصابتهم معاهدة «سايكس بيكو» بالإحباط؛ لذلك وجدنا الأناشيد المدرسية تعبر عن إحساس داخلي ورغبة عارمة في الجزيرة العربية في الدعوة إليها وظهرت واضحة في الشام والعراق. وظهر

حسين سرحان



هذا الأمل في الأناشيد التي نظمها الشاعر عبدالله بلخير وأرّخ ذلك بقوله ـ رحمه الله:

«صممت على كتابة خمسة وعشرين نشيدًا، وقدمتها إلى الأمير فيصل فرفعها إلى مجلس الشورى.. فقرر الموافقة على أربعة عشر نشيدًا، وتولت مديرية المعارف طباعتها على نفقتها، وسمتها ـ مجموعة الأناشيد العربية للمدارس في المملكة العربية السعودية ـ وكان ذلك سنة ١٣٥٤هـ (١)، ومن تلك الأناشيد نشيد الوحدة العربية ومطلعه:

لبيك يا داعي الوطنْ
لبيك سـرّاً وعـلنْ
لبيك يا صوتًا دوّى
حرّك بنا ما قد سكنْ

ومنها القصيدة التي قال فيها:

علم الوحدة رفرف
أنت عزٌّ للعرب
كل حُرّ لك يهتف
كي يؤدي ما وجب

وقد قال الشاعر نفسه:

شبه الجزيرة موطني وبلادي
من حضرموت إلى حمى بغداد
أشدو بذكراها وأهتف باسمها
في كل جمع حافل أو وادي

وقد عارضها الشاعر المبدع مقبل عيسى متأثرًا بالبيت الأول فقال (٢):

بيت من الشعر لا أنساه في خلدي
أرهفت سمعًا له عشقًا بأجياد
لكن قومي لداعي الحق ما التفتوا
بل فضلوا التيه في صحراء جلعاد

وكان أثر الوحدة ساريًا في النفوس، فعندما كرَّم الصديق عبدالمقصود خوجة الشاعر عبدالله بلخير،

وألقى الشاعر علي زين العابدين قصيدة أعاد البيت الأول في قصيدته التي مطلعها:

بلخير ليس بعاشق لسعادة
أو عزة وبثينة ووداد
بلخير عاشق أمة عربية
شمخت مفاخرها على الأبعاد
من ذا أذاب حدودها في شعره
وخطا لوحدتها على الآباد
«حب الجزيرة موطني وبلادي
من حضرموت إلى حمى بغداد»

سبب الاختلاف

اختلف المؤرخون في الاتجاه الفكري للشاعر حسين عرب، أهو شاعر قومي أم إسلامي؟

فقد قال الدكتور شوقي رياض أحمد: «من أهم اتجاهات شعره: الاتجاه القومي مع أن استخدام القومي كان أمرًا عليه تحفظ، ولكني رأيت أن العروبة لا يمكن بأي حال أن تنفصل عن الإسلام، ماثل في كل قصائده في كل مناسبة إسلامية له قصيدة أو قصائد».

وقال: من أهم ما أبرز، الروح الإسلامية تلك القضايا القومية التي تحدث عنها. فأعظم شعر سمعته عن قضية فلسطين والفدائيين (٣) في شعره (٤): «من هنا ليس غريبًا أن نطلق عليه لقب شاعر الأمة العربية، لأنه أحس فعلاً بقضاياها إحساسًا نابعًا من القلب، إحساسًا يقوم على مسؤولية المسلم وشعوره تجاه كل حدث أو قضية تمس الإسلام وتمس العروبة» (٥).

وقال الدكتور محمود زيني: «يخيل إلى من يقرأ شعره أنه ذو اتجاهات متعددة، وليس ذلك كذلك، ولكنه اختار مذهبًا واحدًا لا ثاني له. أبدع فيه شعره والتزم به هو الاتجاه الإسلامي، ولست أذهب مع من ذهب في جعل شعر الأستاذ حسين يدور حول القومية فمفهوم القومية لدى الشاعر إنما هو ينطق من إحساسه الوجداني وإيمانه العميق بالاتجاه الإسلامي».

انظروا إلى قوله:

فإذا شعوب الضاد ترمق وحدة
قدسية النغمات والأوضاح
نبراسها التقوى وديدنها الحجا
وبأنها مجلى هدى وصلاح

فليس هو الشعر القومي بالمفهوم الذي كانت توجيه القومية آنذاك في وقتها، فيقول مدافعًا عن سورية:

شبانها حزموا الجهاد وشيبها
مجلى السداد وبأسها متجرف
في «ميسلون» من الفداء صحيفة
غراء سجلها المجاهد «يوسف»

الواقع ليس هناك اختلاف إلا في فهم القومية والإسلام في رأي المؤرخين الفاضلين. فإن الدعوة في هذه الفترة كانت ضد الغرب، وضد احتلال الوطن العربي الشرقي الذي كان مسلمًا ولابد من العودة إلى فهم تخطيط الغرب للقضاء على الدولة العثمانية المسلمة لجهل كثير من القراء الدوافع التي أدت إلى ظهور فكرة القومية.

نظرة تاريخية

كانت الدولة العثمانية مسلمة، واتسعت حتى وصلت

كان المفكر العربي في فترة الدولة العثمانية يرى أن العرب والإسلام والشرق وحدة لا فرق بينها، فإذا قلت العرب أردت الإسلام والشرق. وكان الغرب يرى المشرق كله عربًا وكلهم من المسلمين

القمة ـ حدود فيينا، جاءت بعد أن هدم المغول بغداد، فأذلّ الفتح العرب، والإسلام بسقوط الدولة العباسية، فقد أعادت الدولة العثمانية المسلمة لهم كرامتهم الإسلامية، وزادهم إعجابًا بها وصولها حتى حدود فيينا.

أوربا والتجارة

كانت أوربا تعاني كساد التجارة وبحاجة ماسة إلى أسواق لتصريف البضائع المكدسة بعد نمو النهضة الصناعية وزيادة البطالة، وبحاجة شديدة إلى المواد الأولية الرخيصة لتدير عجلة الصناعة، ووجدت في الدولة العثمانية كل مطالبها. فكيف يصلون إليها وجموع المسلمين حولها؟ وشجع الغرب التمزق الإداري والتخلف العام في الدولة. فأسس الغرب جمعية الاتحاد والترقي السرية، وأخذت تبث الإشاعات عن السلطان عبدالحميد، وتجسم الإشاعات ما تقوله، وساعدت الصهيونية على تشويه سمعة السلطان بعد أن رفض طلب «هرتزل» بدخول اليهود إلى فلسطين. فدعت الجمعية إلى إحياء القومية التركية الطورانية وإحياء، ذكر طوران شاه، وألّف الكاتب اليهودي ليون كاهون كتابًا بعنوان «الترك والمغول في آسيا من مبدأ نشأتهم حتى ١٨٠٥م»، وظهر عام ١٨٧٦م، وقام بتدريسه ناظم بك السلانيكي الأمين العام للجمعية وقلب مساوي المغول إلى بطولات، وأصبح تيمورلنك من الأبطال، وخلق له من الفضائل العسكرية، وذكر شهامته وفضله، ومجَّد جنكيز خان الذي سمى نفسه في بخارى «غضب الله وعصا سخطه»، وأصبح بطلاً قوميًا، وطالب الأتراك بالابتعاد عن الإسلام والشرق، وإن الإسلام هو المصيبة التي حلت بالأتراك، ويجب الطلاق والتخلص من الشرق والإسلام.

ونشرت هذه الأفكار بين الشباب، وبخاصة الضباط، فما كان من الأقوام الأخرى إلا الدعوة إلى قومياتهم، وهم كثيرون، ومنهم العرب الأكثرية في الدولة، وبذلك فك عقدة الإسلام التي تربط الشعوب العثمانية، وحصل الغرب والصيونية على ما أرادوا (٦). ولما عزل السلطان عبدالحميد دخل أول فوج من اليهود إلى فلسطين.

وقد ادّعت الطورانية أنها يجب أن تسيطر على الشعوب، وعلى العرب أن يخضعوا للأتراك كما خضع الأتراك للعرب في الإسلام. ويجب على التركي العثماني أن يكون تركيًا أولاً ومسلمًا ثانيًا، ودعت إلى تحرير اللغة التركية من العربية والفارسية، وزرعت القومية في الوطن كله.

وقد اختلط على المفكرين فهم هذه التيارات، وحكموا بجانب واحد عندما تحدثوا عن حسين عرب، فقد كان هدف العربي في الدعوة التخلص مما حاق به من الطورانية، ثم جاءه الاستعمار بالبلية الكبرى.

وهذه الدعوة كانت للتخلص من الأجانب. ونمت وترعرعت حبًا بالوحدة، وغذتها العودة إلى التراث الإسلامي وحضارته وسطوته بعد الهزال والتمزق الذي يئن منه المجتمع العربي والإسلامي. ودعا حسين عرب إلى القومية مع الإسلام دفاعًا عن دينه وعن قومه العرب، فجاء شعره عربيًا قوميًا مسلمًا؛ وهذا هو سبب اختلاف النقاد في شعره؛ لأن شعره كان فيه امتزاج الشرق والعرب والإسلام وتلك سمة العصر التي فاتت على الباحثين الفاضلين.

الهوامش

١ـ الإثنينية العدد الأول ١٩٨٣م، ص ٩٨ عبدالمقصود خوجه.
٢ـ الإثنينية، العدد الرابع ١٩٨٦، ص ٤١.
٣ـ الإثنينية، ج١٥/١٩٩٧م، ص ٢١ ـ ٣٠.
٤ ، ٥ ـ المرجع نفسه ص ٢٢.
٦ـ الماسونية عقدة المولد، محمد ثابت الشاذلي، ص ٢٥٣. مكتبة وهبة، القاهرة.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٢٩) ذو القعدة ١٤٢٤هـ/ يناير٢٠٠٣م.

الفائز الأول: رقية عبدالواسع عبدالولي ـ صنعاء ـ اليمن.
الفائز الثاني: مسعد عبدالحافظ عبدالعال ـ محافظة الغربية ـ مصر.
الفائز الثالث: إبراهيم حسين عبدالرزاق حسين ـ عمان ـ الأردن.
الفائز الرابع: ماهر جميل أشقر ـ اللاذقية ـ سورية.
الفائز الخامس: هاشم أحمد حسن علي ـ المدينة المنورة ـ السعودية.
الفائز السادس: ولي الله بن عبدالله سعيدي ـ الهند ـ سدارت ـ نغر.
الفائز السابع: نعمة ناصر عبدالله إسماعيل ـ صنعاء ـ اليمن.
الفائز الثامن: ماجد جبر ـ دمشق ـ سورية.

حل مسابقة العدد (٣٢٩)

١- مساكينُ أهلِ العِشقِ، ما كنتُ أشتري
جميعَ نفوسِ العاشقين بدرهمِ
قائل البيت هو: نُصيب بن رباح.
٢- البلاتيوس: حيوان مائي ثديي بيوض من حيوانات أستراليا.
٣- البورانا: قصة هندية أسطورية
٤- الثانية النجمية: $\frac{1}{60}$ من الدقيقة النجمية.
٥- بابلو نيرووا: شاعر تشيلي عرف بنزعته اليسارية. منح جائزة نوبل عام ١٩٧١م.

أسئلة مسابقة العدد (٣٣٢)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: لا تلق دَهْرَكَ إلاَّ غيرَ مُكترثٍ ما دام يصحب فيه رُوحَكَ البدَنُ
- ☐ المتنبي
- ☐ المعري.

(٢) الميثولوجيا:
- ☐ الأساطير المتصلة بالآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الخرافيين عند شعب ما
- ☐ علم وظائف الأعضاء.

(٣) القلب الأرجواني:
- ☐ فن طبع الرسوم على الخشب والجلد بأداة محمّاة لها شكل القلب
- ☐ وسام أمريكي لجرحى الحرب.

(٤) اللازوليت:
- ☐ نبات من الفصيلة القرنفلية زهره أحمر وأبيض
- ☐ معدن لازوردي الزرقة.

(٥) المرزبان:
- ☐ حاكم ولاية فارسية قديمة
- ☐ أحد الحراس الذين يقومون على حراسة كسرى.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

مسابقة الفيصل

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٦٠ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- انعقاد الملتقى العربي للتربية والتعليم
- هيمنغواي يتوسط بين كوبا والولايات المتحدة
- ترميم المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة
- وفاة المستشرق الروسي إيغور تيموفييف، والشاعرة السورية أمل الجراح

●● خاتمة المطاف: مزايا مدينة الرياض

الأمير خالد الفيصل في الملتقى العربي للتربية والتعليم:

ارتقاء أمتنا مرهون بالتسلح بعلوم العصر ومعارفه

أقيم في بيروت في السادس والعشرين من ذي الحجة ١٤٢٤هـ (الموافق ١٧ فبراير/شباط ٢٠٠٤م) الملتقى العربي للتربية والتعليم الذي جاء تحت عنوان «مؤتمر التربية العربية: الواقع وسبل التطوير»، وقد شارك في تنظيم المؤتمر الذي استمر أربعة أيام، مؤسسة الفكر العربي، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «أليسكو»، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإسيسكو»، ومكتب اليونسكو الإقليمي للدول العربية، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، واتحاد الجامعات العربية.

وشهد هذا المؤتمر صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس مؤسسة الفكر العربي، و١٥ وزيرًا، ووفود تضم نحو ٢٠٠٠ شخصية تمثل رؤساء جامعات وعمداء كليات ونخبة من الطلاب الاختصاصيين في المجالين التعليمي والتربوي، وقد هدف إلى التعرف إلى أوضاع التربية والتعليم في الوطن العربي، ورصد القضايا التربوية الملحة، واقتراح الحلول العلمية لتطوير التربية والتعليم في ضوء المتغيرات الدولية.

وتكمن أهمية هذا المؤتمر، الذي ضم حشدًا كبيرًا من أصحاب الرأي والقرار في ميدان التربية على المستويين الحكومي والأهلي، في طرحه تعديل المناهج في العالم العربي.

وقال الأمير خالد الفيصل رئيس مؤسسة الفكر العربي في كلمته في المؤتمر: «إذا كان الواجب يحتم علينا أن ننقد واقع التربية والتعليم في عالمنا العربي وننتقده بكل شجاعة، ونستعرض علله بغير مواربة، فإن هذا لا يمكن أن يصادر حق أمة لها في غابرها ذلك التاريخ العريق، والتراث الحضاري المؤثر، ولها في حاضرها كل هذه المقومات والأسباب، في أن تنهض من كبوتها مهما استفحل الأمر وتعاظم الأثر».

وأضاف سموه: «وبقدرما نعترف بما يعانيه مجال التربية والتعليم عندنا من ترهل وعلل في التخطيط والمناهج والطرائق وإعداد المعلم والكتاب والمرافق والمختبرات ومكافحة الأمية وغيرها، بقدر ما هو الأمل المعقود عليكم معاشر الرواد التربويين في أن تؤسسوا جسور التعاون والتنسيق بينكم لتوحيد الرؤى وتطابق الأهداف، والعمل الجماعي كفريق من أجل رفع شأن المخرج التعليمي العربي بشكل عام».

وبيّن سموه: «أن ارتقاء أمتنا مرهون - إلى حد كبير - بتوافر المخرج التعليمي المسلح بعلوم العصر ومعارفه، القادر على سد حاجة السوق العربية ذاتيًا، والتحول بها من أزمة الاستيراد والاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج والاكتفاء والتصدير»، وتمنى أن يسفر هذا المؤتمر عن «رؤى مستقبلية لسياسة تربوية عربية قائمة على التعاون والتنسيق، آخذة بمعطيات العصر، دون التفريط في الصحيح من ثوابتها أو التنازل عن مقومات هويتها».

وأعلن سموه في ختام جلسات الملتقى أن لجنة تنظيم الملتقى قررت أن يكون هناك ملتقى آخر تحت عنوان «تطوير وتقويم الجامعات العربية» في العام المقبل، وبيّن سموه أن الحضور لهذا المؤتمر سجل نحو ٢١٧٨ مشتركًا من كل من: المملكة العربية السعودية والأردن ودولة الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والجزائر، والسودان، والعراق، والكويت، والمغرب، وبريطانيا، وتونس، وسلطنة عمان، وسورية، وفرنسا، وفلسطين، وقطر، وكندا، ولبنان، وليبيا، ومصر، وموريتانيا، لافتًا إلى مشاركة ٤٠٦ من المملكة العربية السعودية و ٩١١ من لبنان.

ووصف سموه هذه الأرقام بأنها قياسية لأي مؤتمر تعليمي من هذا النوع، وأوضح أن عدد المتحدثين بلغ ١٦٧ متحدثًا، منهم ١١٩متحدثًا، و٤٨ متحدثة.



مركز الملك فيصل وواقع المخطوطات العربية في إيران

استضاف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الخامس والعشرين من ذي الحجة (الموافق ١٦ فبراير/شباط ٢٠٠٤م)، ضمن أنشطته الثقافية لهذا الموسم الدكتور محمود المرعشي الأمين العام لمكتبة آية الله المرعشي والخزانة العالمية الإسلامية للمخطوطات الإسلامية بإيران في محاضرة بعنوان «واقع المخطوطات العربية في إيران»، وذلك في قاعة المحاضرات التابعة للمركز بمبنى مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وقدم للمحاضرة، وأدار الحوار الدكتور خالد البدلي.

وتحدث المحاضر أولاً عن واقع المخطوطات العربية في إيران وما آلت إليه منذ أن خطت بأيدي مصنفيها، وقال: إن إيران واحدة من أكثر البقاع الإسلامية وفرة من حيث المخطوطات العربية، فبلاد فارس مسقط رأس عدد كبير من أعلام العلم والثقافة والفنون منذ القرن الثالث الهجري وما تلاه، وعدّد المحاضر من هؤلاء العلماء: الفارابي، والبيروني، وابن سينا، والغزالي، وشيخ الطائفة الطوسي، ونصيرالدين الطوسي، وغيرهم، وخلص إلى أن إيران كانت تحتفظ في مكتباتها العامة والخاصة بالكثير من المخطوطات العربية، لكن عوامل طبيعية مثل الكوارث، ونوعية الحفظ والخزن، والأحقاد والجهل، قد تضافرت لتنال من هذا الكنز الثمين، خاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين على أثر زحف المغول الذي طال إيران، ولكن على الرغم من ذلك فما زال في إيران اليوم أكثر من خمسمئة ألف مخطوطة مسجلة باللغة العربية والفارسية والتركية، ونظير ذلك في المكتبات الخاصة عند الأفراد والأسر.

وتناول المحاضر بعد ذلك المكتبة الكبرى والخزانة العالمية للمخطوطات الإسلامية التي تعدّ الأولى في إيران، والثالثة في العالم الإسلامي بعد تركيا ومصر، والتي أسسها والده، الذي توفي قبل أربعة عشر عامًا عن عمر يناهز ٩٦ عامًا، وتطرق إلى الجهود الجبارة والتضحيات التي بذلها والده في سبيل بناء هذا الصرح العلمي الكبير.

وأوضح أن الخزانة تحتوي في الوقت الحاضر على نحو



٣٥ ألف مجلد من المخطوطات، يحتوي بعضها على أكثر من خمسين عنوانًا، وأن متوسط ما يضاف إليها في العام هو ألف نسخة منتقاة، وأن أكثر من ٦٠ أو٧٠٪ منها هي بالعربية، وقد صدرت هذه المخطوطات في فهارس بلغت ٣١ مجلدًا، وسوف تصدر باقي الفهارس في مجلدات تباعًا، ويقدّر أن تصل إلى ثمانين مجلدًا، إذا توقف الاقتناء على ما هو عليه الآن لا سمح الله.

وتخلل المحاضرة عرض سينمائي لمباني المكتبة ومحتوياتها وزوّارها، وفي ختام المحاضرة جرى نقاش مستفيض، وأجاب المحاضر عن عدد من الأسئلة والمداخلات.

وفاة المستشرق الروسي إيغور تيموفييف

توفي في موسكو في الأيام الماضية (منتصف فبراير/شباط الماضي) المستشرق والكاتب الروسي الدكتور إيغور تيموفييف - عضو اتحاد الكتاب الروس ونائب رئيس الصندوق الروسي لدعم وتطوير الاستغراب والتعاون مع الأقطار العربية عن عمر يناهز ٥٨ عامًا على أثر إصابته بسكتة قلبية مفاجئة.

ولد تيموفييف في روسيا عام ١٩٤٥م، وتخرج في معهد اللغات الشرقية قسم اللغة العربية وتاريخ العالم الإسلامي من جامعة موسكو عام ١٩٦٩م، ونال درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٧٥م، وكانت أطروحته لنيل الدكتوراه عن شعر ابن دانيال. وتقلد الكاتب الراحل عددًا من المناصب، إذ عمل أستاذًا مساعدًا للأدب العربي في جامعة موسكو في الفترة من عام ١٩٧٢م إلى عام ١٩٧٦م. كما شغل منصب رئيس تحرير الدراسات السياسية في دار التقدم للطباعة والنشر في موسكو في الفترة من عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٨٧م، ومراسلاً لعدد من المجلات والصحف مثل: صحيفة البرافدا السوفيتية، والحياة اللندنية، والراية القطرية، وعكاظ السعودية، كما عمل عدة سنوات مترجمًا لقائد القوات السوفيتية في مصر خلال فترة التحضير لحرب أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٣م، وقد كتب مذكراته خلال هذه الفترة في ست حلقات نشرها في صحيفة «عكاظ» السعودية قبل ثلاثة أشهر. وكان يشغل حين وافته المنية منصب المدير الإقليمي لدار القمم للإعلان.



إيغور تيموفييف

وقد ترك الكاتب الراحل تيموفييف عددًا من المؤلفات أبرزها: كتابه عن الرحالة الشهير ابن بطوطة، وآخر عن أبي الريحان البيروني، وقد تخصص تيموفييف في السنوات الأخيرة في كتابة أدب السيرة، فكتب عن «كمال جنبلاط: الرجل الأسطورة»، ونشرته دار النهار البيروتية.

المتحف العراقي: هل يفتح أبوابه للجمهور؟

ما زال القائمون على المتحف العراقي يعربون عن مخاوفهم من إعادة فتحه للجمهور مرة أخرى بعد أن مضى على الحرب التي أدت إلى إغلاقه وضياع الكثير من محتوياته النفيسة أكثر من عشرة أشهر.

ومازالت قاعات العرض الكبرى فارغة وألواح الزجاج محطمة والقطع الأثرية مدمرة بينما تغطي طبقة كثيفة من الغبار الأرض.

وقال مدير المتحف دوني جورج: «نخشى أن يتحول المتحف في حال إعادة فتح أبوابه إلى هدف للإرهابيين. فلدينا مجموعة ممتازة ولا نريد خسارة المزيد من القطع الأثرية». وما زالت جميع القطع الصغيرة التي تم سحبها قبل الحرب محفوظة في صناديق في حين سلمت القطع المعدنية الثمينة إلى المصرف المركزي قبل حرب الخليج عام ١٩٩١م، حيث مازالت مودعة في خزائنه.

وأوضح جورج أن جدارًا أمنيًا قيد الإنشاء حاليًا خلف المتحف من أجل تجنب تكرار ما حدث في أبريل/ نيسان الماضي، عندما دخل السارقون عبر الباب الخلفي لسرقة نحو ١٤ ألف قطعة بينها ٥ آلاف قطعة تمت استعادتها من الخارج. وبين أن من القطع التي تمت استعادتها، هناك ألف قطعة من الولايات المتحدة و ٧٠٠ من الأردن، و٥٠٠ من

وقد تصدر هذا الكتاب قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في العالم العربي طوال عام ٢٠٠٠م، وصدر باللغة الروسية عام ٢٠٠٣م. وقد منحه اتحاد الكُتّاب الروس جائزة أفضل كُتّاب السيرة لذلك العام.

وارتبط الكاتب الراحل بالأمة العربية ارتباطًا وثيقًا، فقد كان روسيًا بروح عربية، وقد قرر الرئيس اللبناني أميل لحود تكريمه ومنحه وسامًا لبنانيًا رفيعًا، لكن الموت عاجله قبل أن يتسلم هذا الوسام.

وقد زار تيموفييف المملكة العربية السعودية عدة مرات، كان آخرها بدعوة من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وقدم محاضرة بعنوان «اتجاهات تطور التعاون الثقافي بين روسيا والمملكة العربية السعودية» حضرها عدد كبير من المثقفين والإعلاميين.

وكان آخر أعماله التي لم تكتمل كتاب عن الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ كان قد بدأه قبل سنتين.

مصر تحتفي بالطهطاوي

احتفلت الهيئة العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة المصرية مؤخرًا بمرور ١٣٠ عامًا على رحيل رائد التنوير في مصر رفاعة رافع الطهطاوي، وأقامت الهيئة بهذه المناسبة ندوة شارك فيها عدد من المثقفين المصريين، منهم المؤرخان الدكتور يونان لبيب رزق، والدكتور عبدالعظيم رمضان، والسفير محمد رفاعة، أحد أحفاد الطهطاوي.

وتناول الدكتور يونان لبيب رزق ترجمات الطهطاوي، ووصفها بأنها الأهم في عطائه، إذ قام الطهطاوي بترجمة عشرات الكتب في أوقات متفاوتة، مثل: ترجمة كتاب «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» الذي جاء عقب عودته من فرنسا، وكتاب «مناهج الألباب» الذي جاء بمناسبة تكوين أول مجلس نيابي مصري، ثم كتابه «المرشد الأمين في تربية الأبناء والبنين» وقد كان ذلك عام ١٨٧٣م، وجاءت الترجمة بمناسبة تعليم البنات في مصر، وتزامنت مع إنشاء المدرسة السنية.

وتعرض الدكتور عبدالعظيم رمضان لشخصية الطهطاوي، ووصفها بأنها شخصية فريدة وغريبة ومملوءة بالمتناقضات، فلم يكن الطهطاوي ضمن طلاب البعثة المصرية التي ذهبت لتلقي العلم في فرنسا، بل كان شيخًا ذهب مع البعثة لحماية أعضائها من فتنة فتيات فرنسا الفاتنات، ولكن بعد عودته قام بترجمة دستور فرنسا، وعلق عليه، وقدمه للمصريين، شارحًا بنوده، ومتناولاً تقسيم السلطات، والمساواة، وكيف تتكون الأحزاب، وكيف تتجمع الجماهير حول فكرة.

فرنسا، و٢٥٠ من سويسرا، واتهم بعض الدول المجاورة بعدم المبالاة إزاء البحث عن القطع التي تم إدخالها إلى أراضيها. وسأل: «هل أقفلت هذه الدول حدودها؟ أم أنها تجري تحقيقات حول الموضوع؟ نحن لا نعرف شيئًا».

وأدت الضجة التي أثارها نهب التراث الوطني العراقي



إلى تلقي المتحف عددًا من المنح والهبات التي بلغ حجمها أربعة ملايين دولار. وقال مسؤولون في سلطة التحالف: إن وزارة الخارجية الأمريكية أفرجت عن مبلغ مليون دولار تكفي لإعادة تأهيل المبنى بحلول أبريل/نيسان المقبل.

وقد أسفرت عملية نهب المتحف عن توجيه عدة انتقادات إلى الولايات المتحدة.

وكان المتحف مقفلاً خلال معظم الأعوام العشرين الأخيرة، وخصوصًا في أثناء الحرب مع إيران «١٩٨٠ ـ ١٩٨٨م»، وحرب الخليج «١٩٩٠م»، وقد توجه ٢٠ من علماء الآثار إلى الولايات المتحدة في رحلة للدراسة، في حين يتلقى ١٥ عالمًا تدريبًا في فرنسا، وثلاثة منهم في بريطانيا.



مؤسسة الدراسات الفلسطينية في خطر

أطلقت «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» صيحة استغاثة، ووجهت نداءً على لسان المسؤول الإعلامي للمؤسسة صقر أبوفخر لكل القادرين على إعانتها لتنهض من جديد، وتستعيد دورها العلمي الذي ظلت تمارسه مدة أربعين عامًا.

ومؤسسة الدراسات الفلسطينية هي مؤسسة لبنانية، أنشئت عام ١٩٦٣م بجهود رجالات سوريين ولبنانيين وفلسطينيين، وكان الهدف منها دراسة إسرائيل بطريقة علمية دقيقة، بعيدًا عن الغوغائية والتعبئة الحماسية والروح التحريضية، مبنية على أسس قواعد صارمة في البحث العلمي، وأنجزت المؤسسة الكثير من الدراسات، ونشرت أكثر من ٦٠٠ كتاب بعدة لغات، وكان لها دور إعلامي عربي كبير في الخارج من خلال مكاتبها في لندن وواشنطن وباريس، بالإضافة إلى مكتب القدس.

وتوجه المؤسسة كل جهدها للباحثين الأجانب والجامعات والنخب الفكرية في العالم، وتصدر أربع مجلات علمية: اثنتان منها باللغة العربية، وواحدة بالإنجليزية، والأخرى بالفرنسية، ولها عدد من المشروعات منها: «سلسلة الوثائق العربية الفلسطينية»، و«سلسلة الكتاب السنوي الفلسطيني»، و«سلسلة ترجمة المصادر الصهيونية من العبرية إلى العربية»، بالإضافة إلى تعليم اللغة العبرية. وتملك المؤسسة كذلك مكتبة متخصصة في القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، تضم نحو ٦٠ ألف كتاب في مختلف اللغات على رأسها اللغة العربية، إضافة إلى الصور والأوراق الخاصة، والوثائق.

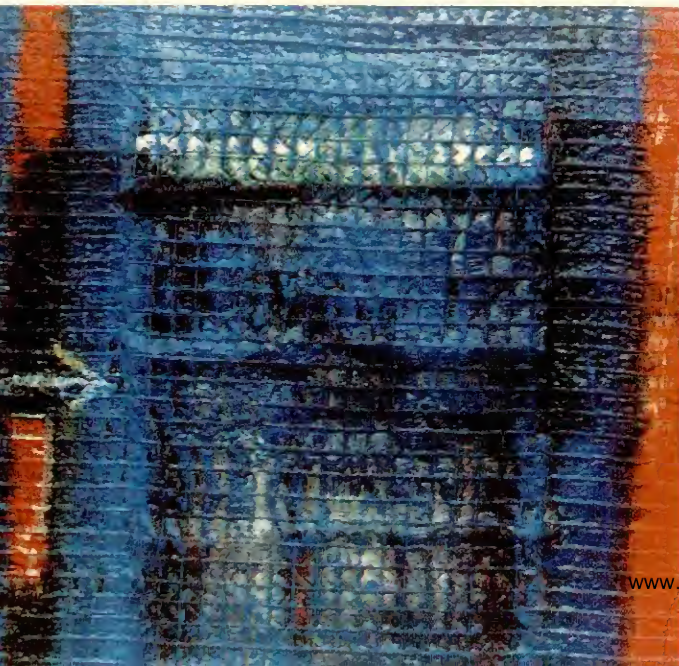
وتعد مؤسسة الدراسات الفلسطينية المؤسسة العربية الوحيدة المستقلة التي تدرس القضية الفلسطينية بطريقة ممنهجة ومنظمة، فإذا توقفت هذه المؤسسة عن العمل فسوف يتوقف التوثيق لقضية يعدها العرب قضيتهم المحورية الأولى، كما يقول المسؤول الإعلامي في المؤسسة صقر أبوفخر. ويضيف: «نحن في مرحلة الخطر أو الخطر الشديد؛ لأن وضع المؤسسة بات بحاجة إلى عملية جراحية، وكل إجراء لتخفيض الأعباء سينعكس حتمًا على فاعلية المهمات التي نودّ تأديتها على أحسن وجه».

مناخات أخرى

افتتح الأستاذ عبدالهادي العجمي الأمين العام المساعد للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت المعرض الشخصي للفنان التشكيلي السعودي عبدالرحمن إبراهيم السليمان «مناخات أخرى» في قاعة الفنون بضاحية عبدالله السالم، واستمر في الفترة من ٢ إلى ١١ مارس/آذار الماضي، وحضر حفل الافتتاح عدد من السفراء العرب والأجانب بدولة الكويت، وعدد من المسؤولين والإعلاميين والفنانين والمهتمين، وتضمن المعرض ثلاثةً وأربعين عملاً فنيًا تمثل تجارب الفنان علي مجموعة خامات وتلوينات. بينها ألوان الزيت والإكريلك ووسائط وخامات مختلفة.

وسبق للفنان أن أقام معارضه الشخصية منذ عام ١٩٨٣م في الدمام والرياض وجدة والخبر والشارقة والقاهرة ومدينة طنجة بالمملكة المغربية وعدد من دول العالم، وحصل على عدد من الجوائز الفنية داخل المملكة وخارجها، وتقتني أعماله عدة جهات حكومية وأهلية.

خامات مختلفة وألوان زيتية



الفراعنة السود

تمكن فريق أثري مشترك من علماء آثار فرنسيين وسويسريين يعمل في منطقة كرمة جنوب الشلال الثالث في شمال السودان، من اكتشاف تماثيل فراعنة حكموا السودان قبل نحو ٢٦٠٠ عام، من بينهم فراعنة سود.

وجاء في بيان للفريق الأثري، الذي يضم أثريين من جامعة جنيف برئاسة شارل بونيه وعالم الآثار الفرنسي دومنيك فالابيل: أن التماثيل التي تم اكتشافها تعود إلى الملكين تهراقا وأنوبامون آخر الفراعنة السود، وإلى الملكين سينكاميسكين وأسبيلينا اللذين عاشا في القرن السادس قبل الميلاد

جائزة نادال لأنتونيو سولير

فاز الكاتب الإسباني أنتونيو سولير مؤخرًا بجائزة نادال للرواية التي تعد أرفع جائزة أدبية في إسبانيا، عن روايته «درب الإنجليز»، بحسب ما أعلن منظمو الجائزة في برشلونة.

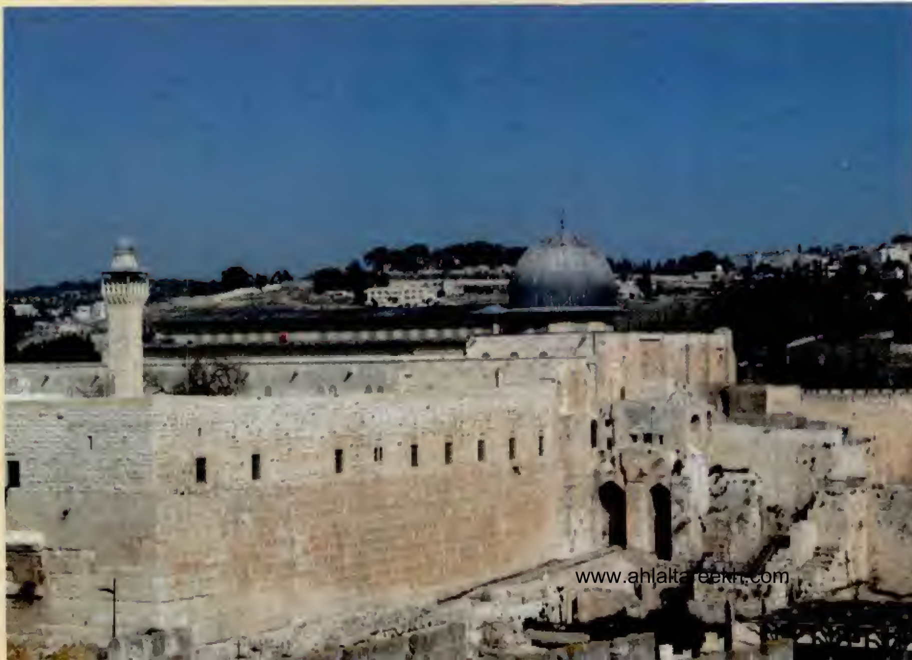
وكان أنتونيو سولير الذي ولد في مدينة ملقة الإسبانية عام ١٩٦٥م قد سبق له الفوز بعدد من الجوائز الأدبية، كما ترجمت بعض رواياته إلى عدد من اللغات الأجنبية.

المسجد الأقصى وقبة الصخرة

تكفل رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بترميم سقف مسجد قبة الصخرة على نفقته الخاصة، وكان السقف قد تضرر بعد الهزة الأرضية التي ضربت مدينة القدس مؤخرًا، بالإضافة إلى تقادم سقف القبة الرخامي، وصدرت التعليمات إلى الجهات المختصة بالإسراع في تنفيذ مشروع الترميم والتنسيق مع جهات الاختصاص المشرفة على المسجد الأقصى المبارك والأماكن المقدسة في مدينة القدس، لإنجاز المشروع بالصورة التي تليق بمكانة المسجد الدينية والتاريخية.

من جهة أخرى ،أعلن وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني أحمد هليل أن فريقًا أردنيًا سيقوم بصيانة الجدار الشرقي للمسجد الأقصى وترميمه بالكامل، والطريق المؤدي إلى باب المغاربة في المسجد الذي تسببت الحفريات الإسرائيلية في هدم جزء منه، وكانت السلطات الإسرائيلية، التي تستحوذ على مفاتيح باب المغاربة منذ عام ١٩٦٧م، تسمح بدخول المتطرفين اليهود من هذا الباب إلى المسجد الأقصى المبارك، وقد وقع الانهيار في الجزء الخارجي للسور المحاذي لباب المغاربة المطل على ساحة حائط البراق.

وقد طالب عدد من النواب الأردنيين في مذكرة رفعوها إلى الحكومة بالتدخل مع الدول العربية والصديقة لمنع هذه الانتهاكات المستمرة من جانب إسرائيل للأماكن الإسلامية المقدسة.





هيمنغواي يتوسط

اتفقت كوبا مع إحدى المؤسسات الأمريكية على تبادل معلومات موجودة في كتب ووثائق الكاتب الأمريكي إرنست هيمنغواي الذي عاش في كوبا مدة عشرين عامًا. وتوصل إلى الاتفاق كل من مارتن بترسون المشارك في رئاسة مؤسسة



هيمنغواي ومقرها ولاية إيداهو الأمريكية مع مسؤولين كوبيين في فينسا فيغيا، وهي الضيعة التي تقع على أطراف هافانا التي عاش فيها هيمنغواي في الفترة من عام١٩٤٠م إلى عام ١٩٦٠م. وكان الكاتب الروائي، الذي سبق له الفوز بجائزة نوبل للأدب، قد انتحر في منزله في كتشم بولاية إيداهو عام ١٩٦١م.

ووقع السناتور الجمهوري لاري كريغ، وعضو مجلس النواب عن الحزب الجمهوري مذكرة تفاهم تلتزم بمقتضاها الحكومة الكوبية شراء منتجات زراعية لا تقل قيمتها عن عشرة ملايين دولار، من ضمنها خمسة آلاف طن من البطاطس وعشرة آلاف طن من الفول.

وقال السناتور كريغ الذي شارك العام الماضي في رعاية حملة لإنهاء القيود المفروضة على سفر الأمريكيين إلى كوبا: إنه حان الوقت لفتح صفحة جديدة في العلاقات مع هافانا.

وعلى الرغم من الخطر الأمريكي على السفر إلى كوبا إلا أن المزيد من الأمريكيين أخذوا يسافرون إليها في الآونة الأخيرة ويزورون الضيعة التي كتب فيها الروائي الراحل رائعته «العجوز والبحر» عن صراع عبثي بين صياد وسمكة ضخمة.

وبعد أربعة عقود من العداء للولايات المتحدة، فتحت الحكومة الكوبية العام الماضي منزل هيمنغواي وقبوًا مملوءًا بالوثائق أمام دارسين أمريكيين، وسمحت بمشروع ترميم المنزل بتمويل أمريكي.

جائزة الشارقة للإبداع العربي

أعلن الشيخ عصام القاسمي رئيس دائرة الثقافة والإعلام في ١٧ فبراير/ شباط الماضي نتائج الدورة السابعة لجائزة الشارقة للإبداع العربي الإصدار الأول التي يرعاها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة.

وقد بلغ عدد المشاركات ٤٦٨ مشاركة من ١٩ بلدًا عربيًا، وجاءت نتائج المسابقة كالآتي:

ففي مجال الشعر فاز بالجائزة الأولى قصي فهمي الشيخ إسماعيل من الأردن، عن مجموعته «إخوة الظل»، وفازت بالجائزة الثانية عبير سيد حسين سلامة، من مصر عن مجموعتها «القبيلة التي بيننا»، وفاز بالجائزة الثالثة عدنان محمد المقداد من سورية عن مجموعته «نوايا الوعل».

وفي مجال القصة القصيرة، فاز بالجائزة الأولى منصور محمد العتيق من السعودية عن مجموعته «آخر الأخبار السيئة»، وفاز بالجائزة الثانية عاطف إبراهيم صقر من سورية عن مجموعته «الترقية»، وفاز بالجائزة الثالثة مناصفة فاطمة الكعبي من الإمارات عن مجموعتها «مواء امرأة» وغالية خوجة من سورية عن مجموعتها «مشيمة السديم».

وفي مجال الرواية، فاز بالجائزة الأولى عبدالله علي الغزال من ليبيا عن روايته «التابوت»، وفازت بالجائزة الثانية أمل ناصر بن فهد الدوسري من السعودية عن روايتها «روحها الموشومة به»، وفاز بالجائزة الثالثة محمد محمود

صالح من مصر عن روايته «موت وردة».

وفي مجال المسرح، فاز بالجائزة الأولى سيد أحمد محمد الطيب عبدالقادر من مصر عن مسرحيته «بائعة الصبر»، وفاز بالجائزة الثانية محمود محمد كحيلة من مصر عن مسرحيته «سعيد في زمن العبيد»، وفاز بالجائزة الثالثة موسى جعفر أحمد أبو عبدالله من السعودية عن مسرحيته «رؤية».

وفي مجال أدب الأطفال، فازت بالجائزة الأولى نعمى أنيس إبراهيم من سورية عن قصتها «جدي يا جبل»، وفاز بالجائزة الثانية محمود محمد قرانيا من سورية عن قصته «عقد اللؤلؤ»، وفاز بالجائزة الثالثة هشام محمد السيد علواني من مصر عن قصته «حكاية طائر النوم».

وفي مجال النقد الأدبي، فازت بالجائزة الأولى نهى أحمد أبو سديرة من مصر عن دراستها «الاقتلاع من المكان: دراسات في دلالات المكان وتشكله في الرواية العربية»، وفاز بالجائزة الثانية محمد مصطفى علي حسانين من مصر عن دراسته «استعادة المكان: دراسة في آليات السرد والتأويل»، وفاز بالجائزة الثالثة: محمد زنون الصائغ من العراق عن دراسته «ثنائية المكان: الاغتراب في أدب يحيى الطاهر عبدالله».

الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي





أمل جراح

وفاة الشاعرة السورية أمل جراح

توفيت في بيروت مساء يوم الجمعة السادس من فبراير/ شباط الماضي الشاعرة السورية أمل جراح عن عمر يناهز ٥٩ عامًا بعد صراع طويل مع المرض طبع حياتها وأدبها.

والشاعرة من مواليد بلدة مرجعيون في جنوب لبنان لأسرة دمشقية مهاجرة، واقترنت بالروائي والقصاص السوري ياسين رفاعية، وأقاما في بيروت منذ عام ١٩٦٨م، ثم انتقلا خلال الحرب الأهلية التي عصفت بلبنان على مدى ٢٥ عامًا وانتهت في عام ١٩٩٠م، إلى لندن للإقامة فيها ثم عادا لاحقًا إلى بيروت.

كتبت الشعر باكرًا، ثم احترفته بدءًا من منتصف الستينيات، ولها أربع مجموعات شعرية: «رسائل امرأة دمشقية إلى فدائي فلسطيني»، و«صباح عندليب في غابة»، و«صفصافة تكتب اسمها»، و«امرأة من شمع وشمس». وطرقت باب الرواية أيضًا من خلال رواية «خذني بين ذراعيك» التي نالت عنها جائزة مجلة الحسناء عام ١٩٦٧م. ويصدر لها قريبًا كتاب بعنوان «بكاء كأنه البحر».

يتميز شعر أمل جراح بأنه إنساني، ويشكل بطاقة دعوة إلى الحب، ولكنه لم يخل من هاجس الموت الذي انتظرته حتى في قصائدها على أثر صراع طويل مع المرض والجراحات المتتالية بين أمريكا ولندن وبيروت.

أطلس العالم الإسلامي

حضر الرئيس البوسني سليمان تيهيتش، ورئيس علماء البوسنة الدكتور مصطفى تسيريتش، ووزير الثقافة غرادومير غويير، وعدد من أساتذة الجامعات والكُتّاب والصحافيين والطلبة مؤخرًا الاحتفالية التي أقامتها المشيخة الإسلامية بالبوسنة والهرسك بمناسبة إصدارها الضخم «أطلس العالم الإسلامي»، الذي يعدّ أهمّ الإصدارات في البوسنة والهرسك على مدى تاريخها الطويل والبالغ ألف عام. وقد شارك في إعداد هذا الأطلس نحو ٣٠ باحثًا وباحثة مدة عامين ونصف العام، وطبع منه نحو ٢٥٠٠ نسخة بتكلفة بلغت ١٥٩ ألف يورو، وحدد ٧٠ يورو لبيع النسخة الواحدة.

ويقع الأطلس في خمسة أجزاء، يتناول الجزء الأول جميع الدول الإسلامية التي يمثل المسلمون فيها الأغلبية، ويقدم في الجزء الثاني الأقليات المسلمة، وخصص الجزء الثالث لتقديم المجموعات الإسلامية مثل المسلمين في أستراليا وأمريكا الشمالية والجنوبية، وأوربا الغربية، واشتمل الجزء الرابع على الخرائط التي تبرز التطور التاريخي للعالم الإسلامي، إضافة إلى الموارد الاقتصادية، والحروب، والكثافة السكانية، والتقاليد، وغيرها.

أما الجزء الخامس فهو ملحق يضم عددًا من الدراسات التي قام بها ٤ من الباحثين الأكاديميين عن أهم الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي، والتأثيرات الاقتصادية والدينية، والعلاقات السياسية، والوضع الإستراتيجي للعالم الإسلامي.

وقال الدكتور مصطفى تيسريتش - رئيس العلماء، ورئيس المشيخة الإسلامية في البوسنة: إن هذا الأطلس يهدف إلى: «إقامة ثورة معرفية ومعلوماتية في الأوساط الطلابية والأساتذة، وفي الأوساط البلقانية من خلال نشر المعلومات الصحيحة عن العالم الإسلامي. ومواطن قوته، ومظاهر ضعفه، ولتغيير الصورة النمطية السائدة عن العالم الإسلامي بصورة موضوعية».

ووصفت الباحثة البوسنية زهرة صباهيتش، التي ساهمت في إعداد المعلومات عن عدد من الدول الإفريقية، هذا الأطلس بأنه: «يتميز عن غيره بأشياء كثيرة جدًا، من بينها التعمق في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية للبلدان التي شملها الأطلس». وقال الدكتور أنس كاريتش: «هذا ليس مجرد أطلس جغرافي. بل هو موسوعة عن العالم الإسلامي، لا غنى عنها للباحثين والطلبة ورجال الأعمال والزوار وغيرهم».

مسقط عاصمة للثقافة العربية

أعلن هيثم بن طارق آل سعيد وزير التراث والثقافة في سلطنة عمان أن بلاده قد أكملت استعدادها لإقامة مهرجان مسقط، بوصفها عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٦م. وكشف الوزير أن لجانًا على مستوى الوزراء والوكلاء ولجانًا فنية أخرى، تعمل منذ سنتين لتنظيم هذا الحدث «بما يليق بتاريخ عمان».

وأضاف الوزير: «لكل دولة خصوصيتها، وسنحاول في تلك السنة أن نبرز مسقط عاصمة للثقافة، وستكون سنة حافلة وملأى بالأنشطة الثقافية»، وأكد أن وزارة التراث والثقافة ستنفذ عددًا من البرامج خلال هذا العام.

إعلان جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج

أعلن مكتب التربية العربي لدول الخليج عن فتح باب الترشيح لجائزة المكتب للبحوث التربوية لعامي ١٤٢٤ و ١٤٢٥هـ (٢٠٠٣ و ٢٠٠٤م)، ابتداءً من شهر رمضان ١٤٢٤هـ (الموافق شهر نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٣م)، حتى يوم الثلاثاء ٣٠ شعبان

١٤٢٥هـ (الموافق ١٤ أكتوبر ٢٠٠٤م)، في المجالات الآتية:

أولاً: موضوعات الجائزة:

- توظيف تقنية المعلومات والاتصالات لتطوير التعليم.
- مناهج التعليم العام في الدول الأعضاء بين الواقع والطموح.
- الجودة الشاملة في التعليم.
- المشاركة المجتمعية في التعليم.

ثانيًا: شروط التقدم للجائزة:

- أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء في المكتب وهي: دولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، والجمهورية اليمنية، ودولة الكويت، والمملكة العربية السعودية، وسلطنة عمان، ودولة قطر.
- ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية.
- يمكن قبول العمل المشترك من قبل مجموعة مؤلفين إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء في المكتب.
- أن يمثل البحث المقدم نظرية تعليمية تربوية، أو إسهامًا مبتكرًا في مجال البحث التربوي، أو تحقيقًا علميًا مكتوبًا باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي.
- في حالة تقديم بحث منشور بغير اللغة العربية يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.
- أن يكون البحث المقدم ملتزمًا المنهج العلمي.
- تقبل الكتب المترجمة المتميزة التي تخدم الثقافة والتربية والتعليم في الدول الأعضاء ولم تتجاوز طبعتها الأولى في اللغة الأصلية خمس سنوات.

إجراءات التقدم للجائزة:

أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بما يأتي:

- عشر نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، ولا يعاد الإنتاج سواء فاز المرشح أو لم يفز، وبالنسبة إلى الإنتاج المترجم يرفق معه نسخة من الأصل المترجم عنه.
- بيان تفصيلي عن حياة المرشح العلمية والشخصية ومؤلفاته المنشورة.
- ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.
- العنوان البريدي للمرشح ورقم هاتفه والبريد الإلكتروني إن وجد.

توجه الطلبات إلى: المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج، ص.ب: ٩٤٦٩٣ ـ الرياض: ١١٦١٤ ـ المملكة العربية السعودية.

W W W.abegs.org

E-mail: abegs@abegs.org

سرقة لوحة للرسام الفرنسي سيزان

تحقق الشرطة الأسترالية في معلومات تحدثت عن سرقة لوحة قد تكون للرسام الانطباعي الفرنسي بول سيزان مع عشرين لوحة أخرى في شرق أستراليا تبلغ قيمتها الإجمالية ٦٧ مليون دولار. ويظهر في لوحة سيزان، التي رسمت في عام ١٨٧٣م، ابن الرسام جالسًا على كرسي، ويمكن أن تبلغ قيمتها خمسين مليون دولار.

لكن خبراء شككوا في اللوحة المنسوبة إلى سيزان، مؤكدين أنهم ليسوا على علم بوجود رسم كهذا للرسام الفرنسي.

وقال متحدث باسم متحف فكتوريا الوطني: إن المتحف لا علم له بوجود هذه اللوحة. وصرح الخبير في تاريخ الفن لاكيبلاك أنه لا يعرف شيئًا عن هذه اللوحة.

وقالت الشرطة إن مرمم اللوحات جون أوبيت اكتشف أن أعمالاً فنية سرقت من مرسمه في مقاطعة نيوويلز الجنوبية.

وقال أحد المحققين: إن نظام الإنذار أوقف عن العمل عند وقوع السرقة مما يدل على أن اللصوص محترفون.





العبودي، محمد بن ناصر/ كلمات قضت: معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ، (٢مج).

يحوي هذا المعجم مجموعة مختارة من الكلمات التي انقضى استعمالها في وسط الجزيرة العربية مشفوعة بما يدل عليها من شواهد شعرية محلية وأمثال شعبية، وشيء مما يروى بشأنها من وقائع وقصص وحكايات، وعلى الرغم من أن مادة المعجم قد استقيت من وسط الجزيرة العربية عامة، إلا أن هذا لا يعني أن مادته مقصورة على أصل هذه المنطقة بل تتعداها إلى مناطق أخرى من الجزيرة العربية وخارجها.

وأشار الناشر أن الكتاب لا يعد دعوة لنشر العامية والاحتفاء بها في مقابل اللغة الفصحى، إنما هو بمنزلة جانب من جوانب خدمة العربية الفصحى، ذلك أنه يرجع الألفاظ الدارجة إلى أصولها الفصيحة، لذا فإن فوائد هذا الكتاب ومنافعه متعددة، فيمكن أن يكون مرجعًا في اللغويات أو اللهجات، كما يساعد الباحثين على تحديد المدة التي عاشتها تلك الألفاظ أو بعضها في جزيرة العرب، إلى جانب أنه سيكون مهمًا للمشتغلين بقراءة النصوص التقليدية إلى تفسير بعض الألفاظ وفهمها، ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه الشيخ العبودي له جهود ضخمة في حفظ تراث العرب والمسلمين مثل كتاب «معجم الألفاظ العامية»، وكتاب «الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة»، وكتاب «تكملة المعجم اللغوي»، أو «معجم ما ليس في المعجم»، و«الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة». إضافة إلى جهوده في مجال الرحلات، إذ يعد عميد الرحالين العرب في العصر الحديث، كذلك جهوده في مجال الدعوة.

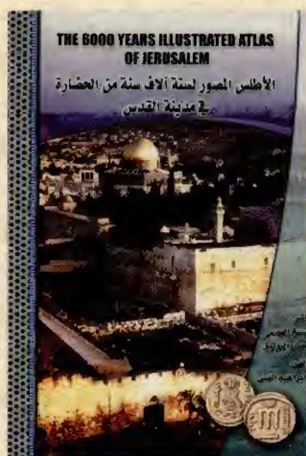


سيمونز، جيف/ عراق المستقبل: السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، ترجمة: سعيد العظم. بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤م، ٤٨٧ص.

ما المضاعفات والمعاني الضمنية لاحتلال العراق بالنسبة إلى دول المنطقة ككل؟ وماذا تريد الولايات المتحدة حقًا؟ وكيف سترد دول الشرق الأوسط؟ وماذا ينتظر العراق والعالم العربي بعد سقوط نظام صدام؟

يتمعن الكتاب في مراكز القوة المختلفة في المنطقة: في العراق ودول مهمة أخرى (تركيا، إيران، سورية، إسرائيل/فلسطين، منطقة الخليج)، ويبحث في مصير هذه الدول في الأجندة الأمريكية لإعادة تشكيل الشرق الأوسط، وكيف ستستجيب لسلم تفصّله أمريكا وتفرضه بقوتها؟ وما ردود الفعل التي سيستثيرها الوجود الأمريكي الجديد لدى الإسلاميين والإسلام السياسي؟ وما الدور الذي يلعبه النفط في المعادلة كلها؟، كما يسأل عن سبب تغييب الأمم المتحدة، وماذا يمكن لها أن تأمل في تحقيقه الآن؟ وما الدلالة التي يجب استخلاصها من استمرار توسع الهيمنة الأمريكية في العالم؟. كل هذه الأسئلة وأخرى يجيب عنها الكتاب من خلال رؤية مستقبلية لما ستؤول إليه الأحداث بعد احتلال العراق.

يشار إلى أن المؤلف خبير في قضايا الشرق الأوسط، وإيران، والخليج، له مؤلفات عدة منها: «استهداف العراق: العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية»، و«ليبيا: صراع البقاء»، و«جلد العراق: العقوبات القانونية والعدالة الطبيعية»، وقد ترجمت كتبه إلى حوالي اثنتي عشرة لغة.



الفني، إبراهيم/ الأطلس المصور لستة آلاف سنة من الحضارة في مدينة القدس - القدس: مؤسسة القدس للبحث والتوثيق، ودار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ٤٤٨ص.

إن فكرة إصدار أطلس علمي تاريخي، أثري، ديني، حضاري عن القدس تعد فكرة غير مسبوقة في المنشورات العربية، إذ تحتل القدس مكانة مهمة عند المسلمين، وهي جوهر الصراع مع المحتل الصهيوني، وقد حاولت الدراسات الإسرائيلية التلفيق والادعاء بأنها مدينة الهيكل الأول والثاني، ولكن هذا الأمر لا يسنده دليل علمي أو أثري يسوغ هذه التسميات، كما قامت إسرائيل بنشر عدد غير قليل من الوثائق التي ترسخ الأرض المقدسة يهوديًا، وتطرحها بعمق حضاري عمره ثلاثة آلاف سنة مستثنية كل ما سبق ذلك لتثبت أن القدس هي مدينة داود، بناءً على هذه الحيثيات كان هذا الأطلس.

وهذا الأطلس يغوص في ٢١ طبقة حضارية تعرف القدس بإنها مدينة عمرها ٦ آلاف سنة، في تسلسل تاريخي، بدأ بتعريف بطبوغرافية مدينة القدس، وتاريخها القديم، واستعراض ما أنجزته الدراسات الأثرية في القدس، والقدس عبر العصور القديمة، والقدس من ١٠٠٠ق.م حتى ٨٦ ق.م، والقدس بين عامي ٥٢٨ ق.م و ٧٠م، والقدس في العصر الهيرودي من ٦٣ ق.م - ٧٠ م، والقدس في عهد المسيح، والقدس في ظل الحكم الروماني من عام ٦٣ ق.م - ١٣١م، وإيليا كابتولينا (القدس الكبرى) في عهد الإمبراطور هادريان (١٣١ - ٣٢٦م)، والقدس في العصر البيزنطي (٣٢٦ - ٦٣٨م)، والقدس من الفتح الإسلامي حتى الاحتلال الصليبي (٦٣٨ - ١٠٩٩م)، والعصر الصليبي في القدس (١٠٩٩ - ١١٨٧م)، والعصر الأيوبي في القدس (١١٨٧ - ١٢٥٠م)، والقدس في العصر المملوكي (١٢٥٠ - ١٥١٧م)، والقدس من العهد العثماني إلى العصر الحديث (١٥١٦ - ١٩٦٧م).



برشر، جيريمي وكستيلو، تيم وسميث، برندان/ العولمة من تحت: قوة التضامن، تعريب: أسعد كامل الياس - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣٣٦ص.

الشركات والأسواق والمستثمرون والأفراد من النخب كلهم (يتعولمون)، والعولمة كثيراً ما يحتفي بها علماء الاقتصاد، والحكماء، ومديرو الشركات، وقادة أمم العالم، هي في الواقع «عولمتهم من أعلى» وينبغي أن نتصدى - يقول المؤلفون - لهذه العولمة «العولمة من تحت» التي يتواصل من خلالها الناس الذين يشكلون أساس المجتمع الريفي في جميع أنحاء العالم لتحسين احتياجاتهم ومصالحهم الخاصة في مجرى العولمة.

يهدف هذا الكتاب إلى الإسهام في انبثاق هذه الحركة على نطاق عالمي، يغير من أحوال العمل البشري، ويفتح إمكانات جديدة لمعالجة مشكلات الفقر، والقهر، والحرب، وتدمير البيئة، ويركز في الحركات المتعددة القوميات والمتعددة القضايا التي أخذت تنبثق عند نهاية الألفية ردًا على العولمة من فوق.

يضم هذا الكتاب عشرة فصول رئيسة: أولها: فصل «العولمة وشبحها» وهو يقدم عرضًا مقتضبًا للعولمة من فوق، والمشكلات التي تسببها للبشر والبيئة، الثاني: فصل «قوة الحركات الاجتماعية وشرها» ويبحث في طبيعة هذه الحركات ليكتشف كيف تستطيع حركة على غرار

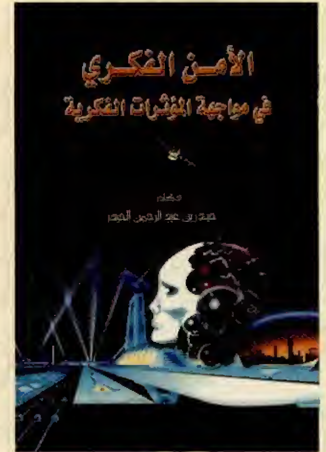


العـولمة من تحت أن تؤثر على غـرار العـولمة من فـوق، ويبـحث في كـيـفـيـة نـشـوء الحـركـات الاجتماعيـة، وارتبـاطها بـالفـئـات اليـائسـة، وكيفيـة تغيـير عـلاقـات القـوة، وكذلك الأفـخاخ التي تواجـهـها، ويلقـي الفـصل الثـالث: نظرة على العـلاقـة بين العـولمة من فـوق والسـلطة الحكوميـة، وينظر الفـصل الرابع: «التـناقـضات ضـمن الحـركـة» في كيفيـة تمكن حركـة العولمة من تحت من التعامل مع تناقضاتها، ويلقي الفصل الخـامس نظرة على الرؤية المشتركة الناشئة من العولمة من تحت، ويبـحث في تشكل برنامـج قابل للتطبيق، وكيفـيـة تكوينه، ويقـدم الفـصل الـسـادس صيـغـة واحـدة ممكنـة لبرنامج مشـترك ناشئ للعولمة من تحت، ويتـفحص الفـصل السـابع نشوء شـبكات الحركة الاجتماعية التعاقدية، ومنظمة العمل المستندة إلى جماعات الولاء، وأماكن قوتها ونقاط ضـعـفـهـا، ويـسـتـكـشـف الفـصل الـثـامن كيفيـة العـلاقـة التي يجب أن تقـوم بين العـولمة من تحت وحلفـائهـا وعـامـة النـاس، وحق معـاداة العـولمة والسيـاسـات الانـتـخـابيـة والنزعـة الإقليـميـة، ويلقـي الفصل الأخـيـر «أصلحوا الأمر وإلا فسنخـربها» نظرة على التفـاعل بين مـبـادئ الحـركـة واسـتـجـابة النخبـة، مبينًـا كيف يمكن استـخدام المراهنة على النـاس في التـغـيـيـر الاجـتـمـاعي، ويخـتـتم الكتـاب بإبراز الأهمية التاريخية لحركة العولمة من تحت.

الحـيـدر، حـيـدر بن عـبـدالرحـمن / الأمـن الفـكري في مـواجـهـة المؤثـرات الفـكريـة ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٥٦٦ص.

الفكر نتاج العقل ـ بحسب قـول المؤلف ـ وهو ركيزة مهـمـة وأساسـيـة في حياة الأمم والشـعـوب، وبرهـان على حيويتها وتقدمها وحضارتها، والأمة التي يتماسك بناؤها الاجتماعي، ويسـود في حياتها الاجتماعية الضبط الاجتماعي، هي الأمة التي يتمسك أبناؤها بالعقيدة الراسخة في أقوالهم وأفعالهم، وتحكم سلوك أبنائها القيم والعادات والمعايير الاجتماعية التي تعمل في نسق ونسيج متماسك من الاتجاهات التي تتوحد في إطار متكامل متماسكين، يتمثل نتاجه في وحدة الفكر التي تجمع أبناء هذه الأمة.

ويعدّ الأمن الفكري ـ من وجهة نظر الكاتب ـ ضـرورة فـردية وجمـاعيـة في الحيـاة الاجتـمـاعيـة ـ حتى لا تتشتت الاتجاهات الاجتماعية إلى ما يضر ولا ينفع، وحتى يتحقق الأمن النفسي على مستوى الفرد والجماعة، وحفاظًا للنظام من بلبلة الفكر وتشتته، والتزام الأفراد والجماعات القيم والعادات والمعايير السلوكية.



يتناول هذا الكتـاب ضـمن إطار مـعـرفي إسـلامي مـوضـوع «الأمن الفـكري في مـواجـهـة المؤثرات الفكرية» وذلك في بابين رئيسين ومقدمة عن الفكر والحرية الفكرية تبحث في العقل والنشاط الفكري، ومقومات الحرية الفكرية في الهدي الإسلامي.

ويتناول البـاب الأول المؤثرات الفكرية موضحًـا المفاهيم والاصطلاحـات الخـاصـة بالاتجـاهـات الفكريـة الوافـدة وأشـكالـهـا، ووسـائلـهـا، وأهدافـهـا، كـمـا يتطرق إلى الغلو في الـدين بوصـفـه من الاتجاهات الفكرية معرفًا مفاهيم الغلو والمفاهيم ذات الصلة، وأنماط السلوك البشري والغلو، والأسـبـاب الرئيـسـة للغلو في الدين، ومنهج الإسـلام في الوسطيـة، ومظاهر الغلو في الدين في العصـر الحـاضـر المتمثلة في التكفـيـر، والعنف والإرهـاب وأسـبـابهـا، ويتـناول البـاب الثـاني مـفـهـوم الأمن الفكري ويبحث في عقيدة الإسلام وقيمه ومردود الأمن، وأهمية الأمن الفكري، والأجهزة

الأمنية ودورها في تحقيق الأمن الفكري من خلال مقومات رجل الأمن وإسهام أجهزة الأمن في الوقاية من الجريمة والانحراف، كما يوضح هذا الباب دورالإيمان، والتربية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسمع والطاعة لأولي الأمر، ووسائل الإعلام في تحقيق الأمن الفكري.



البداينة، ذياب/ الأمن وحرب المعلومات ـ عمان: دار الشروق ، ٢٠٠٢م، ٤٩٠ص.

في المجتمع المعلوماتي، تحول العالم إلى بيت عنكبوت غير منظم الروابط، عالم الشبكات والصفر الواحد، موصول بطرق افتراضية وفضائية فائقة السرعة، عالم توحدت فيه البنى التحتية المعلوماتية على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية لتصبح بنية معلوماتية كونية، عصر وصلت التطورات الرئيسة في (الذرة، D.N.A ، والحاسب) إلى قمتها. عصر أصبح الخيال العلمي واقعًا. لا بل أصبح من الصعب أحيانًا التمييز بين الواقع والخيال والافتراض، عصر تغيرت فيه قواعد اللعب السياسية، عصر حروبه بلا جيوش، وبلا دماء، عصر استبدل فيه الرصاص بالبايتات، عصر تُشكل المعلومات الأساس الأهم فيه للأعمال، والأمن، ولكل شيء.

يتناول هذا الكتاب الأمن في المجتمع المعلوماتي، وخصائص مجتمع المعلومات، وحرب المعلومات، ويغطي مجالات كثيرة في هذا الموضوع.

ويتكون من أربعة أجزاء شملت سبعة عشر فصلاً، عني الجزء الأول بالأمن في المجتمع المعلوماتي، ويتكون من ثلاثة فصول، تناولت الأمن الوطني في المجتمع المعلوماتي والثغرات الجديدة، والتهديدات الأمنية المشتركة، وتشمل الثغرات المتعلقة بالاتصالات، والمعلومات، والطاقة، والمال، والبنوك، والخدمات الإنسانية الحيوية، ومعايير المجتمع المعلوماتي، وخصائصه (كالمعلوماتية، والتخيلية، والرقمنة، والتقنية، والفضائية، والاتصالات)، وتناول الجزء الثاني حرب المعلومات:التطور والنظرية، وخصص الجزء الثالث لحرب المعلومات الهجومية، بينما تناول الجزء الرابع حرب المعلومات الدفاعية.



الصديقي، سحر بنت عبدالرحمن مفتي/ أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلميـة بالمدينة المنورة ـ المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م،٥٢٣ص.

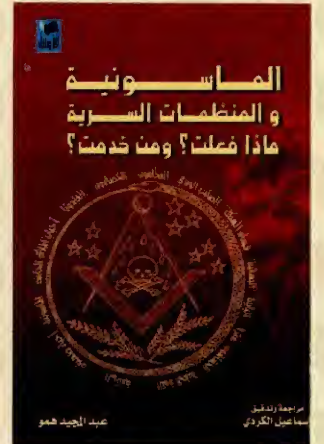
هذا الكتاب دراسة منهجية جادة لظاهرة كبيرة في حضارتنا الإسلامية بعامة، في عاصمتها الأولى المدينة المنورة بخاصة، وهي ظاهرة الوقف التعليمي الذي رعى العلم والعلماء على امتداد العصور الماضية، وهيَّأ لها أسباب النمو والعطاء، ففي وقت مبكر تنبه الميسورون والمحسنون إلى أهمية نشر العلم وتيسيره لطلابه، وضرورة توفير الظروف المعيشية المناسبة للعلماء:ليتفرغوا لعلمهم وطلابهم، فخصصوا قدرًا من أموالهم للإنفاق في هذا السبيل، وأنشؤوا المدارس، ووفروا احتياجاتها، وأوقفوها حبسًا مؤبدًا عليها، وعلى حلقات في المساجد تدرس علوم معينة ومذاهب محدودة.

تستعرض هذه الدراسة تاريخيًا تطور الوقف في العهد العثماني الذي أُتهم بأنه أحلك الفترات



في تاريخ الحضارة الإسلامية، ثم تنتقل إلى العهد السعودي الزاهر.
وقد اعتمدت الباحثة في دراستها على منهجين متتاليين: أولهما: المنهج الوصفي الوثائقي: وذلك بتتبع ووصف دور الوقف الإسلامي في الحياة العلمية والتعليمية في المدينة المنورة في العهد العثماني من سنة (٩٣٣هـ - ١٣٤٤هـ) وبعده من سنة (١٣٤٤ - ١٤٢٠هـ) وذلك من خلال الوثائق والمخطوطات، والتقارير، والبيانات المتوافرة. وثانيهما: المنهج الوصفي المسحي: وذلك من خلال استطلاع آراء عينة من الأفراد مجتمع البحث بصورة مباشرة، وقد اعتمدت الباحثة على عدد من مصادر المعلومات مثل: الكتب، والبحوث في الدوريات أو الندوات، وكذلك الإحصائيات الرسمية، كما اعتمدت على الصكوك، وتشمل صكوك مقتنيات المدارس والأنشطة، والمخطوطات، والتقارير، والخطابات، والمقابلات الشخصية، واختتمت الدراسة بنتائج وتوصيات، ومقترحات تمثلت في: تحقيق مخطوط «خبايا الزوايا من مكة والمدينة»، وإفراد دراسة للأربطة في العهد العثماني للتعرف إلى دور الحياة العلمية والتعليمية، وإفراد دراسة للمدارس في العهد العثماني للتعرف إلى دورها العلمي والتعليمي، وإفراد دراسة للمكتبات العامة والخاصة في العهد العثماني، وإفراد دراسة تعنى بحصر الأوقاف في المدينة حصرًا دقيقًا، وتقديم أساليب جديدة للاستثمار ومجالات جديدة لحسن استخدام تلك الأوقاف.

همو، عبدالمجيد/ الماسونية والمنظمات السرية ماذا فعلت؟ ومن خدمت؟، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي - دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ٥٢٨ص.



يرى المؤلف أن اليهود قد أقاموا جمعيات سرية في التاريخ حاربوا بواسطتها الأمم، والديانات الأخرى، فاليهودية منذ نشأتها في أرض بابل، قد قامت على الغدر والخيانة، وعلى حب الاستعلاء والسيطرة، مع العلم أنها في قمتها، كانت ولاية تحت سيطرة الفرس واليونان والرومان.
يضم هذا الكتاب قسمين: الأول: يناقش التنظيمات السرية على مر التاريخ، بدءًا من معابد طيبة، والقوة الخفية اليهودية، جماعة الآلهة ميترا وعبادتها، والغنوصية العرفانية، مرورًا بالحشاشين، والنورانيين، وبالبابية والبهائية، وانتهاءً بفرسان الهيكل، والغاردونا، وجماعة الصليب الوردي، والفحامين، وأحباب الملك الحارس، والخصائين في روسيا.
أما القسم الثاني، فخصص للماسونية وتفرعاتها، ونشأتها، ومن أين جاء اسمها؟، وأسماء ماسونية عالمية وعربية، واليمين التي يقسمها المنتسب إلى الماسونية. والامتحانات التي يخضع لها، وعلاقة الماسونية بالسياسة، والتجنيد لصالح اليهود، وعلاقة الماسونية بالقبالة وبالتلمود، ومحاربة الأديان، وعلاقة الماسونية بسقوط الإمبراطورية الروسية، وبالثورة الفرنسية، وإعادة اليهود إلى فلسطين، وبناء الهيكل، والماسونية والتنظيم والماسونية الرمزية، والمحافل الماسونية الأوربية، والأمريكية، والعربية، ومشاهير الماسون من الغرب والشرق، والماسونية وعلاقتها باللوثرية، والبيورتيانية في إنجلترا، وأحباء صهيون، وشهود يهوه، والدونمة، والاتحاد والترقي، والعلمانية، والاشتراكية العلمية، والاتحاد اليهودي الريفورم، وبلوتو، وأنوشيت، وترويدرست.



الهنداوي، حسن بن إبراهيم/ التعليم وإشكالية التنمية ـ الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م، ١٧٦ص، (كتاب الأمة؛ ٩٨).

يرى المؤلف «أن التعليم يمثل الأزمة الأم في العالم الإسلامي؛ وذلك لسببين: أولهما، أن الصلاح والفساد في الأرض مبنيان على صلاح وفساد الإنسان، والآخر، أن إصلاح الإنسان بتعليمه سوف يؤدي حتمًا إلى الخروج من الأزمات، ولذلك يجب الاعتناء بأمر التعليم وإعطائه الأولوية في الاهتمام بالنسبة إلى حاضر العالم الإسلامي؛ لأنه مدخل أساسي لتحقيق تنمية حضارية شاملة؛ ذلك أن الأزمات الأخرى تتبع للتعليم في حالة صلاحه أو فساده، فالعقيدة بلا علم ولا تعليم تقود إلى الوقوع في البدع والخرافات والشرك، والعقل بلا تعلم يصاب بنكسة فكرية وضعف معرفي، والمال بلا علم ولا تعلم يؤدي إلى ضياعه وفقدانه؛ لعدم توفر حسن سياسة ذلك المال نتيجة الجهل ونبذ التعليم. ومن ثم لا بد من الاهتمام بالعلم والتعليم بوصفه مدخلاً ضروريًا للتنمية. فالهدف الأساسي للتنمية هو تحسين حياة البشر، والازدياد من ذلك على حسب قدرات الناس وعزائم كل فرد، فالتنمية عملية حضارية تشمل مختلف أوجه النشاط في المجتمع.

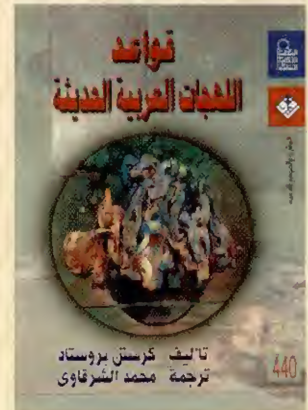
تضم هذه الدراسة فصلين: هما: «المعرفة مفتاح التنمية»، و«أثر التعليم في التنمية»يتطرق خلالهما المؤلف إلى مفهوم التنمية، وأثر التعليم في تنمية العالم الإسلامي، وتنمية التعليم بوصفه سبيلاً للنهوض الحضاري.



الببلاوي، حازم/ الاقتصاد العربي في عصر العولمة ـ أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م/٢٥١ص.

ينطلق هذا الكتاب من فكرة أساسية هي أنه إذا كان لا يمكن الحديث ـ في ظل المعطيات القائمة ومحدودية العلاقات الاقتصادية العربية البينية ـ عن الاقتصاد العربي بوصفه حقيقة اقتصادية مترابطة ومتفاعلة عضويًا لكيان اقتصادي متكامل، فإنه لا يمكن في الوقت ذاته إغفال أوجه الشبه وأسباب الترابط بين الاقتصادات العربية، فالقول بأنه لا يوجد اقتصاد عربي ككيان «قائم» لا يمنع من الاعتقاد في إمكان تحقق ذلك في المستقبل، فالاقتصاد العربي من هذه الناحية «كيان كامن».

يضم الكتاب ثلاثة فصول: الأول: عن الاقتصادات العربية، ويغلب عليه الجانب الوصفي، فهو سرد لأوضاع الاقتصادات العربية؛ وذلك لإرساء خلفية عامة عن أوضاع الاقتصادات العربية، والفصل الثاني يحاول أن يستخلص أهم الاتجاهات العالمية المعاصرة في الاقتصاد الدولي، ويهدف هذا الفصل إلى إعطاء صور وضعية عما يحدث في العالم، نتيجة التطورات التكنولوجية الحديثة، وأثرها في العلاقات الاقتصادية الدولية، أما الفصل الثالث فهو محاولة من الكاتب لإثارة عدد من القضايا التي تطرح نفسها على الدول العربية إزاء ما يحدث حولنا في العالم. وتتمثل تلك التحديات في ثلاثة تحديات: الاول يتعلق بمعالجة قضايا العرب على المستوى الإقليمي، والتحدي الثاني يناقش واحدة من أهم القضايا المتعلقة بإدارة موارد الاقتصاد العربي، والتحدي الثالث يطرح قضية أساسية هي المؤسسات والقيم.



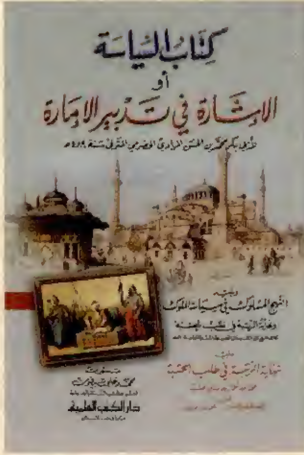
بروستاد، كرستن/ قواعد اللهجات العربية الحديثة، ترجمة: محمد الشرقاوي- القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م، ٣٢٨ص، (المشروع القومي للترجمة: ٤٤٠)

يهتم هذا الكتاب بدراسة اللهجات العربية؛ لأن علم اللهجات يعدّ فرعًا مهمًا من فروع علم اللغة. فقد استطاع علم اللهجات أن يطوّر مدارسه الخاصة وطرائق بحثه الأصيلة سواء من ناحية اجتماعية أو لغوية، كما أسهمت دراسات أجريت على المعجمات العربية إسهامًا مهمًا في نظرية الاختلاف بين الجنسين في المسائل الاجتماعية اللغوية، مثل دراسة هيري عام ١٩٩٦م، وكذلك أسهمت دراسات مشيرة عيد في تغيير النمط اللغوي والنحو، وكان لدراسات أجريت على اللهجات العربية تأثيرها في مجال نظرية علم اللغة العام، مثل ما قام به فرجسون عام ١٩٥٩م.

وتقارن هذه الدراسة بين أنماط من اللهجات العربية متباينة الموقع الجغرافي، وهي: المغرب، ومصر، وسورية، والكويت، وتهدف إلى أن تسهم في تطور الأساس النظري لعلم اللغة العربية عن طريق تطبيق منظور وظيفي على النحو يقدم كل من: البراجماتي، وتحليل الخطاب، والطبولوجيا الوظيفية أدوات مهمة من الناحية النظرية لاتزال بحاجة إلى التطبيق على دراسة اللهجات العربية، وفي الوقت نفسه تقدم للطبولوجيين وصفًا لنحو العاميات العربية.

تقع الفصول العشرة التي يحتويها الكتاب في ثلاثة تصنيفات أساسية هي: نحو الاسم، ونحو الفعل، وطبولوجيا الجملة.

و تستكشف الفصول الأربعة الأولى مختلف عناصر النحو الاسمي، إذ يبحث الفصل الأول في أدوات التعريف المختلفة التي تدخل على الاسم، ويستخدم الفصل الثاني هرمية الإفراد لتفسير بعض أنماط المطابقة في العدد عند الأسماء المجموعة في اللهجات العربية، ويقارن بين تركيب الإضافة ووظيفة أسماء الملكية أو صفات الملكية، ويبحث الفصل الثالث في تراكيب الوصل وإستراتيجياته في المناطق اللهجية الأربع، وينظر الفصل الرابع في الأدوار النحوية والخطابية لأسماء الإشارة والضمائر الأكثر تواردًا، وتناقش الفصول من الخامس إلى الثامن عدداً من عناصر الفعل النحوية، إذ يقدم الفصل الخامس عرضًا لتصنيفات الفعل، ويحدد الفصل السادس الجهة في اللهجات العربية مثل الجهة المعجمية، والجهة النحوية، ويبحث الفصل السابع في طبيعة الزمن الفعلي والإشارات الزمنية في العربية كلغة حديث، كما يظهر في المادة المجموعة من اللهجات العربية، ويقابل الفصل الثامن بين علامات الصيغة الصرفية في اللهجات محل الدراسة، ويدرس الفصلان الأخيران من الكتاب عناصر نحوية على مستوى الجملة، وإستراتيجيات صياغة المعلومات التي تتحكم في النفي وترتيبات الكلمات، ويدرس الفصل التاسع أنماط النفي في اللهجات العربية، ويناقش الفصل العاشر طيبولوجيا ترتيب الكلمات في اللهجات محل الدراسة.



الحضرمي، أبو بكر محمد بن الحسن المرادي/ كتاب السياسة أو الإثارة في تدبير الإمارة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣٩١ص.

يتضمن هذا الكتاب المحقق نصوصاً أخرى محققة تلي هذا التحقيق وهي: «النهج المسلوك في سياسة الملوك» و«نهاية الرتبة في طلب الحسبة» للشيخ عبدالرحمن ابن عبدالله بن نصر الشيزري المتوفى سنة ٥٩٠هـ، ويليه كتاب «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» لمحمد بن أحمد بن بسام المحتسب.

وقد اعتمد محققا الكتاب الأول على ثلاث نسخ خطية هي نسخة الرباط، ونسخة الخزانة الملكية، ونسخة تونس.

ويقول محمد بن حسن المرادي عن كتابه: «نظمت لك في هذا الكتاب، دررًا من آداب الإمارة والوزارة، وفصلت لك في ثناياه فصولاً من أنواع الإدارة والاستشارة، واصفة لآداب المتقدمين، كاشفة لأمر الدنيا والدين، فإذا استقبلتها بذهنك، وتأملت غوامضها بفكرك، واستعملت معانيها بجوارحك، مع ما رزقك الله من نجابة، ووهب لك من رصانة، قلّ مثالك، وجلّت أحوالك، وشرفت آدابك، وكرم أصحابك، وامتنع جنابك، وحوى الفضائل كلها بابك، وبالله تدرك المطالب، وإليه تبذل الرغائب»، وقد قسم المرادي كتابه على ما فيه من الآداب إلى ثلاثين بابًا.

أما كتاب «النهج المسلوك في سياسة الملوك» للشيزري، فقد اعتمد المحققان على نسخة مطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦هـ، ويضم هذا الكتاب عشرين بابًا، أما كتابه الآخر فهو «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» فيضم أربعين بابًا، وقال عنه الشيزري: «فقد سألني من استند لمنصب الحسبة، وقلّد النظر في مصالح الرعية، وكشف أحوال السوقة، وأمور المتعيشين، أن أجمع له مختصراً كافياً، من سلوك منهج الحسبة على الوجه المشروع؛ ليكون عمادًا لسياسته، وقوامًا لرياسته، فأجبته إلى ملتمسه، ذاهبًا إلى الوجازة، لا إلى الإطالة، وضمنته طرفًا من الأخبار، وطرزته بحكايات وآثار، ونبهت فيه على غش المتعيشين في المبيعات، وتدليس أرباب الصناعات، وكشف سرهم المدفون، وهتك سترهم المصون، راجيًا بذلك ثواب المنعم ليوم الحساب».

أما كتاب «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» لمحمد بن أحمد بن بسام المحتسب، فقد اعتمد صاحبه على كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري، وأقدم نسخة للكتاب كانت سنة ٨٤٤هـ، وقد اعتمد المحققان في تحقيق هذا الكتاب على النسخة المطبوعة في مطبعة المعارف ببغداد التي اعتمدت على نسختين خطيتين: إحداهما لأحمد الثالث ـ إستانبول برقم (٢٣٠٤/عموى) ويقع في (١٢٢ص)، والثانية نسخة دار الكتب المصرية ـ الخزانة التيمورية تحت رقم (٢٢٦٩/٦١٤) اجتماع طلعت.



المدينة العربية (ع١١٧ ـ يناير/فبراير ٢٠٠٤م)

مجلة دورية متخصصة تصدرها منظمة المدن العربية في الكويت.

ضم هذا العدد موضوعات متنوعة، بدأت بأنشطة الأمانة العامة. وقدّم كل من: الدكتور محمد صفي الدين حامد حسن، والمهندس أحمد كمال الدين حامد حسن مقترحًا بموضع ومسار زوّار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسجد النبوي، وتناول الدكتور إسماعيل محمد المدني دور الأدوات الاقتصادية في تدوير المخلفات الصلبة مع الإشارة الخاصة إلى نظام سعر الوحدة، وكتب فرج العش عن تطبيق العلوم الهندسية في دراسة وتحليل مظاهر التلف في الأبنية التراثية، وتناول كامل كاظم بشير الكتاني من جامعة بغداد موضوع «تخطيط المدينة العربية الإسلامية الخصوصية والحداثة»، وهناك موضوع عن الأخطار الشديدة للنفايات الطبية على الصحة العامة، وآخر عن زيادة معدلات الأمية وسوء التغذية، وأعد خالد رستم تقريرًا عن المؤتمر الدولي حول التحصينات الإسلامية في بلاد الشام الذي أقيم بين ١٦ و١٨ أيلول ٢٠٠٣م في حلب.

وضم باب متابعات الذي أعده محمد مروان مراد «مدن المستقبل اليابانية»، و«زيادة عدد السكان في الوطن العربي»، و«الضجيج البيئي الصارم»، و«الحواجز والأشجار لصد الضوضاء في المدن»، وكتب عبدالرحمن محمود الحيدري مقالاً عن تجربة بلدية السلط في الأردن في التعامل مع النفايات الصلبة، وأعد معتز ياسين مقالاً عن صحراء المغرب: الجنوب الكبير، واحتوى العدد بابًا عن المدن على الإنترنت، واختتم بأخبار المدن العربية، وبمقال للدكتورة بهية الحريري.

العنوان: ص.ب: ١٨١٦٠ كيفان ـ ٧١٩٦٢ الكويت

هاتف: ٤٨٤٩٧٠٥ ـ ٤٨٤٩٧٠٦/ ناسوخ: ٤٨٤٩٣٢٢



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س٣٠، ع١١٢، ذو القعدة ١٤٢٤هـ/ يناير ٢٠٠٤م)

مجلة فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، زخر هذا العدد بموضوعات متنوعة من البحوث والدراسات، بدأها كل من: علي بن محمد شيبان العربي، وأحمد بن علي النهاري بدراسة بعنوان «جزز فرسان: في تنمية السياحة الداخلية بالمملكة العربية السعودية»، واستطلع صادق جعفر إسماعيل، وصالح عبدالله جاسم رأي طلبة المدارس الثانوية بدولة الكويت بشأن القيم التربوية لما بعد أزمة الخليج، وقدم آدم غازي العتيبي دراسة عن إدمان العمل وعلاقته ببعض المتغيرات السلوكية والشكاوي الصحية لدى شاغلي الوظائف القيادية في القطاع الحكومي في دولة الكويت، وقدم عبد المحسن حمادة، ومحمد وجيه الصاوي دراسة ميدانية عن العوامل الكامنة وراء تعثر الطلبة المتدبين بجامعة الكويت، وكتب موسى غضبان الحاتم عن المستشارين البريطانيين في الكويت ١٩٣٤ ـ ١٩٦١م، وتناول سعود فارس الجوير في دراسة ميدانية تقويم فعاليات خدمات رعاية المسنين بالمجتمع الكويتي، وأعدت سهيلة فهد المالك الصباح الببلوجرافيا العربية، وتضمن العدد بحثًا

باللغة الإنجليزية بعنوان «التباين في خصائص التربة مع موقع الانحدار في سراة عسير في المملكة العربية السعودية» لمرعي بن حسين القحطاني. وختم العدد بملخصات البحوث باللغة الإنجليزية.

العنوان: ص.ب: ١٧٠٧٣ ـ الخالدية

الرمز البريدي ٧٢٤٥١ الكويت

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥ / ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥

جذور (س٧، ع١٥، شوال ١٤٢٤هـ/ ديسمبر ٢٠٠٣م)

فصلية تعنى بالتراث وقضاياه، تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة.

اشتمل هذا العدد على مجموعة من المقالات، بدأها عبدالعالي بوطيب بدراسة نصية لباب (المبدأ والخروج والنهاية) وهو باب من أبواب كتاب «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق القيرواني، وكتب جاسم محمد صالح الدليمي عن شعر الأسر والحبس في العصر الجاهلي، وناقش السيد إبراهيم العلاقة بين التحليل النفسي المعاصر ودراسة الأدب، وتناول سعد دعيبس موضوع المنهجية في نقدنا الأدبي بين التراثيين والحداثيين، وكتب محمد عبدالعزيز الموافي مقالاً بعنوان «أبو نواس الزاهد»، وكتب عبد القادر علي با عيسى عن الإشارات الشفوية في النقد العربي القديم، وتناول عبدالنبي ذاكر موضوع الرحلة وسؤال الكتابة/القراءة، وقدم علي كاظم علي مقالاً عن شعرية المجاز في البلاغة العربية، وكتب رشيد بلحبيب مقالاً بعنوان «نواقض الفصاحة: الإخلال بالمراتب نموذجًا»، وعرف ورد محمدي مكاوي عزب شعر الحكم بن عبدل الأسدي، وناقش الحسين آيت مبارك صورة المتلقي في التراث النقدي، وقدم أحمد علي محمد قراءة في جماليات القصيدة الدعدية. وقدم جبار نور الدين قراءة من المستوى الدلالي لنص قديم، وكتب باسم إدريس قاسم عن المعرفة الشعرية في عصر ما قبل الإسلام، وتناول محمد الواسطي موضوع الحداثة ومظاهرها في الشعر العباسي، وسأل محمد الأمين هل الاستعارة: نقل أم ادعاء؟ ووضح خميس الملخ شخصية أبي علي القالي اللغوية، وبيَّن لؤي حمزة عباس جمالية المواجهة في شعرية الرسالة. وكتب شريف بشير أحمد عن الخنساء ونموذجية صخر، وقدم يوسف إسماعيل قراءة في الشعر المملوكي.



وكتب آن تحسين محمود الجلبي عن الجن وشياطين الشعراء، وتطرق مصطفى يعقوب إلى موضوع الترجمة في العصر العباسي، وبيّن محمد عبدالرزاق القشعمي الدور الأدبي الرائد لصحيفة «صوت الحجاز».

العنوان: النادي الأدبي الثقافي بجدة

ص.ب: ٥٩١٩، جدة ٢١٤٣٢

هاتف: ٦٠٦٦١٢٢ ـ ٦٠٦٦٣٦٤ / ناسوخ: ٦٠٦٦٦٩٥



مزايا مدينة الرياض

سعد العفنان

الرياض - السعودية

الرياض ديمغرافيًا

ورد في المراجع التاريخية أن أقدم من سكن منطقة الرياض هم بنو هزان (١) من العرب البائدة، ثم اشتركت معهم فيما بعد قبيلتا طسم وجديس (٢). ولم نقف في أي مرجع من المراجع على تحديد الزمن لبداية سكن هذه القبائل في المنطقة غير أن أقصى ما يُذكر من أزمان وجودها وأحداثها وحضاراتها هو القرن السادس قبل الميلاد (٣).

أما قبل هذا الزمن فلا وجود لأدلة قاطعة عليه إلا الاستنتاجات العلمية، والاستقراءات الجغرافية والأثرية والسكانية التي تؤكد أن قلب الجزيرة العربية - ومنها بطبيعة الحال هذه المنطقة - هي المكان الأول لتحضّر الإنسان، والمنطلق الذي اندفعت منه الهجرات البشرية المتوالية التي أقامت حضارات متطورة في الأقطار المجاورة مثل مناطق الخليج العربي والعراق والشام ومصر.

وتحدثنا المراجع القديمة والحديثة عما وقع من حروب بين قبيلتي طسم وجديس كان من نتيجتها أنها أضعفت الفريقين، فصارت ديارهم غير ذات قوة فاقتحمتها القبائل العدنانية وكانت أخصب المواقع وأطيبها من نصيب العصائب الوائلية عنزة وحنيفة واندمج معهما من بقي من هزان وطسم وجديس وعلى مدى القرون والأجيال اختلطت معهم فروع كثيرة من قبائل عربية شتّى، لكن الغلبة والسيادة فيها ظلت للعصائب الوائلية ولا سيما الحنيفيون الذي تبوؤوا قلب هذه المنطقة أي مدينة حجر التي عرفت فيما بعد بـ «الرياض» وما جاورها من البلدات الواقعة على امتداد الوادي المعروف بـ «وادي حنيفة» الذي يشق الجانب الغربي من مدينة الرياض حاليًا.

ويختلف المؤرخون والباحثون في تحديد الزمن الذي استوطن الوائليون فيه هذه المنطقة، فبعضهم يعود به إلى القرن الخامس قبل الميلاد (٤) وبعضهم يُقربه إلى القرن الخامس الميلادي (٥) وهذا تفاوت كبير جدًا؛ ولذلك فإن الزمن الذي يتساوق مع الأحداث التاريخية لفترة هذا التغيّر السكاني هو القرن الثالث الميلادي. إذ شهدت جزيرة العرب تغيّرات سكانية - ديمغرافية - كبيرة، ففي تلك الفترة زحفت مجموعات كبيرة من القبائل العدنانية من تهامة والحجاز، واستقرت في مختلف نواحي نجد، وامتدت إلى تخوم العراق، ومناطق الخليج العربي. ومنذ العصر الجاهلي وصدر الإسلام عُرفت مدينة حجر التي أطلق عليها اسم الرياض منذ ثلاثة قرون فقط بأنها قاعدة بني حنيفة.

وحنيفة فرع من فروع قبيلة بني بكر الوائلية وبكر هو ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، أما حنيفة ذاته فهو: حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر (٦).

ومرت المنطقة بأزمات عصيبة من الحروب والغزوات والفتن المدمرة، ولكنها حافظة على هويتها المتميزة، وكانت المعقل الحصين لوسط جزيرة العرب أمام أشد المحن، وأشرس الغزوات، وأعتى الطغاة.

الدرعية

وشهد القرن التاسع الهجري وفود مانع بن ربيعة المريدي الذي ينتسب إلى الدروع من بني حنيفة الذين كانت لهم السيادة في وادي حنيفة آنذاك، ونزل مانع في المكان الذي قامت عليه مدينة الدرعية فيما بعد، وقد أنزله هذا المكان ابن عمه رئيس الدروع الذي لم تذكر المراجع التاريخية اسمه. وكان قدوم مانع المريدي وابنه ربيعة من بلد الدروع المعروف بـ «الدرعية» في منطقة القطيف في العام ٨٥٠هـ بعد اتصال بين رئيس الدروع ومانع اللذين تربطهما قرابة نسب (٧).

وأنجب مانع المريدي عددًا من الأسر الكريمة التي انتشرت في نواحي المنطقة، وكان لها أدوار مشهودة في أحداث المنطقة وتاريخها ومن هذه الأسر برزت الأسرة السعودية التي أعزّ الله جل شأنه الإسلام على أيدي رجالها الميامين من الأئمة المجاهدين والملوك والأمراء الأبطال الماجدين الذين أعادوا إلى العرب مركزيتهم في الإسلام، وأعادوا إلى الجزيرة العربية هيبتها ومكانتها المخصوصة كعاصمة للإسلام وموئل لأفئدة المسلمين، ومنبت للمروءات، ومنطلق لمكارم الأخلاق على الدوام.



الساحة الداخلية لقصر الإمام عبد الله بن سعود بالدرعية

حجر وابن بطوطة

وفي عام ٧٣٢هـ زار الرحالة العربي المغربي ابن بطوطة منطقة اليمامة، وشاهد مدينة حجر، وترك لنا في كتابه المعلومة المختصرة الآتية: «ثم سافرنا إلى مدينة اليمامة وتسمّى حجرًا.. مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب، وأكثرهم من بني حنيفة، وهي بلدهم قديمًا، وأميرهم طفيل بن غانم... ثم سافرت منها في صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك سنة ثنتين وثلاثين» (٨).

ثم تتوالى أخبار اليمامة في المصنفات التاريخية، ومن ذلك ما يذكره ابن بشر من أن بني حنيفة هم أهل المنطقة في القرن التاسع الهجري إذ يقول: «وفي سنة خمسين وثمانمئة اشترى حسن بن طوق جد آل معمّر العيينة من آل يزيد أهل الوصيل والنعمية الذين من ذريتهم آل دغيثر اليوم، وكان مسكن حسن ملهم فانتقل منه إلى العيينة، واستوطنها وعمرها، وتداولتها ذريته من بعده».

والوصيل المذكور موضعان معروفان في الوادي أعلى الدرعية، وفيها قدم مانع بن ربيعة من بلدهم القديمه المسمى بالدرعية عند القطيف قدم منها على ابن درع صاحب حجر والجزعة المعروفين قرب الرياض، وكان من عشيرته فأعطاه ابن درع المليبيد وغصيبة المعروفين في الدرعية فنزل ذلك الموضع وعمره، واتسع في العمارة والغرس في نواحيها.

وعمرها ذريته من بعده وجيرانهم، وذكر أن مانع المذكور كان مسكنه بلد الدروع من نواحي القطيف، ثم أنه تراسل هو ورئيس دروع حجر اليمامة بني عم دروع القطيف لما بينهم من المراحمة، فاستخرج مانعًا من القطيف فأتاه في حجر وأعطاه المليبيد وغصيبة المذكورين، وهما من نواحي ملكهم فاستقر فيها هو وبنوه وما فوق غصيبة لآل يزيد الحنيفيين إلى دون الجبيلة» (٩).

ويقول شاعر من بني حنيفة عاش في أواخر القرن التاسع الهجري وأوائل القرن العاشر، وهذا الشاعر هو جعيثن اليزيدي يقول مفتخرًا بقومه بني حنيفة:

نجدٍ رعى ربعي زاهي فلاتها
على الرغم من سادات لام وخالد
سادات حجر من يزيدٍ ومزيّد
اقتادوهم قود الفلا بالقلايد (١٠)

إن كل المعلومات التاريخية المتوافرة عن الفترة الممتدة من القرن الثامن الهجري، أي: منذ زيارة ابن بطوطة للمنطقة إلى الفترة التي قال فيها الشاعر جعيثن قصيدته التي منها هذان البيتان إلى ما بعد ذلك إنما تؤكد مرحلة جديدة من سيادة بني حنيفة في تلك المنطقة واضطلاعهم بدورهم كعنصر خلّاق في حياة العرب وتاريخهم المشرّف.

والرياض الآن مثل قاعدة أي دولة مزدهرة في أي مكان أو زمان يتألف سكانها من مختلف شرائح الأمة وفئاتها فقد استوطنت فيها عوائل وأسر من جميع أنحاء جزيرة العرب بل ومن جميع الأقطار العربية المجاورة ليس سعيًا إلى طلب الرزق والعلم والجاه وحسب وإنما رغبة في طلب الأمن والاستقرار أيضًا، وما زالت الرياض تتوسع وتتطور وتستقطب المزيد والمزيد من معطيات الخير والنماء في ظل الدولة السعودية السنية.. دولة خادم الحرمين الشريفين أيده الله تعالى.

المراجع

١. ٣. معجم اليمامة ج١، ص٣٨ ـ الشيخ عبدالله بن خميس.
٤. معجم اليمامة ج١، ص٢٨.
٥. مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ص ٣١ ـ ٣٤ ـ الشيخ حمد الجاسر.
٦. جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج١ ص ١٩٤ ـ الشيخ حمد الجاسر.
٧. الدرعية ص ٧٩ ـ ٨٣ ـ الشيخ عبدالله بن خميس.
٨. كتاب رحلة ابن بطوطة ص ١٨٦ ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.
٩. عنوان المجد في تاريخ نجد ج١، ص١٦ ـ الشيخ عثمان بن بشر.
١٠. مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ص ٨٣.